دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى

(١)

مدخل إلى علم الاجتماع الإعلامى

دكتوره/ انشراح الشال
دكتوراه الدولة
فى الآداب والعلوم الانسانية
من جامعة بوردو
بفرنسا

١٩٨٥

الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة

اهـــــداء :

الى كل من علمنى حـــرفا



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم :

انتشرت وســائل الاعلام فى السنوات الاخيرة ، وأصبح كل فرد يتعرض لواحـدة منها نهـارا أو ليـلا ، أصبح الهواء الذى نستنشقه مشبعا بالاعلام ، الذى صـار بدوره ضرورة فى حياتنـا اليومية •

وبتعدد وسـائل الاعلام ، وبتعدد صوره ومستوياته ، تفـرغ باحثون لدراسـة وجود هذه الوسـائل داخل المجتمع ، وكثر الحديث والجدل حول تأثير وسـائل الاعلام ، وخاصـة الألكترونية منهـا ، ولفت ذلك أنظار السـياسيين والاقتصـاديين وغيرهم من المهتمين بالدراسات الانسانية والاجتماعية ، وانصب اهتمام كل منهم على كيفية الاستعانة بوسائل الاعلام لتحقيق أغراضهم •

وقد اهتم علماء الاجتماع وعلماء النفس ، مثلهم مثل الآخرين ، بوجود وسـائل الاعلام فى المجتمع • فقد نظر علماء الاجتماع الى وسائل الاعلام على أنها ظاهرة اجتماعية يمكنها أن تؤثر فى الظواهر الاخرى ، كما يمكنها أن تتأثر بهذه الظواهر • أما علمـاء النفس ، فيرجع اهتمامهم بوسـائل الاعلام الى ما قيل — وما زال يقـال — عن التأثير السيء لوسـائل الاعلام ، وخاصـة تأثير مشـاهد الرعب والجنس فى شاشات السينما والتليفزيون على الاطفال والشباب •

ولذلك وجدنا أن فى بلد مثل فرنسـا ، كان التليفزيون ينبـه المشـاهدين ، الى الافلام التى تحتـوى على مشـاهد عنيفـة (قتل — عمليات جراحية حساسة — اغتصـاب — شذوذ •••) ، قبل عرض الفيلم مباشرة ، وأثناء العرض أيضا ، الى جانب ما يكتب عن الفيلم فى الصـحافة المتخصصـة (المجـلات الخاصـة ببرامج

التليفزيون) ، بل وفى الصحافة اليومية والاسبوعية أيضا ، والصحافة الدينية ... ينبههم الى أن هذا الفيلم أو ذاك خاص بالكبار فقط ، أو للشباب والكبار أو أنه للجميع . وقد كانت الشاشة الصغيرة فى فرنسا حتى وقت قريب جدا تصحب الافلام التى يفضل ألا يشاهدها الأطفال بمستطيل أبيض على الجانب العلوى للصورة ، وذلك طوال عرض الفيلم ، كتنبيه مستمر للمشاهد الى نوعية الفيلم طوال العرض ، ويقال ان ذلك يحدث أيضا بالنسبة للتليفزيون فى أمريكا (١) .

ويتم تحديد الجماهير النوعية للفيلم فى هذه البلاد ، بناء على توصيات من متخصصين فى فروع مختلفة . ومن بين هؤلاء خبراء فى التربية ، ومعلمون ، وعلماء نفس ، ورجال دين ، ورجال بوليس ... الخ .

ولن نقارن هنا ما يحدث فى فرنسا بما يحدث فى مصر ، الا أن ذلك لا يمنعنا من تتبع بعض الآثار التى تتركها مشاهد العنف فى التليفزيون على نفوس المشاهدين .

والمثال الذى سنذكره هنا قدمته احدى طالبات الفرقة الاولى بكلية الاعلام عن فيلم « الغيبوبة » الذى عرضه التليفزيون المصرى يوم السبت ٢٤ ديسمبر ١٩٨٣ فى برنامج نادى السينما على القناة الاولى (٢) .

ففى اطار مادة المدخل الاجتماعى للاعلام التى نقوم بتدريسها ،

---

(١) مما يذكر فى بريد القراء فى الصحافة المصرية .

(٢) وأعيد عرضه فى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٥ .

قامت الباحثة بسؤال بعض الاسر عن رأيها فى هذا الفيلم ، وسوف نقدم فيما يلى بعض نماذج من الاجابات ، والتى سوف نستبعد منها التجربة الذاتية للباحثة ،التى قد تكون مشاهدتها للفيلم ذات طابع دراسى ، كما أننا سنستبعد ما ذكرته عن تأثير مشـــاهد الفيلم على أسرتها لنفس السبب .

تقول الباحثة : « وفى اليوم التالى ، أخذت فى استطلاع آراء جيراننا وأصدقائنا عن هذا الفيلم .. قالت لنـــا جارتنا ان أولادها عقب مشاهدة الفيلم ، وقبل أن يناموا ، أسرعوا بوضع كراسى « وراء باب الشقة ونام كل اثنين جنبا الى جنب على سرير واحد ، وقد كان كل واحد منهم ينـــام من قبل على سرير بمفرده ، وطلب الأبنـــــاء من أمهم أن تنـــام مع الصغار (١٣ و ١٦ سنة) ، أما الكبار (١٩ — ٢٠ سنة) ، فقد ناموا فى سرير واحد » .

وفى أسرة أخـــرى ، ذكرت الطالبة أن « احدى الامهات قالت ان ابنتها ذات العاشرة من العمر ، قد أصابها الفزع وارتمت تحتمى فى صدر أمها عندما سمعت رنين جرس التليفون أثناء مشاهدة الفيلم . وبعد أن انتهى الفيلم ، حققت الام رغبة ابنتها — التى كانت ترتعش من الخوف والرعب — فنامت بجوارها » .

كل هذا الرعب الذى نلاحظه فى تصرفات الابناء فى هذه الاسر بعد مشاهدة الفيلم مباشرة ، لا نجده فى الجملة التى ذكرتها الدارسة عنـــدما قالت ان احدى الأسر « قد تمنت مشـــاهدة هذا الفيلم مرة أخـــرى ، لان قصـــة الفيلم واخراجه قد أعجبتهم .. »

أما عن الآثار التى تركها فيلم « اليوم التالى » على المشاهدين فى أمريكا ، فقد علقت أجهزة الاعلام المختلفة فى مصر على هذا الفيلم ،

وعلى الرعب الذى خلفه فى نفوس المشاهدين فى أمريكا ، ويجد القارىء ملخصا لها فى الملحق رقم (١) .

كل هذا لا يعنى أن وسائل الاعلام الاخرى — مثل الكتاب أو المقال الصحفى — لم تكن هى الاخرى موضع اهتمام من علماء الاجتماع والنفس .

والمثال على ذلك الدراسة التى تجرى حاليا على حالات الانتحار التى حدثت فى فرنسا بعد ظهور كتاب : طريقة الانتحار ، (فى ابريل عام ١٩٨٢) (١) ، والذى وجدت نسخة منه على صدر أحد المنتحرين (٢) .

كذلك يحدثنا علماء الاجرام عن جرائم ثبت ارتكابها بأسلوب تم عرضه فى أحد الكتب أو فى احدى الصحف ... وأحدثها ما نشر فى مصر عن بعض الاطفال المنحرفين الذين كانوا يكتبون اسم « البرادعى » (احدى الشخصيات فى تمثيلية تليفزيونية) على الحائط ، بعد العمليات الاجرامية التى كانوا يقومون بها فى حلوان .

وبدون أى اتهام صريح لوسائل الاعلام — أو لاحداها — أعلن علماء النفس المتخصصون فى الطب النفسى للاطفال فى جامعة توبنجن بالمانيا عام ١٩٨١ ، أن حالات الفزع والانهيارات النفسية فى ازدياد لدى التلاميذ .

وقد لاحظ أيضا هذا الفريق من العلماء ، أن الرغبة فى الهروب من المجتمع ، والتى تظهر غالبا فى محاولة الانتحار ، موجودة لدى

---

1. **Suicide,** mode d'emploi . . .

2. **L'Avenir de L'Actualité,** les histoires de l'année 1982, Ed. Libération Gamma, numéro Hors — Série, décembre 1982, p. 82.

الاطفال من سن ٩ الى ١٢ سنة • وقد اهتم أطباء الاطفال وعلماء التربية وعلماء النفس وعلماء الاجتماع بهذه الظاهرة الجديدة • وشكلت فى المانيا جماعات ولجان من هؤلاء المتخصصين ، الى جانب ممثلين من الوزارات المختصة بالشئون الاجتماعية والثقافية ، لدراسة هذه الظاهرة وأسبابها • (١) •

باختصار شديد ، هناك تساؤلات عديدة يمكن أن تثار حول وسائل الاعلام ، وحول أهمية وجودها فى المجتمع ، فيطالب بعض باعدام هذه الوسائل ، أو البعض منها على الاقل ، لاسباب مختلفة • فكما تأخر دخول التليفزيون مثلا فى دولة مثل جنوب أفريقيا لاسباب يقال انها عنصرية (٢) ، وأدخلته اسرائيل لأسباب سياسية ، نجد هناك من ينسب الى هذه الوسيلة كل تدهور داخل المجتمع (٣) ، وتشكلت جمعيات بهدف الهجوم على التليفزيون وخرج علينا كتاب فى أمريكا يحمل عنوان « أربع حجج لالغاء التليفزيون » (٤) ووقف المستشار الالمانى السابق هيلموت شميث ينادى بوقف الارسال التليفزيونى عدة أيام فى الاسبوع ويتهمه بأنه قد أساء الى العلاقات الاجتماعية(٥)، ويكفى أن نعرف كذلك أن هناك بعض الكتب تحرمها الكنيسة ، وبعض الكتابات تدخل تحت بند المحرمات ، كما تحرم بعض المذاهب مشاهدة التليفزيون ••• ولن ننتهى ••

---

1. R. MENG. — «Université et tiers — monde. Un colloque scientifique á Giessen». Art. dans la presse allemande, trad fr. in : **La Tribune d'Allemagne** No. 972, Belgique, 12 décembre 1982.

(٢) ينفى أوستن سابياس (Austin SAPIAS) من NBC/PNG فى بابوا (غينيا الجديدة) وجود خدمة تليفزيونية لديهم ، ويقول انهم ليسوا بحاجة الى هذا التليفزون ما دامت تصلهم برامج التليفزيون من خمس دول مجاورة •

(٣) انظر الملحق رقم (٢) والملحق رقم (٣) •

2. Jerry MANDER. — **Four Arguments for the Elimination of Television.** Morrow, NewYork, 1978.

(٥) نشرة اخبار فى التليفزيون الفرنسى عام ١٩٧٨ •

وكان لا بد من القيام بدراسات حول تأثير وسـائل الاعلام .. وكانت هذه الدراسات كما سنرى فيما بعد ، النواة لهذا العلم الذى نقوم بدراسـته وهو علم الاجتمـاع الاعلامى ، أحدث فروع علم الاجتماع .

والكتاب الذى بين أيدينـا الآن ، يعرض لهذا العلم الجديد كفرع من فروع علم الاجتمـاع ، لذلك خصصنا المبحث الأول منه للحديث عن علم الاجتماع وفروعه ، ثم تناولنا الدراسـة الاجتماعية لوسائل الاعلام فى أربعة مباحث ، ركزنا فيها على وسـائل الاعلام فى الدول النامية ، وخاصة التليفزيون ، لأسباب لا تكاد تخفى على أحد . وقد خصصنا المبحث الخامس والأخير لعرض سريع للتليفزيون المصرى ، الذى يحتاج لوقفه متأنية فى دراسـة مستقلة ، لن تتوافر لنا الا بعد الانتهاء من تحليل نتائج الدراسـات الميدانية التى نقوم بها حاليا والله الموفق .

الفصـــل الاول

مجـــالات الدراســـة
فى
علم الاجتماع الاعلامى

تمهيـــــد :

المبحث الأول :

مقدمة فى علم الاجتماع الاعلامى

المبحث الثانى :

اهتمام علماء الاجتمـــاع بالاعلام

الفصـــل الاول

مجـــالات الدراســـة

فى

علم الاجتمــاع الاعلامى

تمهيـــــد :

لكى نتحدث عن مجالات الدراســـة فى علم الاجتماع الاعلامى يجب أن نتعرف أولا على علم الاجتمـــاع ، وكيف نشأ ، وما هى مجالات الدراســـة فيه ، وكيف تشعب وتفرع ، لكى نصـــل فى النهاية الى نشأة علم الاجتماع الاعلامى ، أحدث فروع علم الاجتماع ، لان دراسة الفرع تستوجب دراسة الاصل أولا •

وفى الصفحات التالية ، ننـــاقش اذن عدة موضوعات سبق أن تناولها زملاء وأساتذة ، توصلوا فيها الى نقـــاط جديرة بأن نقدمها للقـــارىء قبل الدخول فى تفاصيل موضوعنا ، لكى نتعرف على العلم الاصل وفروعه •

المبحث الأول

مقـــدمة

فى

علم الاجتمـاع الاعلامى

أولا : نشأة علم الاجتماع ومؤسسه :(١)

انقسم المتهمون بعلم الاجتماع الى مجموعات فى تحديد المؤسس الأول الذى يجب أن نرجع اليه فضل ارساء قواعد هذا العلم • فقد اعتبر البعض المفكر العربى ابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦) مؤسسـا لعلم الاجتماع ، وأخذت هذه المجموعة فى حكمها بالأسباب التالية :

— أن ابن خلدون قد ميز بين مجتمع البدو والحضر بشكل دقيق •

— أنه أول من أطلق اســم (علم العمران) والاجتماع البشرى على دراسة الظواهر الاجتماعية والطبيعية •

---

(١) ارجع الى :

— حسن الساعاتى . — **علم الاجتماع الخلدونى** . بيروت ، دار النهضة العربية — ١٩٦٣ .

— **مصطفى الخشاب** . — **علم الاجتماع ومدارسه**. الكتاب الثانى موضوعه: دعائم علم الاجتماع وحقائقه — مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثالثة ١٩٥٨ .

— مليحة عونى القصير ومعن خليل عمر . — **المدخل الى علم الاجتماع** . جامعة بغداد ١٩٨١ .

— **نيقولا** تيماشيف— ترجمة محمود عودة وآخرين. — **نظرية علم الاجتماع**. طبيعتها وتطورها . دار المعارف بمصر ، الطبعـة الثانية ١٩٧٢ .

— محمود عودة. — « نشأة علم الاجتماع. دراسة فى سسيولوجيا المعرفة» ص ٤٣ — ٦٤ ، **دراســة فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا** . دار المعارف بمصر — الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

— أوضح ابن خلدون الطبيعة البشرية بشكل متكامل ولم يفصل بين مكوناتها على خلاف الآخرين من علماء الاجتماع الغربيين •

— درس الحياة الاجتماعية فى بيئتها وحضارتها •

— فصل دراسة الظواهر الاجتماعية عن الظواهر التاريخية •

— وضع قانون تطور الأمم من خلال مراحل وربطها بالتحـــديد الزمنى محددا لكل مرحلة أربعين عاما •

— اعتمد طريقة « المشـــاهدة » كطريقة علمية فى اســـتخلاص نظرياته الاجتماعيـــة •

وقد أخذت احدى المجموعات برأى اميل دور كايم (١٨٥٨ — ١٩١٧) واعتبرت العلامة الفرنسى سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) أول داعية لانشاء (علم للانسان) يرتكز على مناهج العلوم المجردة • وفى هذا يقول دور كايم انه يجب أن ينسب الى سان سيمون وحـــده الشرف الذى نسبه البعض الى أوجست كونت بأنه انشأ علما جديدا هو علم الاجتماع • ويضيف دور كايم الى ذلك أن سان سيمون لم يرسم فقط خطة هذا العلم الجديد وانما حاول أيضا أن ينفذها ، كما أن جميع الأفكار التى تســـود مجتمعنا الحالى تجـــد جذورها لدى ســـان ســـيمون •

ويؤيد هذا الرأى أيضا ، مدافعا عن ســـان سيمون (كمؤسس لعلم الاجتماع) العـــلامة الفرنسى ماكســـيم لروا ، الذى يؤكد أن أوجست كونت لم ينشىء علم الاجتماع ، وانما الفضل فى انشـــائه يرجع الى ســـان ســـيمون وحده ، الذى وجه العلوم الاجتماعيـــة وجهـــة علميـــة •

أما المجموعة التى اعتبرت أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧) مؤسســـا لعلم الاجتماع ، فقد أخذت فى الاعتبار أن هـــذا العلامة

الفرنسى هو أول من أطلق اسم (علم الاجتماع) على الدراسات الاجتماعية •

وقد اشتق أوجست كونت كلمة « سوسيولوجى » Sociology أى علم الاجتماع – عام ١٨٣٩ وكان ينوى تسمية هذا العلم الجديد « الفيزياء الاجتماعية » Social Physics ، لكنه تخلى عن هذه التسمية بعد أن نشر الباحث البلجيكى ادولت كيتليه دراسات احصائية عن المجتمع سماها « الفيزياء الاجتماعية » •

وهـذه الكلمة Sociology هى مزيج من اللاتينية واليونانية• ويصف شقاها ما يسعى هذا العلم الجديد الى تحقيقه وانجازه • فيشير مقطع Logy الى الدراسة ذات المستوى الرفيع من حيث الدقة والتعمق ، وهو مشتق من Logos اليونانية والتى تعنى كلمة (منطـق) •

أما مقطع Socio فانه يشير الى المجتمع وهو مشتق من الكلمة اللاتينية Socus بمعنى (رفيق أو رابطة) وهذا يعنى أن الكلمة المركبة من المقطعين تعنى دراسة الروابط أو العلاقات ، أو كما يترجمها البعض بأنها دراسة المجتمع دراسة تتمتع بدرجة عالية من التعميم والتجريد •

وتأخذ هذه المجموعة بأسباب أخرى لكى تنسب علم الاجتماع الى أوجست كونت • ويذكرون أنه قد فصل موضوعات علم الاجتماع عن موضوعات العلوم الانسانية الاخرى كدراسة الدين والأخلاق والسحر ، وينسبون اليه أيضا الفضل فى جمع الأفكار والحقائق الاجتماعية التى كانت غير منظمة ومبعثرة بين العلوم الانسانية

الاخرى ، وأخرجها فى اطـــار علمى منسق ، وأجرى مســـحا تاريخيا لجميع العلوم ، واعتبر الرياضيات أولى العلوم ومفتاحها جميعـــا ، كما أنه وضع علم الاجتماع فى نهاية سلم العلوم واعتبره تاجا لها ، ومصدرا لكافة العلوم الانسانية الأخرى .

وكان ترتيب أوجست كونت للعلوم على النحو التالى :

١ — الرياضيات .

٢ — الفـــلك .

٣ — الفيزيـــاء .

٤ — الكيميـــاء .

٥ — علم الأحيـــاء .

٦ — علم الاجتماع .

وقد اعتبر أوجست كونت كل علم فى هـــذا الســـلم التدريجى يعتمد على ما سبقه من العلوم . وكان تصنيفه لعلم الاجتماع بعـــد علم الأحياء قائما على اعتبار أن جميع العلوم الصرفة تهتم بالجزئيات لا بالكليات ما عدا علم الأحياء الذى يهتم بالكليات ويدرس الجزئيات من خلال ارتباطها بالكليات . وهذا يشبه علم الاجتماع الذى يدرس الجزئيات ضمن الكليات ، لذلك وضعه أوجست كونت بعد علم الأحياء بسبب هذا التشابه .

وقد اعتبرت هذه المجموعة أوجست كونت مؤسسا لعلم الاجتماع لأنه قد حدد أيضا منهاجا للبحث فى علم الاجتماع يقوم على الملاحظة والتجربة — والمقارنة .

والى جانب ما سبق ، فقد اعتبر بعض المهتمين بعلم الاجتماع أن هذا العلم لم يظهر بشـــكله المتكامل الا من خلال كتابات العـــالم

الألمانى كارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) وخاصة كتاباته المادية لأنها طرحت نظرية ومنهجا وفلسفة جديدة تدرس الطبقة العاملة فى المجتمعات الانسانيه (١) ، وركزت على تناقض الحياة المادية مع المعنوية ، وما تفرزه من اشكالات اجتماعية واقتصادية داخل البناء الاجتماعى ، مهملة الأسبقية الزمنية فى التسمية ، ودراسة باقى جوانب الحياة الاجتماعية غير المتناقضة .

وقد يمكننا أن نستنتج مما تقدم أن كل مجموعة — أخذت برأى معين فى اعتبار عالم بعينه مؤسسا لهذا العلم — قد انطلقت من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التى تعيش فيها ، هذا من جانب ، كما أنها قد أخذت أيضا فى الاعتبار اسهامات هذا العالم فى وضع اللبنات الأساسية لهذا العلم من جانب آخر .

الا أننا يمكننا أن نأخذ برأى مجموعة من الباحثين والعلماء تعتبر ابن خلدون وأوجست كونت هما المؤسسين لعلم الاجتماع .

ثانيا : موضوع علم الاجتماع :

انقسم علماء الاجتماع أيضا عند تحديدهم لموضوع علم الاجتماع الى ثلاث طوائف :

١ — تذهب الطائفة الأولى الى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية . ويتزعم هذه الطائفة المفكر الألمانى جورج سيمل G. Simmel ويتبع هذه المدرسة كل من الفرد فركانت Vierkandt وماكس فيبر M. Weber .

---

(١) زيدان عبد الباقى . — **ركائز علم الاجتماع** — دار المعارف بمصر ١٩٧٥ — ص ٨٠ — ٨٣ .
ومليحة عونى القصير . — **المدخل الى علم الاجتماع** — مرجع سابق ص ١٨ — ١٩ .

وقد انقسم أتبـاع هذه المدرسة الى فرق ، وأصبحوا يمثلون ثلاثة اتجاهات رئيسية ، بعد الانتقادات الشديدة التى وجهت اليهم :

(أ) التزم فريق منهم بدراسة العلاقات الاجتماعية فى صورها المجردة ويحاول ردها الى عناصرها الأولية •

(ب) واختص فريق آخر بدراسة هذه العلاقات كما تنشـأ فى المجتمع بين أفراده ، غير أنهم قسموا العلاقات الاجتماعية قسمين : علاقات ثابتة ومنظمة وهى فى نظرهم موضـوع علم الاجتمـاع ، وعلاقات غير ثابتة وغير مستقرة ولم يشملها التنظيم ، وهذه تخرج بطبيعتها عن موضوع العلم •

(ج) ويرى الفريق الثالث أن موضوع العلم هو دراسة جميع العلاقات الاجتماعية الثابت منها وغير المستقر ، المنظم وغير المنظم ، المباشر وغير المباشر ، لأن مثل هـذه العلاقات غير المسـتقرة تأخذ سبيلها ان آجلا أو عاجلا الى التنظيم والاستقرار والثبات •

٢ ــ أما الطائفة الثانيـة ، فانهـا ترى أن تقـوم بجانب علم الاجتماع طائفة من العلوم الاجتماعية الجزئية يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية • ويؤيد هذا الاتجاه كبار علماء الاجتمـاع أمثـال دور كايم Durkheim وهوبهوس وجنزبرج

٣ ــ وتضم الطائفة الثالثة مجموعة من العلماء لا يمثلون اتجاها واحدا ، ولكنهم يمثلون وجهات نظر خاصة • فمنهم من يذهب الى أن علم الاجتماع هو علم النظم الاجتماعية • وأشـهر من نحى هـذا الاتجـاه العلامة الفرنسى كوفلييه Cuvillier ، ومنهم من يذهب الى أن الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع هو دراسـة المبادىء التى تؤدى الى الوحدة فى المجتمع والقـوى التى تدفع به الى التطور ، وأشهر المؤيدين لهذا الرأى العلامة الأمريكى ماك ايفر Mac Iver

كما يذهب البعض الى القول بأن موضوع علم الاجتماع هــو دراســـة التغير الاجتماعى ، وما ينطوى عليه من تقــدم فى التنظيم والعلاقات والوظائف الاجتماعية . وأشهر علماء هذا الاتجاه العلامة الأمريكى ســمول Small .

ولكننا اذا تركنا كل هذه التفصيلات والخلافات جانبا ، فانــنــا نجد أن هناك شبه اجماع استقر عليه رأى علماء الاجتماع بخصوص الموضوعات الأساسية للدراسات السوسيولوجية وهى :

١ — دراسة الظواهر الاجتماعية .

٢ — دراسة العمليات الاجتماعية .

٣ — دراســـة الثقافة .

٤ — دراسة التغير فى الثقافة وفى البناء الاجتماعى .

وبذلك ، فان علم الاجتماع يتنــاول جميــع الموضوعات التى تتناول الفــرد من حيث وجوده فى المجتمع ، أى من حيث طبيعتــه الاجتماعيـــة .

وهذا التحديد الشامل يستبعد أى موضوع يتعلق بطبيعة الفرد النفسية ، كما يستبعد طبيعة الفرد الفيزيقية من مجال علم الاجتماع .

فالمعروف أن لكل فرد ثلاث طبائع أساســية متمايزة يعبر كل منها عن ناحية تلقائية فى الانسان (١) .

١ — طبيعة فيزيقية حيوية بوصــفه كائنا حيــا يخضع لظروف البيئة الكلية المحيطة به .

Daniel LERNER.— «Toward a New Paradigm», in W. SCHRAMM and D. LERNER (ed.). **Communication and Change. The Last Ten Years and the Next.** The University Press of Hawaii, 1976 p. 60-64.

٢ — وطبيعة نفسية باعتباره ذاتا فردية لها كيانها .

٣ — وطبيعة اجتماعية يشعر الفرد بمقتضاها أن كيانه متوقف على معيشته مع غيره فى مجتمع معين ، وأنه لا يمكن أن يعيش بمفرده ، بل انه لابد أن يكيف سلوكه وتصرفاته وفق قواعد ونظم يرتضيها مجتمعه .

ويعرف علم الاجتماع بأنه « علم وصفى تقريرى يرمى الى دراسة شئون الحياة الاجتماعية (من دعائم وظواهر ونظم وتيارات اجتماعية) دراسة علمية تحليلية مقارنة ، لشرح ما هو كائن وليس لبيان ما ينبغى أن يكون . ومثال ذلك دراسة العالم الفرنسى اميل دور كايم (١٨٥٨ — ١٩١٧) للظواهر الاجتماعية ، التى اعتبرها أحد أنواع السلوك ، يشترك فيه كافة أفراد المجتمع ، وذات وجود خاص مستقل عن الصور التى تظهر فى الحالات الفردية وتباشر نوعا من القهر الخارجى على الافراد . وسوف نتحدث فيما بعد عن الظاهرة الاجتماعية بشىء من التفصيل .

ثالثا : علم الاجتماع وفروعه :

كان لاتساع نطاق علم الاجتماع ، وتنوع الميادين التى يغطيها بالدراسة ، أن درج كثير من العلماء على تقسيمه الى فروع مثلما فعل علماء آخرون فى علوم أخرى .

ويمكننا أن نأخذ فى دراستنا هنا بالتقسيم الذى قدم من قبل ، الذى يقسم علم الاجتماع الى الأقسام التالية (١) :

---

(١) ارجع الى — مصطفى الخشاب . — **علم الاجتماع ومدارسه** . الكتاب الثانى وموضوعه علم الاجتماع وحقائقه — مطبعة لجنة البيان العربى الطبعة الثالثة ، ١٩٥٨ .

واحمد الخشاب ومحمد طلعت عيسى . — **علم الاجتماع** ، أصوله ومفاهيمه . مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٣ .

ومليحة عونى القصير ومعن خليل عمر . — **المدخل الى علم الاجتماع** . جامعة بغداد ، ١٩٨١ .

علم الاجتماع العــام :

وهو فلسفة العلم والمدخل الى دراســة العلوم الاجتماعية • ويجب أن يشمل هذا العلم دراسة المقومات العامة للحياة الاجتماعية والبحث فى طبيعة المجتمع وأشــكاله ، وخواص ظواهره ونظمــه ، والعلاقات والروابط الاجتماعية ســواء بين الأفراد أو بين النظــم والظواهر • ويجب أن يشمل هذا العلم أيضا أسس الدراسة ، ومنهج البحث والطرق العلمية المؤدية الى كشــف القوانين الاجتماعيــة ، ومراتب هذه القوانين من حيث العمومية وضــبط الأحكام • ويدخل فى نطاق هــذه المناهج المبحث الذى يســـمى « قياس الظاهرات الاجتماعية » Sociometry ويلحق بهذا العلم كذلك دراسة التفكير الاجتماعى والمدارس الاجتماعية المعاصرة ، للوقوف على ماضى العلم ، وحاضره وما ينتظر منه لتحقيق مجتمع المستقبل •

علم أصول الحضارات وتطورها :

وهو العلم الذى يدرس المجتمعات المتأخرة ، وأصول المدنيات القديمة ، وتفرعها وانشعابها وانتشار التراث الثقافى ومظاهر التخلف الثقافى ، والقوى الاجتماعية المؤثرة فى التطور الاجتماعى ، ســـواء كان هذا التطور كليا أو جزئيا • ويجب أن يشمل هذا العلم المباحث والدراسات الآتيــة :

١ — علم الانسان والأجناس ولا سيما الجانب الاجتماعى منهما وهو ما يسمى بالأنثروبولوجيا والاثنوجــرافيا الاجتماعى ، والذى يسميه بعض العلماء :

Social Anthropology and Ethnography Anthroposociology

٢ — علم الاجتماع الثقافى ويدرس الثقافة وانتشارها وعناصر التراث الثقافى ومظاهر تخلفه وهو ما يسمى Sociology of Culture

٣ — التطور والتغير الاجتماعى Social of Change

ويسميه بعض العلماء الديناميك الاجتماعى Social Dynamic

المورفولوجيا والديموجرافيا :

ويشمل هذا العلم فرعين :

١ — المورفولوجيا وهو دراسة بنية المجتمع وتركيبه وطبقاته والمسائل المتعلقة بنمو المدن وتخطيطها والوظائف التى تؤديها •

٢ — الديموجرافيا « أو الدراسة السكانية » ويدرس المسائل المتعلقة بالعناصر السكانية والتوزيع السكانى ومظاهر الكثافة والتخلخل السكانى ، والهجرة الداخلية والخارجية والموسمية ومبلغ ارتباطها بالنشاط الاجتماعى ، ويسمى هذا المبحث بعلم السكان •

العلوم الاجتماعية الخاصة (أو ما يسمى بعلم الوظائف الاجتماعية) وهى :

١ — الاجتماع الأسرى ويدرس الأسرة وما يتصل بها من ظواهر ونظم •

٢ — الاجتماع الاقتصادى ويدرس الظواهر والنظم الاقتصادية فى المجتمع •

٣ — العلم السياسى ويدرس الظواهر والنظم السياسية

وما يتصل بها علم الاجتماع من مشاكل وعلاقات دولية (١) .

٤ — الاجتماع القضائى والجنــائى ويدرس الناحية القانونية والقضائية والنظم المتصلة بالمسئولية والجزاء والانحرافات الشــاذة والجرائم وما اليها .

٥ — الاجتماع النفسى ويدرس نفسية الشعوب والقوى المؤثرة فى الجماهير والزعامة ومقوماتها والرأى العام واتجاهاته (٢) .

٦ — الاجتماع الاخلاقى ويدرس المعايير الاخلاقيــة والعــرف والعادات والتقاليد .

٧ — الاجتماع الجمالى ويدرس معايير الجمال والفن باعتبــاره ظاهرة اجتماعية .

٨ — الاجتماع اللغــوى ويدرس اللغــة فى نشــأتها وتطورها وانشعابها وصراعها مع غيرها من اللغات وقيام اللهجات .

٩ — الاجتماع التربوى ويدرس النواحى التربوية ولا ســيما التربية الوضعية التى تتجه بالنظم التعليمية نحو الغايات العلميــة والتطبيقية ونحو تحقيق أهداف المجتمع ومطالبه .

---

(١) راجع زيدان عبد الباقى . — **علم النفس الاجتماعى فى المجالات الاعلامية** ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٨ .

2. Roger Gérand SCHWARTZENBERG.—**Sociologie Politique.** Collection Université Nouvelle. Editions Montchrestien, Paris 1974.

— Jean — Pierre COT et Jean—Pierre MOUNIER.— **Pour une sociologie politque.** Deux Tomes. Collection «Politique» Editions du Seuil, Paris, 1974.

١٠ — الاجتماع الدينى ويدرس النظم الدينية من معتقدات وطقوس وعبادات •

١١ — الاجتماع الريفى والمدنى أو « دراسات فى البيئة الاجتماعية » (١) Urban and Rural Sociology ويسميه بعض علماء الاجتماع فى أمريكا Sociology of Ecology

وقد كان الدافع لقيام هذا المبحث الجديد هو سرعة نمو المدن الصناعية وزيادة مؤسساتها وتعقد العلاقات الاجتماعية فيها وتغير مستويات المعيشة بتغير الظروف الاقتصادية والسياسية وتبعا لزيادة عدد السكان ، وما كان لمسائل التصنيع من أثر فى هجرة الأفراد من الريف الى المدن ، ومن تحسن فى وسائل المواصلات • ويهتم القائمون بهذه الدراسة بالمسائل المتعلقة بالتركز السكانى والهجرة والانعزال المحلى Segregation لبعض الطوائف والطبقات الاجتماعية وانحلال الروابط المحلية والأسرية وانخفاض معايير الذوق العام •

ويدخل بعض العلماء فى نطاق هذا العلم الفرع الجديد المتعلق بشئون التصنيع وهو علم الاجتماع الصناعى •

١٢ — علم الاجتماع الحربى . أو سوسيولوجيا الحرب . وهو العلم الذى يدرس الحرب من حيث نشأتها ودوافعها وأسبابها الكامنة فى طبيعة المجتمعات والنظريات التى قيلت فى تفسيرها وقد تقدم هذا العلم تقدما كبيرا فى انجلترا وأمريكا ، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية ، لأن العلماء المحدثين أدركوا أن قوة الدفاع لا تتوقف فحسب على اعداد الجيوش من النواحى المادية والفنية ، بل يجب أن يدخل فى تقدير المشرفين على شئون الدفاع المسائل الاجتماعية ودراسة نفسية الشعوب فلا يقتصرون على ما تقدمه لهم العلوم الطبيعية من خدمات لاستغلال الطاقة المادية بل

I. E. E. BEREL. — **Urban Sociology**. The Mac Graw-Hill Book Co, Inc, New York 1955.

يجب الاهتمام بما تقـدمه العـلوم الانسـانية وخاصـة الاجتماعية من معلومات تفيد شئون الحرب •

١٣ — علم الاجتماع التطبيقى : وهو العلم الذى يدرس درجة الانتفـاع بحقـائق الاجتماع والقوانين الاجتماعيـة فى الاصـلاح الاجتماعى ومحاولة الارتقاء بالنظم والأوضاع القائمة ومعالجة المقبل منها • ويدخل فى هذا الصراع الدراسات المتعلقة بالتنظيم والتنسـيق الاجتماعى والرقابة الاجتماعيـة والتخطيط الاجتماعى والهندسـة الاجتماعية وما الى ذلك من الأمور التى ينطـوى عليهـا الاصـلاح الاجتمـاعى •

والى العلوم الاجتماعية الخاصة ، أو ما يسمى بعلم الوظائف الاجتماعية يمكننا أن نضيف أحدث فرعين فى علم الاجتماع وهما :

١٤ — علم اجتماع المعرفة (١) •

١٥ — علم الاجتماع الاعلامى •

هذا يدل على أن علم الاجتماع يتشعب وينمو باستمرار فتظهر علوم جديدة تربط بينه وبين سائر العلوم • فقد أصبحنا نقرأ عن علم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع النفسى (٢) وكذلك علم الاجتماع السياسى ، وعلم السياسة الاجتماعية •

---

1. **Gunter EISERMANN.**—«Fondements d'une sociologie de la connaissance empirico-systématique» in Jean DUVIGNARD et als. **Sociologie de la connaissance,** Payot Paris 1979. p. 85 — 111.
-- Michel MAFFESOLi --«Conflits, dynamique collective» in, J. DUVIGNARD et als. -- **Sociologie de la connaissance,** ibid.

(٢) زيدان عبد الباقى . — **علم النفس الاجتمـاعى فى المجـالات الاعلامية** . مرجع سابق — ص ٩٦ — ١٠٨ .

أما بالنسبة للاعلام ، فقد أصبح فى الامكان قيام علم يختص بالاجتماع الاعلامى ، وآخر للاعلام الاجتماعى ، بعد أن أصبحنا فى حاجة ماسة الى دراسة اجتماعية لوسائل الاعلام • وترجع أهمية القيام بدراسات اجتماعية لوسائل الاعلام ، الى ظهور تغيرات فى المجتمعات نسبت الى تلك الوسائل •

مما سبق نستطيع أن نقول ان علم الاجتماع يتناول مختلف المجالات والأنشطة التى يمارسها الفرد فى المجتمع • وهذا يفسر لنا مدى ارتباط علم الاجتماع بعلوم انسانية مثل التاريخ والجغرافيا وعلم النفس ، وكذلك ارتباطه بالعلوم الاجتماعية الأخرى مثل السياسة والاقتصاد والاعلام •

فالعلاقات الاجتماعية — موضوع علم الاجتماع — تتأثر بعوامل كثيرة ، منها أحوال الفرد النفسية ، والظروف السياسية والاقتصادية التى تتم فى اطارها هذه العلاقات ، بل تتأثر هذه العلاقات الاجتماعية بالعوامل الجغرافية والطبيعية للمجتمع •• ولذلك ، فان هناك صلة وثيقة بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الانسانية بل والطبيعية أيضا •

رابعا : علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى :

سنكتفى هنا بما فى كتب علم الاجتماع من أمثلة (١) لمعرفة العلاقة بين علم الاجتماع وبعض العلوم الأخرى • الا اننا سنحاول تقديم تصورنا الخاص للعلاقة التى يمكن أن تقوم بين علم الاجتماع وعلم الاعلام •

علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد :

اذا كان علم الاقتصاد يدرس وسائل الانتاج والاستهلاك والتوزيع ، فان علم الاجتماع يدرس آثر توزيع الثروة على نظام

---

(١) احمد الخشاب وآخرون . — **مبادىء علم الاجتماع** . مكتبة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٥ •

الطبقات الاجتماعية ومدى الفـروق الاجتماعية بين أفراد المجتمـع الواحد ، وأثر هذه الفروق على كيان المجتمع بصفة عامة ، كما أن علم الاجتماع فى حاجة الى دراسة النظريات والمذاهب الاقتصادية ، ومدى تأثيرها على المشاكل الاجتماعية المختلفة .

فبينما يدرس الاقتصـاد ظاهرة التداول مثلا على أنها حقيقة واحدة تتداول بمقتضاها السلع بطريق النقود فيبحث فى الاسـعار والعوامل التى تؤدى الى انخفاضها وارتفاعها بمقتضى قوانين العرض والطلب التى تقرر أنه كلما زاد العرض وقل الطلب انخفض السعر ، وبالعكس ، كلما قل العرض وزاد الطلب ارتفع الثمن ، ينظر اليها علم الاجتماع على أنها متطورة ، متعددة وتختلف باختلاف المجتمعات . فيثبت مثلا أن التداول كان ولا يزال فى بعض المجتمعات المتخلفة يقوم على أساس المقايضة أو الهدايا الملزمة التى تتبادلها القبائل فى مناسبات اجتماعية خاصة ، كالمواسم والأعياد والحفلات الدينية ، وأن النقود ليست هى الوسيلة الوحيدة لتداول السلع والخدمات .

علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة :

لكل مجتمع نظامه السـياسى الذى يشـمل شـكل الحكومة ، واختصاص السلطات القائمة فيه ، وحقوق الأفراد وواجباتهم ، وعلم الاجتماع يدرس مدى تأثير هـذه النظم السياسـية على النظـم الاجتماعية الأخرى فى المجتمع . فمثلا اذا كان النظام السياسى القائم فى مجتمع ما يقوم على الروح الديمقراطية فان لذلك أثره فى نواحى الحياة المختلفة فى هـذا المجتمع ، فيتأثر بهـا التعليم وحرية الرأى والحرية الاقتصادية .

فعلم السياسـة مثلا ، يهتم بوضـع دسـتور للمجتمع يحدد اختصاصات هيئاته (تشريعية — تنفيذية — قضائية) ، بينما علـم الاجتماع يعنى بدراسة أثر النظام السياسى على الوظائف الاجتماعية

وعلى حقوق الأفراد وواجباتهم ، ويقارن بين أثر النظم السياسية المختلفة على هذه النواحى فى المجتمعات التى تتباين فى نظامها السياسى • فاذا أخذنا أثر النظام السياسى على النظام التربوى مثلا ، نلاحظ فرقا بين نظم التربية فى ظل النظام الفاشى (ايطاليا) ونظم التربية فى ظل النظام الديمقراطى •• ففى ظل النظام الأول تتجه التربية الى بذر بذور الخضوع المطلق ، وتقديس الشعارات ، وعدم اطلاق حرية الرأى فيما يتعلق بنظام الحكم ، وبذر بذور العنصرية والتعصب للجنسية ، والحث على كراهية الشعوب المعادية ، أو المنافسة ، كما كان الحال فى ألمانيا النازية مثلا (فى عهد هتلر) • أما فى ظل النظام الديمقراطى ، فتتاح فرص التعليم للأفراد ، وتتبادل الآراء والأفكار والمناقشات ، ويشعر الفرد بذاتيته فى المساهمة فى حكم البلاد •

علاقة علم الاجتماع بالتاريخ :

لا شك أن دراسة تاريخ المجتمع يساعد كثيرا على تفهم ودراسة الظاهرات الاجتماعية فيه ، فيعين على معرفة أصولها وتطوراتها ودوافعها ، فكثرة جرائم القتل المنتشرة فى صعيد مصر قد ترجع الى الرغبة المتأصلة فى الأخذ بالثأر • وهنا تبين الدراسات التاريخية أصل هذه العادة وكيف يتوارثها الخلف عن السلف ، وهذا يعين البحث كثيرا فى مجال العلاج والاصلاح •

علاقة علم الاجتماع بعلم النفس :

يبحث علم النفس فى دراسة سلوك الانسان وغرائزه وانفعالاته وميوله الفردية • ولما كان الفرد لا يعيش الا فى وسط جماعى ، فانه يتكيف ويتأثر بالبيئة الاجتماعية ، وينتج عن ذلك أنواع من النشاط النفسى لا يمكن أن يدرسها علم النفس الفردى • فظاهرة المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية ، كالمشاركة الوجدانية والتعاون ، وكغريزة التجمع نفسها ، تعتبر محورا للدراسات الاجتماعية والنفسية معا ،

ودراسة الذوق العام والقيادة والزعامة (١) وآثارها على المجتمعات والرأى العام — كل تلك الأمور وما اليها ، أصبحت موضوعا مشتركا بين علم النفس وعلم الاجتماع ، بل ان فرع علم النفس الذى يعنى بدراسة هذه النواحى يعرف الآن باسم : « علم النفس الاجتماعى » .

علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا :

للأوضـــاع الجغرافية والعوامل الطبيعيـــة أثر كبير فى حيـــاة المجتمعات من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .. حتى أن بعض العلماء ينسبون للعامل الجغرافى كل الأثر فى حياة المجتمع كأثر المناخ على سلوك الأفراد من حيث الجرائم الخلقية المختلفة ، كالسطو والقتل والنشـــاط الجنسى ، كما يختلف ســكان الجبال فى عاداتهم وتقاليدهم وتصرفاتهم عن سكان الوديان والسهول ولذا كان علم الاجتمــاع يهتم كثيرا بالعوامل الجغرافية فى مجال دراســاته الاجتماعية لأى مجتمع . فنجد مثلا فى البيئات المعتــدلة ، يختلف شكل المدارس عنها فى البيئات الباردة ، فيتمتع أبناء البيئات الأولى (المعتدلة) بالتعليم فى الهواء الطلق (الفصول المفتوحة) ، بينمـا لا يتأتى هذا فى البيئات الثانية (الباردة) . كما يؤثر هــذا العامل أيضا فى سن الالتحاق بالمدارس . فنجد مثلا فى البيئات الأولى أن الأطفال يمكن أن تلتحق بالمدارس فى سن متقدمة (٥ — ٦ سنوات) بينما فى المناطق الثانية يتراوح سن الالتحاق (٧ — ٨ سنوات) كما أن للموقع الجغرافى أثره على الوضع السياسى للمجتمع . فالبــلاد ذات المواقع الاستراتيجية كانت ولا تزال محط أنظار المستعمرين كما هو الحال فى مصر .

---

(١) من الكتابات التى تهم الاعلامى فى هذا الموضوع ، نحيل القارىء الى مجموعة من البحوث لكل من كارترايت وفستنجر وآخرين ترجمة محمد طلعت عيسى . — **تنظيم وقيادات الجماعات** . اساليب البحث والاصول النظرية . سلسلة الانسان والمجتمع — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — الطبعة الاولى ، ١٩٦٥ .

علاقة علم الاجتماع بالاعلام :

وهو الموضوع الذى سنتناوله فى دراستنا بشىء من التفصيل ٠ ولكن يجب علينا أن نشير هنا الى أننا اذا كنا نرى أن علم الاعلام يدرس خصائص وسائل الاعلام المختلفة وتطورها وانتشارها ٠٠ فان علم الاجتماع يدرس اختلاف وسائل الاعلام باختلاف المجتمعات ٠٠ فبينما يدرس علم الاعلام الخصائص العامة لكل وسيلة من وسائل الاعلام ، فان علم الاجتماع يدرس النظم الاجتماعية التى تؤثر فى هذه الوسائل داخل المجتمع ، اذ أن علم الاجتماع ينظر الى هذه الوسائل على أنها متعددة ومتداورة وترتبط بظروف المجتمع الذى تعمل فيه ٠٠ ، أى أنها لا تعمل منفردة ، بل تتأثر كما تؤثر فى النظم والظاهرات الاجتماعية الأخرى ٠ فوسائل الاعلام مثلا فى القرية ، تختلف عن وسائل الاعلام فى المدينة ، واذا كانت السمة الغالبة على نظام الحكم فى مجتمع ما هى الدكتاتورية ، فان ذلك ينعكس على وسائل الاعلام التى تصبح عندئذ بوقا للجهاز الحاكم ، بل ان ذلك يؤثر أيضا فى حجم الاعلام داخل هذا المجتمع الذى ينعدم فيه صوت المعارضة ، كذلك النظام الاقتصادى فى المجتمع يتأثر ويؤثر فى وسائل الاعلام ، فان دور وسائل الاعلام يختلف فى دولة رأسمالية عنه فى دولة اشتراكية ، كما أن محتوى وسائل الاعلام نفسه يختلف باختلاف النظام الاقتصادى ، وهكذا ٠٠٠ (١)

خامسا : ماهية علم الاجتماع الاعلامى :

قبل أن نتكلم عن مفهومنا لعلم « الاجتماع الاعلامى » نتعرف أولا على شروط — أو خصائص — قيام العلم (٢) ٠

---

(١) ارجع فى ذلك الى الكتب الخاصة بالدراسات الاعلامية ٠

(٢) انظر فى تعريف العلم — عبد الحليم محمود السيد ٠ — علم النفس **الاجتماعى والاعلام** ٠ المفاهيم الاساسية ٠ دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١ — ١١٠ ٠

شروط أو **خصائص قيام العلم :**

من أهم خصائص قيام العلم توافر الشروط التالية :

١ — وجود طائفة متميزة من الظواهر يتخذها العلم موضوعا للدراسة والبحث .

٢ — خضوع هذه الظواهر فى دراستها لمنهج بحث .

٣ — الوصول فى ضوء مناهج البحث هذه الى طائفة من القوانين العلمية التى تحكم تلك الظواهر (١) .

تعريف علم الاجتماع الاعلامى :

وانطلاقا من المفهوم السابق ، يمكننا أن نقول ان علم الاجتماع الاعلامى ، الذى هو فرع من فروع علم الاجتماع ، هو دراسة وصفية علمية تحليلية مقارنة لوسائل الاعلام من حيث وجودها فى المجتمع الانسانى مؤثرة ومتأثرة به .

فهو اذن العلم الذى يدرس وسائل الاعلام كظاهرة اجتماعية ، دراسة وصفية ، أى دراسة الواقع الفعلى لهذه الوسائل ، أو بأسلوب آخر ، دراسة ما هو كائن وليس ما ينبغى أن يكون .

---

(١) فبدون الاحكام العامة والقوانين الكلية تصبح الدراسة عديمة الجدوى ولا ينطبق عليها اسم « علم » ولعل هذه النقطة بالذات هى التى اخرت قيام علم الاجتماع وفوتت عليه فرصة النشاة والاستقلال منذ القدم شأن فروع المعرفة الانسانية الاخرى كما يقول الدكتور مصطفى الخشاب — راجع : **علم الاجتماع ومدارسه** — الكتاب الثانى ، وموضوعه دعائم علم الاجتماع وحقائقه — الطبعة الثالثة . مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٨ ، ص ٧ — ١٨ .

والتأكيد بأن تكون هذه الدراسة علمية ، يشير الى أهمية أن يتحرر الدارس من سيطرة بعض المقولات والأفكار الشائعة التى اكتسبت قوة من خلال تعودنا عليها خلال فترة من الزمان .

كما يؤكد هذا التعريف أيضا **على موضوعية وشيئية** الدراسة ولن يتم ذلك الا باستخدام مناهج البحث العلمية .

أما كون أن تكون هذه الدراسة تحليلية ، فهذا يعنى ارجاع موضوع الدراسة الى عناصره الأولية .

كما يشترط أيضا أن تكون تلك الدراسة **مقارنة** ، سواء مقارنة كل وسيلة بوسيلة أو بأكثر من الوسائل الأخرى ، أو مقارنة مايحدث ، أو خصائص كل وسيلة فى مجتمع ما ، مع مثيلاتها فى المجتمعات الأخرى ، وعندما نتكلم عن « مجتمعات أخرى » فالمقصود هنا أوسع وأشمل من أن يتحدد بالمجتمعات المعاصرة ، بل هناك أيضا البعد الزمنى ، أى مقارنة ما يحدث حاليا فى المجتمع بما حدث فى عهود سابقة ، سواء بالنسبة للمجتمع ذاته ، أو ما حدث فى مجتمعات أخرى . وهذا يشير الى أن المقارنة فى مثل هذه الدراسات جائزة عندما نأخذ فى الاعتبار عنصر الزمان أو المكان أو كليهما معا .

خطوات الدراسة الاجتماعية لوسائل الاعلام :

وتتم الدراسة الاجتماعية لوسائل الاعلام فى خطوتين :

١ — دراسة مورفولوجية : أى دراسة بنية كل وسيلة من حيث النشأة والتطور والانتشار .

٢ — دراسة فسيولوجية : وذلك بدراسة الدور الوظيفى الذى يمكن أن تؤديه كل من هذه الوسائل داخل المجتمع بغية الوصول الى القوانين التى تحكمها .

وليس بخاف أن هذه الدراســـة الفسيولوجية للدور الذى يمكن أن تؤديه وسائل الاعلام داخل المجتمع يتطلب معرفة خصائص هذا المجتمع الذى تعيش فيه تلك الوســـائل فكما يقــول ولبور شرام فى مقدمة أحـــد كتبه :

«There is no meaning in a message except what people put into it. When we study communication, therefore, we study people .. To understand how people relate to one another».. (1)

وسائل الاعلام والظاهرة الاجتماعية :

قبل أن نتحدث عن وسائل الاعلام ، يجب أن نتعرف أولا على ماهية الظاهرة الاجتماعية والتى ســـبق أن أشرنا اليها فى الصفحات الســـــابقة .

ماهية الظاهرة الاجتماعية :

يكاد ينفرد العـــلامة الفرنسى دور كايم (١٨٥٨ — ١٩١٧) دون غيره من علماء الاجتماع بأنه بذل قصارى الجهد فى تشخيص الظاهرة الاجتماعية وابراز خصائصها النوعية وما تمتاز به من صفات حتى يخلق لعلم الاجتماع منطقة نفوذ خاصة به .

ولكن ما هى الظاهرة الاجتماعية لدى دور كايم ؟ (١)

وجد دور كايم أن ثمة ظواهر معينة فى الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها فى ضـــوء التحليل النفسى أو الطبيعى ، فهنـــاك أنماط من السلوك ، وضروب من التفكير والشـــعور ، تتميز بأنها خارجة عن

I. WILBUR SCHRAMM. — **Men, Messages and Media : A Look at Human Communication.** Harper, ROW, New York, 1973, p. 3.

الفرد ، أى لها وجود خاص مستقل عن الصور التى تظهر فى الحالات الفردية ، كما أنها تتمتع بقوة وتباشر نوعا من القهر على الأفراد •

وقد قسم دور كايم الظواهر الاجتماعية الى نوعين :

النوع الأول ويشمل الظواهر الاجتماعية العامة والتى تفرض نفسها على كافة شرائح المجتمع •

النوع الثانى : يضم الظواهر الاجتماعية الخاصة التى تظهر فى بعض شرائح المجتمع تحت ظروف اجتماعية خاصة ، وفى فترة زمنية محدودة •

والأمثلة التى يمكن أن نعطيها للظاهرة الاجتماعية عديدة • ومن أهم الظواهر يمكن أن نذكرها : قواعد الأخلاق ، الأسرة ، والممارسات الدينية ، وقواعد السلوك المهنى • مثل هـذه الحقائق هى الظواهر الاجتماعية فى نظر دور كايم التى تشكل لديه الميدان الحقيقى لعلم الاجتماع « فعلم الاجتماع عند دور كايم هو اذن دراسة الظواهر الاجتماعية » •

ويمكننا الكشف عن الظواهر الاجتماعية بطريقتين :

الأولى : من خلال القوة القاهرة والملزمة التى تمارسها على الأفراد ، والتى تتجلى عموما فى الجزاءات المصاحبة لانماط السلوك •

أما الطريقة الثانية ، فتتمثل فى انتشارها وعموميتها فى الجماعة •

وتأصيلا على ذلك يخرج دور كايم المحاكاة من دائرة الظواهر

---

١ — يطلق أميل دوركايم على الظاهرة الاجتماعية اسم :
«Le fait social».

— Emile DURKHEIM. — **Les règles de la méthode sociologique.— PUF, 10e édition, Paris 1947.**



الاجتماعية لأن المحاكاة عملية فردية تكمن فى الفرد ذاته برغم ما قد يترتب عليها من نتائج اجتماعية .

وقد اختلف جبرائيل تارد (١٨٣٤ — ١٩٠٤) مع دور كايم فى شأن المحاكاة التى اعتبرها تارد ظاهرة اجتماعية (١) . وقد اعتمدت المدرسة النفسية فى تفسيرها للحياة الاجتماعية على المحاكاة والتقليد التى تأخذ ثلاث مراحل هى (٢) :

(أ) مرحلة الصعود : أى بداية المحاكاة .

(ب) مرحلة الانتشار : التى يكون فيها التقليد قويا وفعالا .

(ج) مرحلة الانحدار : التى تشير الى انتهاء فترة التقليد والمحاكاة تمهيدا لاختفاء الظاهرة فى المجال الاجتماعى .

وترى المدرسة النفسية أيضا بأنه لا يمكن دراسة المجتمع بشكل علمى الا اذا درسنا تكرار وتماثل سلوك الأفراد فى المجتمع . ومفهوم التقليد عندها يعنى النفس فى الذاكرة (٣) والعادة التى تنتقل للفرد من خلال اعجابه بنماذج فردية تطمح الى تقليدها ، وبهذه الصورة يصبح التقليد اجتماعيا فى نظرها . ويمكننا أن نستخلص أن هذه المدرسة لا تفرق بين الظواهر الاجتماعية والنفسية الى جانب أنها تنظر للحياة الاجتماعية على أنها :

I. Gabriel TARDE.— **Les lois sociales**. PUF, Paris 1921.
— G. TRADE.— **Les lois de l'imitation**. PUF, Paris 1890.

(٢) أنظر مؤلفات كل من : سمول وجيدنجز وكولى وهوبهوس و وسترمارك .

(٣) مليحة عونى القصير ومعن خليل عمر .— **المدخل الى علم الاجتماع . مطبعة جامعة بغداد** ١٩٨١ ، ص ٢١ — ٢٢ .

١ — عملية تقليد دائمة التوسع لابتكارات جديدة •

٢ — عملية معارضة وحركات صراع لهذا التقليد •

٣ — ظهور ابتكارات جديدة من داخل هـذا الصراع تصـبح بدورها مركزا لتقليدات جديدة وهكذا •

خصائص الظاهرة الاجتماعية كما حددها دور كايم (١) :

الى جانب تقسيم دور كايم للظواهر الى ظواهر عامة وظواهر خاصة ، حدد النقاط الآتية كصفات للظاهرة الاجتماعية :

١ — أنها موضوعية : أى لها وجود خارج عن شـعور الفرد ، لأنها ليست من صنع نفسه ، بل يتلقاها من المجتمع الذى نشأت فيه ، وهى ليست وليدة التفكير الذاتى ، انما أشياء خارجة عن الشـعور الفردى ، كاللغة والدين والقانون تنتقل من جيل لآخر دون أن تتأثر بتغير الأفراد •

٢ — أنها الزامية : لما كانت الظاهرة خارجة عن شعور الفرد ، فهى اما أن تكون حاملة صفة الجذب أو مفروضة على شعوره وسلوكه دون أن يشعر بها ويسـتجيب لها تلقائيا مثل الاخلاق واللغة والدين وأنماط الأزياء والتراث •

٣ — انها انسانية : أى تنشأ داخل المجتمع الانسانى وتشـمل أساليب وقواعد التفكير والعمل الانسانى •

٤ — أنها تلقائية : أى يمارسها الفرد دون تردد لأنها من صنع المجتمع كالمعتقدات الدينية والاخلاقية •

---

1. E. DURKHEIM. — idem.

٥ — **أنها مترابطة** مع بقيـــة الظواهر الاجتماعية الأخرى ومع البيئة الاجتماعية التى ولدت فيها •

وعنـــدما يؤكد دور كايم على موضوعية الظواهر الاجتماعيـــة وضرورة النظر اليها ومعالجتها على أنها أشياء أو وقائع قائمة بذاتها بعد الفكرة التى كانت ســـائدة فى علم الاجتمـــاع حين كان يعنى بالتصورات بدلا من التركيز على الأشـــياء ، فان دور كايم يؤكد أن الغاية الأساســـية لعلم الاجتماع هى تحقيق الموضوعية ، وأن مثل عالم الاجتماع مثل العالم الطبيعى الذى يفترض أنه يرتاد ميـــدانا غير معروف وغير مكتشف • وحينما يقوم باجراء بحثه على هذا النحو يستطيع أن يتعرف على الظواهر من خلال ملاحظة الظواهر الخارجية الملموســـة مثل الولاء الدينى والمكانة الزواجية ومعدل الانتحـــار • ويؤكد دور كايم أن هذه الظواهر التى أمكن ادراكها عن طريق التحليل المتعمق لها ، انما هى بمثـــابة انعكاس لظروف اجتماعية معينـــة ، فمعدلات الانتحار — مثلا — قد تصـــور درجة التضامن الاجتماعى فى مختلف أنماط الجماعات •

والواقع أن معالجع دور كايم للظواهر الاجتماعية قد عملت على خلط كثير من الحقـــائق السوسيولوجية الهامة ببعض الأفكـــار القابلة للنقاش ، فهـــو يعتقد مثلا أن من الخطأ تفســـير الظواهر الاجتماعية فى ضـــوء سلوك الأفراد ودوافعهم ، ويرجع ذلك الى أن صياغة الظاهرة الاجتماعية تقتضى أن يخضع السلوك الفردى لعملية تشبه تركيب القوى ، بحيث تكون المبادىء التى تحكم هذه العملية ليست هى مبادىء علم النفس الفردى •

تعريف الظاهرة الاجتماعية :

يعرف البعض الظاهرة الاجتماعيـــة بأنها تفاعل بين شـــخصين أو أكثر • ولكى يتم هـــذا التفاعل يتعين أن يكون الفعل الانســـانى الصادر على شـــخص معين معتمدا على وجود فعل آخر صـــدر عن

شخص آخــر • ومن الممكن بالطبع ملاحظة التفاعل بطريقة مباشرة طالما أن الفعل يمثل حركة فى العالم الخارجى • أما عن عنصر الاعتماد فنستطيع اكتشافه من خلال التفســير الذى يمكن أن يقدمه ملاحظ مشارك يستعين بقدراته فى اعادة بناء عقلى للعمليات التى توحى بها اليه الأفعال الصادرة عن الآخرين •

وحينما يحدث التفاعل ، فاننا نستطيع حينئذ القول بأن الأفراد قد أصبحوا أطرافا فى علاقة اجتماعية • وحينما تستمر هذه العلاقات الاجتماعية وتدور فانها تشكل جماعات اجتماعية تتألف من أشخاص أو أجزاء لكل منها ذاتيتها وفرديتها ، وذلك يعنى أن الكل يمتلك خواصا يمكن ألا تتوافر فى أى من هذه الأجزاء منفردة • ويعكس هذا التعدد النزعة السوسيولوجية الواقعية المعتدلة التى هى سائدة الآن •

نشأة الظاهرة الاجتماعية :

يحتاج النــاس فى المجتمع الواحد الى تبــادل الآراء والأفكار فتظهر اللغة التى يكون لها قواعد خاصة تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر ، فلابد من أن يكون لكل مجتمع لغته الخاصة أو لهجته وهى تنتج تلقائيا من اجتماع الناس مع بعضهم •

كذلك يشــعر الناس أيضا بحاجتهم الى حفظ النــوع والتوريث فتنشأ الأسرة ، فالأسرة ظاهرة اجتماعية لها قواعدها ونظمها الخاصة التى ترمى الى تنظيمها وتنسيق العلاقات بين أفراد العائلة بعضهم مع البعض الآخر مثل تنظيم وسائل الزواج والطلاق والميراث ••• ويشعر الناس كذلك بحاجتهم الى تبادل المنافع فيظهر تقسيم العمل والتعاون فى انتــاج ما يحتاج المجتمع الى اســتهلاكه من الحاجات الضرورية والكمالية •

يمكننا أن نوجز ما سبق ذكره فى أن الظواهر الاجتماعية تتولد من تلقاء نفسها كلما اجتمع الناس مع بعضهم ، وترابطت وتشابكت

مصالحهم ، واتحدت رغباتهم ، وتفاعلت وجداناتهم ومشـــاعرهم ، وذلك لتنظيم العلاقات فيما بينهم داخل المجتمع .

وانطلاقا من هذا يمكننا أن نؤكد أن وسائل الاعلام — بصفة عامة — ظاهرة اجتماعيـــة ، تختلف باختـــلاف المجتمعـــات عـــلى مر العصور . كما ان ما نطلق عليه اسم وسائل الاعلام ، والتى تقوم بنقل الافكار فى رســـائل بين الافراد والجمـــاعات ، تسمح للانسان الاجتماعى ، الذى يتصـــــل بأمثاله ، أن يتغلب على عنصرى الزمان والمكان . أى أننا نعتبر وسائل الاعلام وسائط لنقل التفاعل بين أفراد المجتمع الانسانى « الكبير » أو ما يطلق عليه العالم الفرنسى روبرت أسكاربيت (١) صفة « ذو الحجم الضخم » . «Hyper-dimension»

1. Robert ESCARPIT.—**La théorie de l'information et pratique politique.** — Editions du Seuil, Paris 1981, p. 103 — 134.

المبحث الثانى

اهتمام علماء الاجتماع بالاعلام

١ – بداية الاهتمام بالدراسات الاعلامية

اهتم علماء الاجتماع ولفترة طويلة بالمســار الخطى للرســالة الاعلامية من « المرسل » الى « المستقبل » عندما ذاع فى عام ١٩٣٤ نموذج عالم الاجتماع الأمريكى هارولد لازويل Harold LASSWELL والذى تبناه فى سنة ١٩٤٨ فى بناء نظرية للاعلام قائمة على خمســة تســاؤلات (١) :

مــــن ؟	Who ?
يقول ماذا ؟	Says What ?
بأى وسيلة ؟	In Which channel ?
لمــــن ؟	To Whom ?
وما هو التأثير ؟	With What effect ?

وحول هذه التســاؤلات الخمســة تكون أحدث فرع فى علم الاجتماع الأمريكى يختص بسوسيولوجية « وســائل الاتصــــال الجماهيرية » خلال الفترة من ١٩٤٠ — ١٩٥٠ .

ومن الطريف أن نشير هنا الى أن هذه الأسئلة الخمسة المطروحة فى نموذج لازويل قد استخدمها كانتليان Quintilien منذ عشرين قرن فى بيت من الشــعر اللاتينى يقول فيه : هنــاك من قام بفعل

I. Harold LASSWELL. — «The Structure and Function of Communication in Society» p. 117 — 118 in W. SCHRAMM. — **Mass Communication.**— University of Illinois Press, second Edition, 1960.

شيء ما ، فمن هـو ، وماذا فعل ؟ ومن ساعده ؟ وأين حدث ذلك . ومتى ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟

Quis? Quid? Ubi? Quibus? Auxilis? Cur? Quomodo ?

ولما كان اهتمام لازويل موجها فى البداية الى الدعاية السياسية ، فقد ركز على دراسة الجمهور وتأثير الرسالة الاعلامية على هذا الجمهور .

ولكن لازويل لم يكن وحده فى هذا المضمار ، فالملاحظ أن معظم الدراسات الأمريكية فى مجال الاتصال — ان لم يكن كلها — كانت تهتم بصفة خاصة بالموضوعات التى تدور حول الجمهور To Whom وحول التأثير «Effect»

والى جانب الدراسات الخاصة بالجمهور والتأثير ، اهتم علماء الاجتماع أيضا فى دراساتهم بمضمون الرسالة الاعلامية What مثل الدراسات التى قام بها ماكس فيبر M. WEBER للمذهب البروتستانتى والفكر الرأسمالى (١) .

وغنى عن البيان أن الباحثين فى هذا المجال ، والذين يهتمون بدراسة الرسالة ودرجة وضوحها وفعاليتها يلجأون دوما الى تحليل المضمون كأداة للبحث .

ولم يغفل الباحثون أيضا دراسة القائم بالاتصال «Who»

1. Joseph FOLLIET.—**L'information moderne et le droit a l'information,** Chronique Sociale de France. la diffusion Gamma Paris 1969 p. 61. et, Philippe GAILLARD. — **Technique du journalisme** PUF. Coll. Que sais — je? 2e édition 1957. p. 35 — 36.

1. Jacques MOUSSEAU. — **Les communications de masse.** (Ouvrage Collectif) l'Univers des mass media. Hachtte. Paris 1972. p. 30.

فهناك دراسات عديدة حول الخصائص الاجتماعية للقائم بالاتصال « المرسل » شخصيته وثقافته .... الخ (١)

أما موضوع الوسيلة **Channel** فقد أشبع هو الآخر بحثا ودراسة ، وتوافينا الاحصاءات دوما بتعداد أجهزة الراديو ، والتليفزيون ، وعدد القنوات ، وتعداد الصحف ، وعدد النسخ ... وغيرها من البيانات التى تهم الاعلام والاعلاميين (٢) .

---

1. Francis BALLE et. J.g. PADIOLEAU. — **Sociologie de L'information.** Textes fondementaux. Paris Larousse. Université, collection Sciences Humaines et Sociales 1973, p. 71 — 7.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر ، الاحصائيات التى تصدرها اليونسكو فى هذه الموضوعات .

اتجاهات الدراسة الخاصة بالاعلام

أولا : تطبيق نموذج الاتصال الخطى لدى لازويل على الدراسات الخاصة بوسائل الاعلام :

يظهــــر نموذج لازويل الخطى فى دراســــات بعض الباحثين **فى الدول النــامية مثلمــا يظهــر فى دول مثل** أمريكا أو فرنسا (١) . بل وصل الامر بأحــد البــاحثين الى أن يقسم رســالته الى ثلاثة أجزاء وفقا للنموذج الخطى للاتصال على النحو التالى : (١)

رسم رقم (١)

الاتصــــال الخطى

المرســل ← الرسالة ← المستقبل

---

(١) نذكر على سبيل المثال الدراسة التى أجراها مارينو فى أمريكا اللاتينية :

— Merino UTRARS. — **La investigation cientification de la communication in America Latina,** chasqui Ecuator, 1974. p. 81 — 103. in Everett M. ROGERS.— **Communication and Development Critical Perspectivs.** Sage contemporary Social Science, Issue No. 32 Sage Publications, California 1976.

— Jean GUILLIARD. — **Information et développement en Afrique Noire Francphone.** — Thèse Pour le Doctorat de Spécialité. Sciences Economiques, Université de Paris I, Panthéon Sorbonne. 1974.

2. Théophile — Serge BALIMA. — **La radiodiffusion en Haute-Volta. Thèse de 3e Cycle,** UPTEC Bordeaux, Janvier 1980.

والملاحظ فى هذه الدراسات الخاصة بوسائل الاعلام ، والتى بدأت فى أمريكا ، أنها تركز بصفة خاصـــة على التليفزيون ، وذلك بالبحث عن تأثير هذه الوسيلة على أذواق ورغبات الجماهير • ويمكن ارجاع ذلك الى أن برامج التليفزيون فى تلك الدولة تمولها الاعلانات • ولذلك فان الشركات التجارية التى تنفق على هذه الاعلانات تتفق فيما بينها على دراسة جماهير التليفزيون •

النقـــــد الموجه لنموذج لازويل :

ينادى علماء الاجتماع المهتمون بالاعلام حاليـــا بضرورة البحث عن نماذج أخرى غير نموذج لازويل — ويتزعم هذه الموجة فى فرنســـا كل من :

فرنسيس بال	FRANCIS BALLE
وأوليفيه برجلان	OLiVER BURGELIN
وكذلك جون كلوتييه من كندا	JEAN CLOUTIER

ولا يمل الكندى « جون كلوتييه » عن تكرار أســـفه لاعتمـــاد الباحثـــين على نموذج لازويل (١) • أما ستيفنســـــون Stephenson فينتقـــد نظرية لازويل باعتبار أن لازويل يطالب بأن يحكم العـــالم علماء السياسة • وقد شبه ستيفنسن لازويل بأفلاطون فى جمهوريته المثالية التى حبذ فيها أن يحكم الفلاسفة العالم •

وأكثر ما يهمنا من نقـــد موجه الى نموذج لازويل هو أنه قد اهتم على وجه الخصـــوص بالقائم بالاتصال باعتباره قادرا على الاقنـــاع وتجاهل تماما المجال الاجتماعى أو « المنـــاخ الاجتماعى » الذى يتم

1. Jean CLOUTIER. — l'audio-visuel remis en question» p. 39 — 51, in, **Communication et Langages**, No. 41 — 42, 1er Trimestre, 1979

فى اطـــاره الاتصال البشرى . كما يأخذ البعض أيضا على النمـــوذج المذكور أنه قد تناسى العامل الايديولوجى .

وقد حملت المدرسة الفرنسية لواء البحث عن نموذج آخـــــر للاتصال غير النموذج الذى اقترحه هارولد لازويل فى الثلاثينيات .

وفى عام ١٩٧٦ ، أعاد روبرت اسكاربيت صياغة النموذج واقترح أن يكون على النحو التالى : (١)

من ؟

يستقبل ماذا ؟

فى أى جمـــاعة ؟

بغية أى تأثير ؟

والملاحظ هنا أن اسكاربيت قد انطلق فى نموذجه المقترح من نفس عنوان كتاب كان قد أصدره هارولد لازويل باسم : ? Who gets What من يستقبل ماذا ؟ . وقد عدل ريمون نيكسون RAYMOND NIXON هو أيضا من عبارة لازويل وأضاف شيئا جديدا يتصل بالموقف العـــام للاتصال وكذلك الهـــدف من عملية الاتصال ، فأصبحت العبـــارة لدى نيكسون على النحو التـــالى :

من يقــــول ماذا لمن وما هـــو تأثير ما يقـــال وفى أى ظروف ولأى هدف (٢) .

---

1. Robert ESCARPIT. — **Théorie générale de l'information et de la communication,** Hachette Université, 1976. p. 183.

2. Raymond NIXON. — «Changes in Reader Attitudes Toward Daily News Papers» in, **Journalism Quarterly,** Feb. 1948.

ونحن نتفق ونيكسون فى هــذه الاضــافة ، فقد يختلف تأثير الرســالة عن الهدف منها تحت تأثير عوامل كثيرة من بينها الظــروف التى يتم فيها الاتصال •

ومثال آخر لهذه النماذج التى تعتمد على نموذج لازويل ما قدمه اميل جــيراردن Emile Girardin فى مجال الاعلان التليفــزيونى والذى صاغ نموذجه فى ثلاثة أسئلة (١) :

ماذا نبيــع ؟

وأين ؟

وما هو الثمن ؟

أما عالمة الاجتماع الفرنسية آن مارى لولان A.— M. LAULAN فقد استخدمت نموذجا من ستة مؤشرات منبثقــة هى أيضــا عن نموذج لازويل :

من ؟ يفعل ماذا ؟ لمن ؟ أين ؟ كيف ومتى ؟ (٢)

ولما كانت هذه الباحثة تهتم أصلا بالصورة السينمائية فقد ركزت دراستها حول السؤالين الاولين : من يفعل ماذا ؟ • وتفســير هــذا الاتجاه بأن الاجابة عن هذين السؤالين يمكن أن توضح المســائل التى تتعلق بما يطلق عليه « الانتاج » والبرامج فى هــذا المجال من الدراسات الاعلامية التى تركز على السينما (٣) •

أهميــة نمــوذج لازويل :

وختــاما لهذه المناقشة ، وانطلاقا مما سبق أن ذكرناه من أمثلة ،

1. Cité in Joseph FOLLIET.— **L'information moderne et le droit a l'information.** op. cit. 1969, p. 61.

2. Anne-Marie LAULAN.— **L'image dans la société contemporaine.** Ed. Denoël, Collection le Point de la Question. Paris. 1971. p. 255.

3. idem.

بمكننا أن نؤكد هنـــا على أن نموذج لازويل — وقد انقضى على صياغته حوالى نصف قرن من الزمان — ما زال يشكل النواة التى تدور حولها البحوث فى مجال الاعلام (١) • كما يعتمـد على نموذج لازويل كل من يحاول أن يقترح نموذجا آخـر يمكن تطبيقه فى الدراســات الاعلامية •

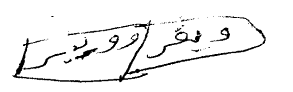
الاميريك الكنـــدى : EMEREC

فى احـدى الدراسات الحـديثة فى كنـدا ، استحوذ القـائم بالاتصـال Who والذى يشكل عنصرا واحدا فى نموذج لازويل — على كل اهتمام جون كلوتييه الذى سبق أن اشرنا اليه (٢) • ويعتبر Cloutier العنصر « من Who » فى عملية الاتصـال تشخيصـا للانســان العصرى الذى هو فى نفس الوقت مرسـل Emetteur ومســتقبل Recepteur • وقد أطلق جـون كلوتييه على هــذا العنصر اسما مشـتقا ومركبـا من الكلمتين مرسـل ومستقبل EMEtteur-RECepteur وهـــو EMEREC •

ويعبر هذا الكندى بالعنصر Emerec عن وحـدة انثروبولوجية هى الانسان الاجتماعى L'homo-Communicans ، الذى هو فى نفس الوقت مرسل ومستقبل ، نشط وخامل ، ايجابى وسلبى ، الانســان الذى يتصل مع أمثاله ومع الآلات التى يصنعها ومع مجتمعه ، وبذلك يحمل القائم بالاتصال لدى كلوتييه هذه الثنائية المعروفة لدى علماء النفس وعلماء الجنس ، الايجاب والسلب ، دكتور جيكل ومستر هايد••

---

1. Jean CAZENEUVE.— La société de l'ubiquité. Communication et diffusion. Editions Denoël, Gonthier, Paris, 1972, p. 72.
2. J. CLOUTIER.— op. cit.



ثانيا : نماذج أخرى اهتمت بالاتصال الخطى :

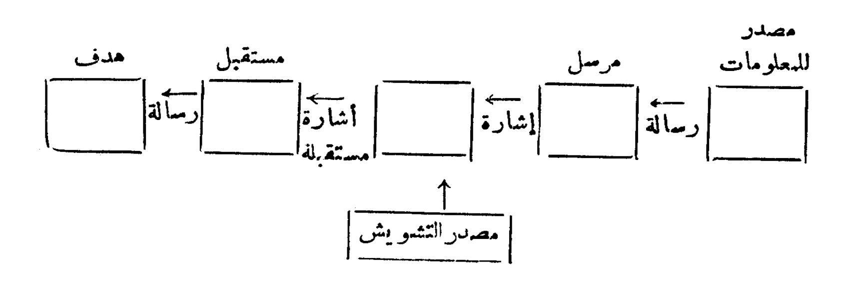
استمر الباحثون لفترة طويلة فى استخدام النمـــوذج الخطى لهارولد لازويل مع اجراء بعض التعديلات ، ومن أهم هذه النمـــاذج التى أخـذت بالنموذج الخطى للاتصـــال والتى تهمنا كاجتماعيين النماذج التالية :

نموذج شانون وويفـــر ومفهوم التشويش :

يعتبر نموذج شانون وويفر SCHANNON and WEAVER(1) من أكثر النماذج الخطية المعروفة فى تفســـير عملية الاتصـــال • وقد استفاد الباحثون بما درســـاه عن التيار الكهربائى وحاولا تطبيقه على وسائل الاعلام باستخدام نفس المصطلحات السيبرناطيقية طبقا للرسم التالى الذى يوضح أهمية التشويش :

رسم رقم (٢)

النموذج الخطى لدى شانون وويفر



1. Claude SHANNON & Warren WEAVER.— **The Mathematical Theory of Communication.**, Urbana University of Ililnois Press, 1964, P. 7-8.

ولتقريب مفهوم التشويش للقارىء نعطى مثلا لموضوع نشرته جريدة الاهرام فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٦ يناير ١٩٨٤ فى باب « بريد الاهرام » تحت عنوان : « قذائف كلامية » .

« تذكرون ولا شك ما كتب فى بريد الاهرام تحت عنوان : (يا ريس عوض) عن التداخل الذى يحدث بين لاسلكى محطة بولاق الدكرور وموجات التليفزيون فى المنطقة الواقعة بجوار المحطة . وأحب أن أضيف أننا قد تعودنا على هذا التداخل كما تعودنا على ضوضاء الشارع . ولكن المزعج هو لغة الحديث المستخدمة والتى وصلت ذروتها ليلة (الاحد ١٩٨٤/١/٨ — الساعة ١٢ مساء) ، عندما كنا نشاهد تمثيلية « أنا لا أكذب ولكنى أتجمل » . فقد سمعنا كلاما نابيا ، أخف ما قيل فيه هذه الجملة (أصل السواق بتاعه « ... ») ولكم أسفى عن جرح مشاعركم ، فما بالكم ونحن نسمع هذه الكلمات وسط أطفالنا وأسرنا ؟ د . أحمد يوسف أستاذ مساعد بعلوم عين شمس » .

وقد رد محرر الاهرام على هذه الرسالة بقوله : « سبق أن ردت علينا أمانة اتحاد الاذاعة والتليفزيون بأنهم يعملون على منع هذا التداخل ... ويبدو أنه لم يحدث ... فلا أقل اذن من أن نطالب عمال محطة بولاق الدكرور بالتزام الادب فى أحاديثهم حتى لا يجرحوا مشاعر الاسر المحيطة بهم الى أن يتوقف التداخل ! » .

ولن نعلق على محتوى الرسالة أو الرد . فكل ما يهمنا هنا هو هذا المثال الذى يعيشه جمهور التليفزيون فى منطقة استقبال معينة مع التشويش الهندسى الذى يحدث نتيجة لتداخل ارسال محطة بولاق الدكرور مع موجات الارسال التليفزيونى ولعل البعض منكم قد لمس وعايش هذا الموضوع بنفسه .

التشـــويش فى نموذج ولبور شرام :

وقد استخدم ولبور شرام Wilbur SCHRAMM هـــو أيضـــا عنصر التشـــويش Noise ، والذى يمكن أن نطلق عليه « عـــدم وضوح الرســـالة » فى نموذجه التالى :

رسم رقم (٣)

التشـــــويش فى نمـــوذج ولبور شرام

مرسل — تداخل — رســالة باستخدام وسيلة إتصال — تدخل — مستقبل

س ~~~~ ~~~~ ص

مفهـــــوم التشـــــويش :

فى النماذج السابقة اهتم الباحثون بالتشويش ، أو الشوشرة ، أو التداخل كعنصر من العناصر التى تؤدى الى عدم وضوح الرسالة . وهناك من الباحثين من يفرق بين نوعين من التشويش :

١ ـ التشـــويش الهندسى (التداخل) Channel Noise

وهو كل ما من شأنه أن يؤثر فى دقة الرسالة ووضوحها أثنـــــاء عملية الاتصال . ومثال ذلك استخدام حروف صغيرة فى الطبـــاعة ، أو انخفاض التيار الكهربائى أثنـــاء البث التليفزيونى أو هذا المثـــال الذى سبق أن عرضناه ، أو تداخل محطات الاذاعة ، أو انقطـــــاع التيـــار الكهربائى ... الخ ، مما قد يتسبب فى وصـــول رســـــالة « غير نقيـــة » أو غير واضحة أو ناقصة .

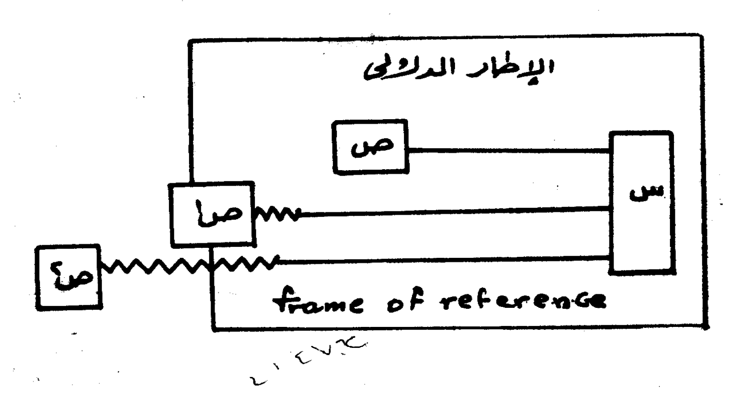
٢ ـ التشـــويش الدلالى : Semantic Noise

وهذا النوع من التشويش يحدث نتيجة لعـــدم فهم الرســـالة من قبل المتلقى حتى ولو تم نقل الرسالة بدقة فائقة .

فقد يستخدم المرسل كلمات صعبة الفهم ، أو جملا شديدة التعقيد بالنسبة للمتلقى ، أى تخرج عن خبراته وقدراته ، أو ما بسميه المتخصصون « الاطار الدلالى » أو مجال الخبرة .
Frame of reference

ويصور لنا ادوين اميرى Edwin EMERY وزملاؤه (١) التشويش الدلالى على النحو التالى :

رسم رقم (٤)
التشويش الدلالى



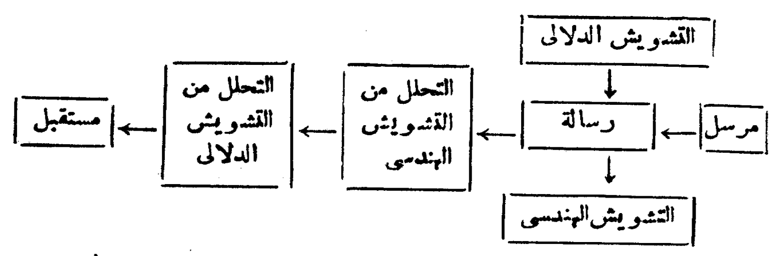
فاذا كان (س) يحاول الاتصال بالمفردات ص ، ص١ ، ص٢ فان الرسالة عندما تصل الى (ص) ستكون أكثر دقة منها بالنسبة لـ (ص١) وذلك لان (ص) يدخل فى مجال مشترك مع خبرات المرسل (س) الذى يستخدم نفس « لغة » المستقبل ... بينما (ص ٢) الذى لا يشترك مع س فى مجال الخبرة ، فان هناك

1. Warren AGEE, Phillip H. AULT Edwin EMERY. — Introduction to Mass Communication. Seventh Edition, Harper & Row Publishers. New York 1982, p. 6 — 9.

فان التشويش الدلالى يظهر هنا بوضوح أكثر مما يظهر لدى (ص١) الذى يتفق الى حد ما مع خبرات (س) •

ولقد تبنى ستيورت تشيز Stuart CHASE نموذج شانون ويفر الخطى أيضا واهتم بمفهوم التشويش كأحد العوامل التى تؤثر على الاتصال ، وفصل النوعين السابق ذكرهما بالنسبة للتشويش ، وأخذ فى الاعتبار ضرورة التخلص من هذا التشويش والتحلل منه قبل وصول الرسالة الى المستقبل •

رسم رقم (٥)
التشـــويش الهنـــدسى والدلالى



والاضافة التى قام بها تشيز فى هذا النموذج تتركز فى هذين المربعين اللذين يقعان بين الرسالة بعد أن يحدث بها التشويش الهندسى والدلالى وبين المستقبل •

ويمكن أن نطلق على أحد المربعين والذى سماه صاحب النموذج Mechanical decoder مفهوم « التحلل من التشويش الهندسى » وهو محاولة المستقبل تخليص الرسالة وتنقيتها مما يشوبها من تشويش هندسى أثناء نقلها •

أما المربع الآخر والذى يسميه تشيز Semantic Decoder فيمكن أن نطلق عليه اسم التحلل من التشويش الدلالى وهنا يحاول

المستقبل أن يخلص الرسالة من أى تشويش دلالى قد يحدث لها .
ولنا فى الواقعة التى سبق أن ذكرناها خير مثال على عمليات التحلل من التشويش .

اذا كنا قد ركزنا فى تحليلنا هنا على دور المستقبل فى التحلل من التشويش ، فاننا لا نقلل من الدور الذى يجب أن يقوم به المرسل لكى يخفف بقدر الامكان من تأثير التشويش فى عمليات الاتصال ، بمعرفة جيدة للجمهور المتلقى للرسالة ، واختيار دقيق للرسالة والوسيلة .

والى جانب هذين النوعين من التشويش واللذين ركز عليهما أو على أحدهما الباحثون فى علوم الاتصال ، يمكننا أن نضيف نوعا « ثالثا » يمكن أن نطلق عليه اسم « التشويش السيكلوجى » .

٣ — التشويش (أو التداخل) السيكلوجى : Psychological Noise

اذا كنا قد ذكرنا أن التشويش الهندسى (أو الفنى) والتشويش الدلالى يحدثان أثناء عملية نقل الرسالة واستقبالها ، كما يمكن أن يحدث هذا التشويش فى الرسالة نفسها ، فان التشويش السيكلوجى يحدث فى اطار القائم بالاتصال والمستقبل للرسالة والذى هو L'homo-Communicans ، أى أن هذا التشويش قد يحدث قبل وأثناء وضع الفكر فى كود معين ، وأثناء استقبال الرسالة وبعد فك رموزها أيضا .

ويتمثل هذا التشويش السيكلوجى — من وجهة نظرنا — فى العوامل النفسية ... أو المناخ الذى يتم فيه وضع الفكر فى كود أو الذى يتم فيه فك رموز الكود والى أن يتخذ المستقبل موقفا من الرسالة : agir ne pas agir

وبذلك يمكن أن يتحدد هذا التشويش فى نوايا كل من المستقبل

والمرسل ازاء بعضهما ، وما يعرفه كل منهما بخصوص نوايا الآخـــر تجاهه •

ويتسبب التشويش السيكلوجى ليس فقط فى أن تفقــد الرسالة قدرا من دقتها ، بل قد يؤدى كذلك الى تحــريف فى مضمون الرسالة مهما بلغت دقتها ، ومهما نجح القــائم بالاتصال فى السيطرة على كل من التشـــويش الهندسى والتشويش الدلالى ، هذا اذا افترضنا أن التشويش السيكلوجى لم يتسبب فى عدم وصول الرسالة من البداية الى المستقبل •

— دراسة الفيلم « اليوم التالى » :

والمثال على هذا النوع من التشويش « التشويش السيكلوجى » عشناه مع الفيــلم التليفزيونى « اليوم التالى » The Day After الذى عرضته شــبكة ABC الامريكية ، والذى أثار موجة من الفزع لا مثيل لها وخاصة فى أمريكا (وفقـــا لمـــا تقوله وسائل الاعلام) ولم نسمع من قبل عن فيلم تليفزيونى أو سينمائى أثار الذعر والفزع وتسبب فى اشـــاعة جو من عدم الطمأنينة تجاه المسئولين مثلما سمعنا عن آثار هذا الفيلم (١) •

فقد سبق أن عرضت شاشات التليفزيون والسينما العالمية أهوال الحرب النووية ولم نسمع عن احتجاجات ضد سياسة احدى الحكومات• بل عشنا فعلا الحرب الذرية عام ١٩٤٥ فى هيروشيما ونجازاكى ، والتى تثار ذكراها سنويا فى وسائل الاعلام فى دول أوربية (فى فرنسا على الاقل كما شاهدنا) ، الا أن هذه الحرب « الاقليميـــة » على الرغم مما فى هذه الكلمـــة من قصـــور فى التعبير ، ليس لهـــا نفس التأثـــير القوى — فى أمريكا — مثل فيلم « اليـــوم التـــالى » (٢) ، ويمكننـــا أن نرجع اختلاف التأثير فى الحالتين الى عـــدة عـــوامل منها ما يدخل تحت ما أطلقنـــا عليه اسم « التشويش السيكلوجى » •

---

(١) والذى يمكن تشبيهه بما أثاره البرنامج الاذاعى « غـــزو من المريخ » من رعب وقلق •

(٢) انظر الملحق الخاص بقصة الفيلم (ملحق رقم ١) •

ويتمثل التشويش السيكلوجى فى هذه الحالة فى مدى اقتناع المشاهدين بامكان قيام حرب نووية شاملة ويرجع ذلك الى عدة عوامل مختلفة من أهمها الظواهر التالية :

ارتفعت درجة حرارة الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى فى الفترة الاخيرة الى أقصى درجة ، وانهارت محادثات الحد من التسلح النووى ، وزاد التحذير لكى يتمالك الجميع أعصابهم ، واشتعلت الحروب الاقليمية فى مناطق متفرقة من العالم وزادت حدة التوتر • كما أننا نعرف أن اطلاق صاروخ يحمل فى مقدمته قنبلة ذرية ، أو قنبلة نيوترون احتمال قائم ويتوقف على اشارة بسيطة قد تحدث بطريق الخطأ وسوء التقدير — وقد حدث هذا الخطأ عدة مرات — فكم من مرة أعطى فيها جهاز الانذار المبكر فى أمريكا تحذيرا كاذبا لهجوم نووى ، وكم من مرة استمر هذا التحذير الكاذب فترة كافية لان يوضع الجيش الامريكى على أهبة الاستعداد لولا تدارك الموقف فى اللحظات الاخيرة •

اذن فالمناخ مهيأ تماما لتصديق احتمال وقوع مثل هذه الحرب ، لدى البعض على الاقل (١) ، وما أكثرهم فى أمريكا وهم الذين تأثروا تماما بأحداث الفيلم الذى لا يخرج عن كونه نوعا من الخيال العلمى ، لم يقصد منه اثارة الفزع والاضطراب ، أى أن هناك تحريفا قد حدث فى الرسالة عند مستوى فك الكود • وترتب على ذلك أن اتخذ هؤلاء موقفا غير مرغوب فيه لم يكن يقصده القائم بالاتصال — على الاقل من وجهة نظرنا الخاصة — وهذا يؤكد ما سبق أن أشار اليه تشارلز رايت C. WRIGHT عندما تحدث عن وظائف الاتصال (٢) •

---

(١) نشرت جريدة **الاهرام** فى عددها الصادر يوم ٢١ يناير ١٩٨٥ أن عالما بريطانيا قد أقام دعوى قضائية ضد وزارة الدفاع الامريكية تقوم على مخاوفه من أن يؤدى الاعتماد على العقول الالكترونية الى اندلاع الحرب النووية بالصدفة .

2. Charles WRIGHT.— «Functional Analysis in Mass Communication» p. 605-620, in, Public Opinion Quarterly, Vol. 24, 1960.

فالى جانب المهـــام التى يسعى رجل الاعلام الى تحقيقهـا Functions يؤكد رايت أن هناك نتائج قد تحـــدث دون أن يهدف اليها القائم بالاتصال Dysfunctions أى وظائف غير مقصودة فى عملية الاتصال • وغالبا ما تكون هذه الوظائف غير المقصودة وظائفا غير مرغوب فيها •

وتأصـــيلا على ما سبق يمكننا أن نميز ونفصـــل بـــين نتائج النشاط الاعلامى وبين أهدافه • فليس من الضرورى أن تتفق النتائج مع الاهداف • بل ان مرتون Merton يؤكد أن النتائج كثيرا ما تختلف مع الهدف من الاتصال (١) والسبب فى ذلك يرجع الى عدة عوامل أهمها ما أطلقنا عليه « التشويش السيكلوجى » والذى يجب ألا يخفى على القائم بالاتصال •

ويرى دافيد برلو (٢) — ونحن نتفق معه — أن هنـــاك علاقة عكسية بين التشويش ودقة النقل العالية للرسالة • أى أنه كلمـــا زاد التشويش فان ذلك يؤثر بالسالب فى دقة الرسالة ، وكلما تخلصـــنا من التشـــويش ، زادت دقة الرسالة •

والمثال الذى سبق أن ذكرناه عن تأثير عرض فيلم « اليـــوم التالى » على شاشة التليفزيون الامريكى يلفت أنظارنا الى ضرورة أن نأخذ فى الاعتبار — ليس فقط التشويش الهندسى ، ولكن أيضـــا كل العوامل الموجودة فى كل من المصدر والمستقبل والرسالة نفسها ،

---

1. Robert MERTON.— «Patterns of Influence : A Study of Interpersonal Influence and Communications Behaviour in Local **Community**, in, Paul LAZARSFELD and STANTON (ed.).—**Communication Researchs, 1946 — 1949** Harper, New York, 1949.

2. David BERLO. — **The Process of Communication.** An Introduction to Theory and Practice. ED. Holt, Rinehart and Winston, New York, 1963.

الى جانب العوامل الخاصة بالوسيلة ، لكى نحقق الدقة المنشـــودة فى الرسالة .

ويمكن الارتفاع بمستوى الدقة فى الرسالة اذا استخدم المصدر « لغـــة » مشتركة متناغمة مع المستقبل ، واذا أخذ القـــائم بالاتصال فى اعتباره نوايا المستقبل وما يعرفه هذا المستقبل عن نوايا القـــائم بالاتصال (١) .

ومن الوســـائل التى يمكن التغلب بها على التشويش هناك أيضا التكرار Redendance الذى يوصى باستخدامه لكى نضمن للرسالة درجة عالية من الصحة ، على أن نستخدمه بحذر شديد فى الميادين الاعلامية حتى لا يمل الافراد .

فقد صرحت احدى السيدات فى بحث قمنا به (٢) بأن تكرار الدعوة لتنظيم النسل بهذه الصورة التى تقدمها وسائل الاعلام فى مصر قد يكون هو السبب فى فشل هذه الحملة ، وهو فرض لا ينبغى لنا أن نتجاهله دون دراسة معملية متعمقة .

ثالثـــا : الاتصال الدائرى ومفهوم رجع الصدى :

بعد أن كانت الفكرة الاولى السائدة هى أن الاتصال يتم خطيا فى شكل قطار من المرسل الى المستقبل كما كان عليه الحال فى عهـــد أرسطو الذى قال كتابه « فن البلاغة The Art of Teoric» **أن الاتصال** يتكون من ثلاثة عناصر أساسية :

---

(١) أنظر فيما بعد نظرية التل الجليدى .

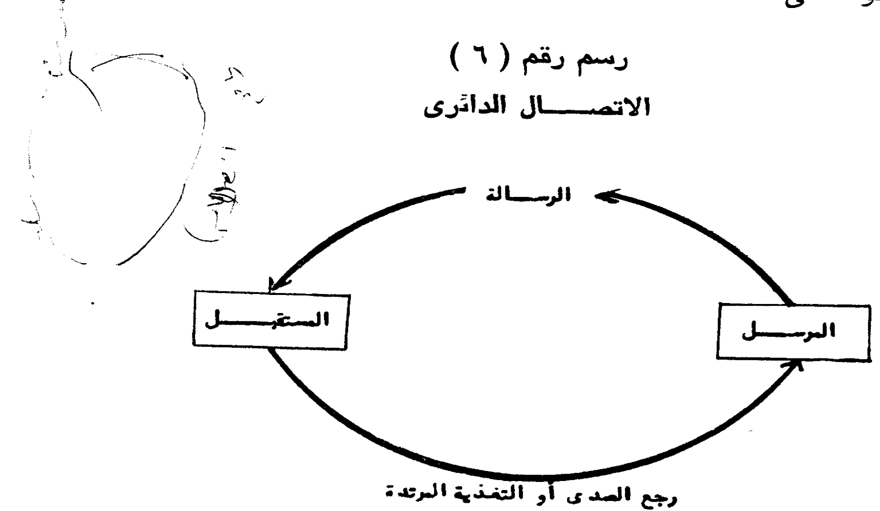
(٢) « دراسة حالة » انظر :

Enshirah EL SHAL.— **La responsabilité sociale de la télévision dans un pays en développement** : l'Egypte. Thèse de Doctorat d'Etat. Université de Bordeaux II, 1983. p. 336 — 298.

المتحدث والحديث والجمهور ، أصبح الاتصال دائريا متصــلا على النحو التالى :

رسم رقم (٦)

الاتصـــــال الدائرى



وفى الاتصال الدائرى ، يأخذ « رجع الصــدى » Feed back (أو ما يمكن أن يسمى بالتغذية المرتدة) (١) مكانا فى عملية الاتصال (كما نرى ، استمر استخدام الباحثين فى الميادين الاعلامية لهــذه اللغة السيبرناطيقية (٢) cyberntique التى استعاروا منها الكثير من المصطلحات مثل : الشوشرة ، الموجة ، رجع الصدى ... وذلك عند شرح عملية الاتصــال لتفسير سلوك ارســل والمستقبل) . وتجدر

---

(١) محمود عودة . — **اساليب الاتصال والتغير الاجتماعى** . دراسة ميدانية فى قرية مصرية — القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ .

(٢) محمد مصطفى الفولى . — **السيبرنية** فى الانسان والمجتمــع والتكنولوجيا . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . المكتبة الثقافيــة العدد ٢٧٥ ، القاهرة ١٩٧١ .

الاشارة هنا الى أن استخدام مصطلحات أحد العلوم فى علوم أحدث منه ليس جديدا على الفكر الانسانى ، فقد استخدم اميل دور كايم مثلا فى كتاباته كثيرا من مصطلحات الفسيولوجيا والبيولوجيا مثل « الجسم الاجتماعى » و « المخ الاجتماعى » و (البروتوبلازم الاجتماعى) بل وأيضا (الجهاز الشوكى للكائن العضوى الاجتماعى) — وذلك عندما يتكلم دور كايم عن البناء والوظيفية فى العلوم الاجتماعية (١) .

ويلعب رجع الصدى دورا هاما فى عملية الاتصال ، والذى يظهر بوضوح بين عاملين على جهاز التلغراف . فعن طريق رجع الصدى يمكننا معرفة « دائرة الاتصال » أو ما قد يصيبها من أعطال . وعن طريق هذه التغذية المرتدة نستطيع أيضا أن نعرف مدى فهم المستقبل للرسالة ومدى استجابته . وعلى ضوء معرفة القائم بالاتصال لاستجابة المتلقى أو عدم استجابته للرسالة ، يستطيع أن يعدل فى رسالته ، أو يكررها .. ونترك للقارىء أن يفكر فى عملية الاتصال التعليمى بين المدرس وتلاميذه كمثال للاتصال الدائرى (مع شىء من التحفظ) .

ومن أحدث النظريات التى يمكن أن تصور الاتصال الدائرى ، والتى تأخذ فى الاعتبار الاتصال الشخصى الذاتى والاتصال بالآخرين ، النظرية التى يطلق عليها صاحبها اسم التل الجليدى .

نظرية التل الجليدى فى الاتصال الشخصى

تصور لنا نظرية التل الجليدى عملية الاتصال بين اثنين من البشر ، أى بين اثنين من الاميريك ، يحاول كل واحد منهما أن يقوم بدور فى العملية الاتصالية ، وكأنهما كتلتان من الجليد فى وسط المحيط وهو ما يطلق عليه اسم الايسبرج Icebergs . وأهم ما يعنينا من خصائص للايسبرج ، عندما نتحدث عن عملية الاتصال ،

1. E. DURKHEIM.— op. cit.

هو الجزء المغمور تحت سطح الماء من الكتلة ، والذى يصـــل حجمه الى سبعة أثمان حجم الكتلة (٧/٨) ، اذ لا يبدو منها فوق سطح الماء ســـوى ثمن حجمها (١/٨) •

وبهذا المنظور للعملية الاتصـــالية ، نستطيع أن نقول ان كلا من طرفى الاتصـــال ما هو الا كتلة جليدية ، أو تل جليدى ، يحاول أن يقترب للالتحام بالطرف الآخر الذى لا يبدو منه ســـوى جزء طفيف لا يتجاوز الثمن (١/٨) • هذا الجزء الضئيل هو الذى يمكن متابعته والتنبؤ بما يمكن أن يحدث فيه ومنه نتيجة للاتصـــال • أما ما خفى تحت سطح الماء من هذا التل فهو الجزء الاكبر من التل والذى يصـــل حجمه الى (٧/٨) من مكونات العملية الاتصالية • هذا الجزء هو أهم جزء يجب أن نتنبه وأن نهتم به عند دراســـة الاتصال الشخصى ، ســـواء من حيث نسبة حجمه للعملية كلها ، أو من حيث ما يحدث فيه من عمليات معقدة ومتعددة وخفية •

فالى جانب ما يمكن أن نلمسه فى العملية الاتصالية ، وما نراه يحدث بين القائم بالاتصـــال وبين المتلقى (١/٨ العملية الاتصالية) تجرى أحداث وعمليات خفية « تحت سطح الماء » ســـواء قبل الاعداد للرســـالة أوأثناء نقلها أو بعد ذلك •

وانطلاقا من هذا الفهم ، يمكننا الآن أن نحدد الطريق الذى تسلكه الرســـالة ، لكى نتعرف على ما يحدث من تفاعلات تتم فى الجزء غير المرئى من العملية الاتصالية •

١ ــ الطريق الذى تسلكه الرسالة فى المنطقة المغمورة الخفية « فى الاعماق » :

١ ــ منطقة الغرائز أو اللاشعور •

٢ ــ منطقة الصـــور •

٣ــ منطقة الفكر والشعور .

أ ــ منطقة الغرائز :

ترتبط منطقة الغرائز باللاشعور واللاوعى ، أى أنها تخرج عن ارادة الانســــان ، ومن ثم يصعب التحكم فيها .

ففى داخل كل فرد منا تكمن رغبات وغرائز متضادة لا شعورية . ومن هذه الغرائز اللاشعورية التى تهمنا فى علوم الاتصــــال نجد داخل كل منا حالتين متضادتين : الخوف من الاتصــــال ، والرغبة فيه . وقد نبعت هاتان الحالتــــان من الحـــاجة الى اقامة علاقات اجتماعية ، والتخوف من مغبة هذا الامر ، من الرغبـــة والقلق من مواجهـــة الآخر ، من رغبة الفرد فى أن يعرفه الآخر وخشيته من أن يكشف نفسه ، من أن يتعرى ، فيتمكن منه الطرف الآخر ، وتتواكب هذه الحالات باستمرار وتتطاحن حتى تتغلب احداها على الاخريات فى لحظـــة ما وتحت ظروف معينة أهمها شخصية كل من القائم بالاتصــــال والمتلقى ، والتفاعل الـــذى يتم بينهما فى وقت محدد ومناخ خاص تتم فيه العملية الاتصالية .

ب ــ منطقة الصور : صورة الذات الانسانية :

وهى أهم منطقة بالنسبة للرســـالة . فمن هذه المنطقة تخـــرج الرســـالة الى الطرف الآخر . وتتعدد صـــورة الذات الانسانية فى هذه المنطقة على النحو التالى : (١)

الصورة التى يكونها الانســــان لنفسه : هذه الصورة مزدوجة التكوين :

---

(١) وهذه الصور تصور بشكل أو بآخر درجة من درجات التشويش السيكولوجى .



— **الصورة الحقيقية :** وهى ما يعيشه الفرد ، وما يراه ، وما يحسه فقد يشعر الانسان فى احدى اللحظات بأنه خجول مثلا •

— **الصورة المثالية :** وهى الصـــورة التى يتمنى الفرد أن يكون عليها أو أن يصل اليها :
أكثر حيوية ، أكثر نحافة ، أكثر اتزانا •••

الصورة التى يرغب أن يعرفها عنه الطرف الآخر :

وهنا يجب ألا نخلط ، اذ أن هذه الصـــورة تحمل دائما قيمة ما . فالفرد يريد دائما أن يعطى « أفضل » ما عنده و « أكثر » ما لديه ، أى أنه يظهر (الجانب الطيب) منه • الا أنه فى حالة ما اذا كان الفرد ماسوشيا فانه ســوف يبدى « أكثر » درجات عجزه وقصوره وحتى سقوطه ، سواء كان ذلك حقيقة أو افتراضا •

الصورة التى يعتقد أن الآخر يعرفها عنه :

هذه الصورة التى يعتقد القائم بالاتصـــال أن الطرف الآخـــر قد كونها عنه قد تكون صـــورة غير صحيحة ، بل ضربا من الاوهام لدى القائم بالاتصـــال ، أى أنها قد تكون بعيدة تماما عن الواقع الفعلى لصـــورته لدى المتلقى • هذه الصـــورة التى يعتقد القائم بالاتصال أن المتلقى يعرفها عنه تؤثر فى الرســـالة التى يريد أن ينقلها اليه •

وكثيرا ما نسمع شخصـــا يقول : « فلان يعتقد اننى •• حسنا ، فســـوف يرى •• » • ما ســـوف يراه الآخر — كرد فعل للصورة التى يعتقد القائم بالاتصال أن المتلقى يعرفها عنه ، رد الفعل هذا ، قد يدعم هذه الصـــورة وقد يهدمها • فقد يعتقد المتحـــدث أن المستمع يعتقد أنه خجول ، ولذلك قد ينمحى تماما أمام الطرف الآخر ، أو على العكس ، قد يتحدث ويتحدث الى درجة العنف •• وهكذا ، فان الفرد الذى يعتقد أن الآخرين يظنونه طيبا ، قد يتمادى

فى طيبته لدرجة تصل الى البلاهة • وقد يقال عن فرد ما « انه ليس ضبيا بل عبيطا » وعلى العكس من ذلك ، فقد يصدم هذا الانسان الطيب الآخرين لتغيير هذه الصورة التى يعتقد وجودها لدى البعض بخصوصه • وينطبق عليه المثل « حسبناه موسى طلع فرعون » ، فى حالة ما اذا كانت الصورة التى اعتقد انها لدى المتلقى عنه موجودة فعلا لدى المتلقى •

الصورة التى يكونها القائم بالاتصال للمتلقى :

بالاضافة الى كيان أو صورة القائم بالاتصال عن نفسه ، والصورة التى يعتقد أن المتلقى قد رسمها له مما يؤثر على الرسالة فان هذه الرسالة تتأثر أيضا بالصورة التى يرسمها القائم بالاتصال للطرف الآخر فى هذه العملية •

فان كانت الصورة لدى القائم بالاتصال عن المتلقى أنه متفهم ، ذكى ، اطمأنت نفس القائم بالاتصال وازدادت ثقته فى أن رسالته سوف تفهم دون لبس ، ولن تكون غامضة ، بل ستؤدى الغرض المنشود منها •

واذا كان القائم بالاتصال يتصور أن المتلقى انسان عظيم فانه قد يحاول أن يتملقه ، أو يحاول أن يتفوق على نفسه ، أو أن يمثل الغموض • أما اذا كان لديه الشعور بأن ذاك الشخص معاند ومكابر فانه سوف يتشدد ويتزمت ، أو العكس •

جـ — منطقة الشعور :

بقدر درجات وضوح الصورة التى تتكون لدى الفرد المطرف الآخر ، مما قد تفصح عنه نظراته وكلماته معبرة عن شعوره واحساسه ، بقدر ما يمكن أن يحدث من تعديل فى سلوكه تجاهه •

من هنا يمكننا أن نستنبط أن فى هذه المنطقة يلتقى الشعور باللاشعور ، اذ من الصعب أن نصــدر هنا حكما على الطرف الآخر ، ولكن يمكن أن نرفض أن نستبقى أحكامنا الاولية عنه •

فمن المشاهد أننا عند تكرار اللقاء بشخص ما ، فان صــورته قد تختلف فى المرة تلو المرة ، فلا يمكن أن تبقى الصورة دون تعديل •

من هنا يمكن أن نستخلص أننا نرفض الاعتقــاد الســائد فى أن الانطباع الاول يظل قائما « The first impression is the last one » فمن المســتحيل أن يبــقى الفــرد القــائم بالاتصــال أو المتلقى على صــورة ثابتــة • بل يمكننا تشــبيه الانســـان بالصــورة التى تعكسها صفحة ماء النهر تحت تأثير عوامل عديدة تغير فى شكلها الطبيعى : انسياب سمكه تحت السطح أو محاولة أخرى التقاط قطعة خبز عائمة ، أو حجر صغير ألقاه شخص ما فى النهر ، أو ريح تدفع الماء فى موجات متتالية ، أو سفينة عابرة ، أو شعاع ســاقط •• عوامل مختلفة ومتعددة تؤثر فى النهاية على الصورة المعكوسة على صفحة الماء •

يمكننا اذن تشــبيه الفرد بلوحة بنيــة نرسمها الانفعــالات والاحاسيس المتباينة التى قد تختلف من لحظــة الى أخرى • وهذه نظرية نسلم بها تماما عندما نرفض « الانطبــاع الاول » ولا نعتبره صحيحا ، بل قد نعتبره فى درجة الخطورة ، اذ أنه يتجاهل العوامل الاخرى ويحقر من شأنها •

كل هذا يعنى أننا نرفض تصنيف الناس ووضعها فى قوالب جامدة ، لان هذا التصنيف ، وان كان مريحا وسهلا ، الا أنه تشويه للحقائق وتجميد غير منطقى لطبيعة الانســان غير الثابتة ، وما يتكشف من حقائق داخل العيادة النفســية دليل قوى على وجود عوامل مختلفة تؤثر فى ردود فعل الفرد وسلوكه فى المجتمع مما يجعلنا نرفض تصنيف الناس •

فمن الواجب اذن ، أن نترك للآخر فرصته فى أن يكون مؤمنين تماما بأن الكائن الحى يستمد بعض خصـــائصه من هذه الصفة « الحى » ، وأن سنة الحياة هى التطور ، ومن ثم ، فلنكن ما نكون داخليا ، ولنتطور مع الحياة .

مما سبق يتضح أننا اذا كنا قد ذهبنا مع الرأى القـــائل بأن الفرد فى العملية الاتصالية يشبه كتلة الجليد فى الماء ، أو بمعنى أصح يشـــبه تلا كبيرا من الجليد معظمه غير واضح المعالم ، وبعد أن تعرفنا على بعض مكونات هذا التل الضخم (١) ، فاننا نتفق أيضا مع الرأى الذى يشبه الفرد بالبحر دائم التغيير ، مع من يشبهونه بعيون الحشرات ، أو بتعبير أرق بقطعة من الماس متعددة الوجوه والانعكاســـات .

وفى هذا ، نذهب مع تشارلز كولى COOLY (١٨٦٤ — ١٩٢٩) عالم النفس الاجتماعى الامريكى الجنسية ، الذى يرى أن الفرد والجماعة كلاهما مكمل للآخر ، على اعتبـــار أن الفرد يجد (طبيعته) الحقيقية فى المجتمع ، على أســـاس أن الذات ego من وجهة نظره « ذات عاكسة Looking glass ego أى تعكس صورتها فى عقول الآخرين ومن ثم فهى تأخذ فى الاعتبار حكم الآخـــرين عليها . وبهذه الطريقة ، يصبح الشـــعور بالذات Self feeling وعيـــا ذاتيـــــا Self consciensness من خلال انعكاسات العلاقات الاجتماعية (٢) .

٢ — انحراف تدفق الرسالة عن مسارها ، ووضعها فى كود :

السؤال الذى نطرحه الآن هو : ما مصير الرســـالة فى هذا الخضم من العوامل ، وكيف تصل الى المتلقى ؟

---

(١) أنظر الرسم التوضيحى فيما بعد .

(٢) زيدان عبد الباقى . — **ركائز علم الاجتمـــاع** . دار المعـــارف بمصر ، ١٩٧٥ ، ص ٧٦ — ٧٧ .

لقد كانت الرســالة التى نرغب فى نقلها الى الطرف الآخر ، ونخشى عليها فى آن واحد ، ذات دلالة معينة • الا أنه ، كما ينكسر شعاع الضــوء أثناء مروره داخل المنشــور الزجاجى ، ينكسر تدفق الرســالة أيضا ، وينحرف عن مســاره المباشر داخل كل منطقــة من مناطق الصــور لدى القائم بالاتصــال ، والتى تبدأ من منطقة اللاشعور • وعندما تصــل الرسالة الى منطقة الشعور والاحساس ، يتدخل التفكير العقلى الواعى فى تشــكيل الرسالة التى تصل هنا الى سطح الماء ، حيث يتم وضع تلك الرســالة فى كود معين • ويتم ذلك قبل حدوث الالتحام بين طرفى الاتصال •

وتحدث عملية وضع الفكر فى كود تحت تأثير عــوامل طفيلية دخيلة على عملية الاتصــال (١) وهذه العوامل الخارجية الدخلة تؤثر فى دلالة الرسالة الاعلامية • فكثيرا ما نسمع فى الحياة العادية : « أنا كان عندى كلام كثير أريد أن أقوله لكن الطرف الآخــر لم يشجعنى ، وأحسست أنه لا يريد سماع وجهــة نظرى ••• ، أو ، هناك أسباب عديدة منعتنى من شرح وجهة نظرى ••• أو كنا نتكلم ومتفاهمين تماما حتى وصل فلان فانقلبت الصــورة وتغير مجرى الحديث •• !!

والامثلة عديدة تلك التى تثبت أن الرسالة يمكن أن تفقد جزءا من حمولتها ، من طاقتها ، من قوتها ، ان لم تضع كلها أثناء انتقالها فى العملية الاتصالية •

٣ — فك كود الرســالة :

عند سطح الماء أيضــا يستقبل المتلقى الرســالة ويحاول فك رموزها محــاولا معرفة ماذا يريد أن يقوله الطرف الآخر • ويتم

---

(١) جيهان رشتى — **الاسس العلمية لنظريات الاعلام** • دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ص ٥٤٥ وما بعدها .

ذلك كما هو الحـال عنـد وضع الرسـالة فى كود — تحت تأثير « طفيليات » تدخل على عملية الاتصال •

من هذا يمكننا أن نستخلص أن الرسالة عندما تصل فى النهـاية انى المستقبل لن تحتفظ بالدقة أو بالدلالة التى كان القائم بالاتصال يود أن ينقلها ، أى أنها ليست نفس الرسـالة ، شئنا ذلك أم لم نشأ • وقد سبق وتعرفنا على عدة مناطق تمر من خلالها الرسـالة وتعمل كمصافى لها • لذلك فان الرسالة تصل فى النهاية منقوصة ، وقد تصل محرفة •

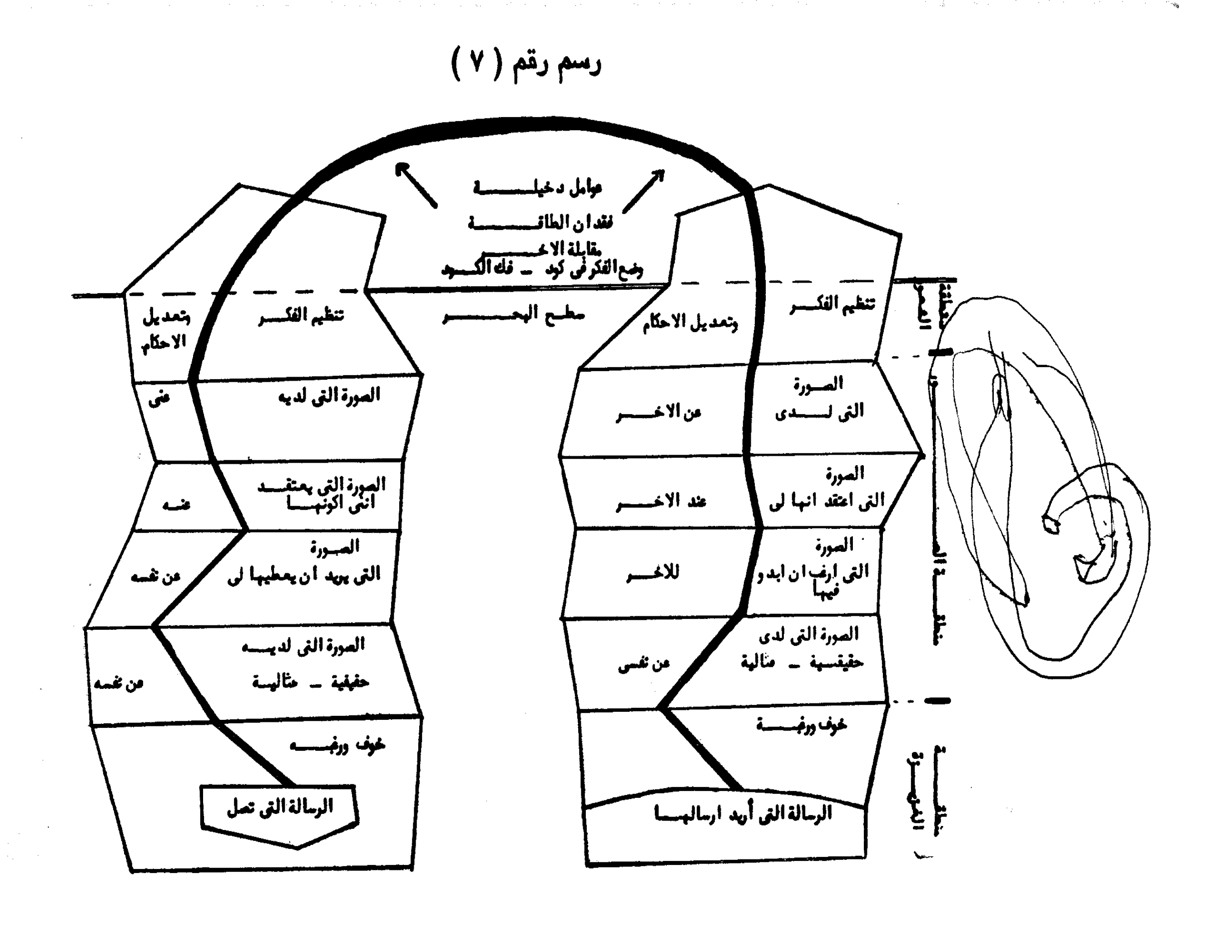
باختصار شـديد ، نتبنى هنا الرأى القائل بأن من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل — أن تصل الرسـالة التى أردنا نقلها كما هى • قد يمكننا تقليل التحريف وتقويتها لتعويض الفاقد منها أثناء النقل بعمليات مختلفة ، انما لا يمكن أن تصـل بدقة لان هنـاك عوائق عديدة قد تقف فى سـبيل هذه الغـاية • وكثيرا ما نسمع « حاولت معه المستحيل الا أنه لا يفهمنى ••• »

تأصيلا على ما سبق يجب علينا — كقائمين بالاتصـال — ألا نظلم المتلقى ، وألا نحكم عليه بالغبـاء • ففى العملية التعليمية مثلا (وهى درجة من درجات الاتصال) غالبا ما يحتاج المدرس لتكرار الشرح لبعض الطلاب ، بالرغم من أن زملاءهم قد فهموا الدرس ، أو اعتقدوا أنهم قد فهموه ، الى جانب آخرين فى حاجة الى تلك الاعادة لانهم فى آخر المدرج حيث يصلهم الصـوت متقطعا أو ضعيفا ، أو تحت تأثير شوشرة أحد الزملاء ••• الى آخر ذلك من عوامل مادية وعوامل أخرى قد يكون البعض منها نفسيا والبعض الآخر جسمانيا •••

من هنا يمكن أن نستشف مدى القصور الذى يوجد فى الاتصال الا أن هذا يجب أن يحثنا على البحث عن الاسلوب الامثل لتحقيق أعلى قدر من الدقة فى عملية الاتصال ، التى هى — من وجهـة نظرنا على الاقل — حاجة أساسية من الحاجات الانسانية •

والرسم التالى يصـــور خط سير الرســـالة والمناطق المختلفة التى تمر عليها فى الاتصال بين الافراد ، والذى يطلق عليه « الاتصال الشخصى » ، الذى يحدث بين كتلتين من الايسبرج • وهذا النموذج للاتصال يأخذ بالعوامل الدخيلة على عملية الاتصـــال وتؤثر فيه ، الى جانب رجع الصـــدى المعروف فى الاتصال الدائرى ، الذى اعترض عليه تشايفر أيضا فى نموذجه الخاص بالاتصـــال الاحتمالى الذى سنتحدث عنه فيما بعد •

رسم رقم (٧)



عوامل داخلية
فقدان الطاقة
مقابلة الاخر
وضع الفكر في كود ـ فك الكود
سطح البحر
منطقة العمق
منطقة الصور
منطقة الصورة
تنظيم الفكر
وتعديل الاحكام
الصورة التي لدى
عن الاخر
الصورة التي اعتقد انها لي
عند الاخر
الصورة التي ارغب ان ابدو فيها
للاخر
الصورة التي لدي حقيقية ـ مثالية
عن نفسي
خوف ورغبة
الرسالة التي أريد ارسالها
تنظيم الفكر
وتعديل الاحكام
الصورة التي لديه
عني
الصورة التي يعتقد انني اكونها
عنه
الصورة التي يريد ان يعطيها لي
عن نفسه
الصورة التي لديه حقيقية ـ مثالية
عن نفسه
خوف ورغبه
الرسالة التي تصل

ثالثا : الاتصال الاحتمالى :

لم تستمر عملية الاتصال دائما فى الشكل الدائرى • ففى عام ١٩٧٢ اقترح بيير تشايفر Pierre Schaeffer نموذجا آخر للاتصال يمكن تمثيله على النحو التالى (١)

رسم رقم (٨)

الاتصال الاحتمالى



ووفقا لهذا النموذج ، يعتبر تشايفر أن الاتصال يصبح احتماليا ، مادام يحدث بين أفراد من المجتمع البشرى يتميزون بعنصر المبادرة والمصالح والرغبات والمخاوف •• الخ ، بالاضافة الى أن مستقبلى الرسالة ينتمون الى جماعات اجتماعية وثقافية •• ويخضعون لظروف عديدة ومتنوعة •• أى أن تشايفر يأخذ هنا فى الاعتبار العوامل النفسية الايديولوجية والاجتماعية التى يتم فى اطارها الاتصال •

وتأصيلا على ذلك ، فان هناك دائما أشياء تحدث بين كل من المرسل والمستقبل وقد يكون ذلك هو السبب الذى يرفض من أجله تشايفر امكان قيام اتصال خطى (فى قطار من ثلاث عربات) :

المرسل ← الرسالة ← المستقبل

تجمعهم (قاطرة) أى وسيلة اعلام •

1. Pierre SCHAFEER.— **Machines a communiquer.** — Vol. 2, **Pouvoir et Communication.** — Ed. du Seuil, Paris, 1972, p. 234—237.

أما الاتصـــال الدائرى « Circulaire » حيث يدخل رجع الصدى (أو التغذية المرتدة) فى الاعتبار ، فان هذا النوع من الاتصال لا يحدث — كما يقول تشايفر — الا بين مرســـل ومستقبل على جهـــاز التلغراف . ويضيف أيضا أن المرســل والمستقبل فى هذه الحالة قد قبضـــا الثمن لكى يتفاهما .

وليست هذه النماذج التى قدمناها هى كل ما يمكن أن يقـــدم فى هذا الموضـــوع ، فقـــد زاد عدد هذه النماذج عن ٢٠ رسما وأكثر من ٢٥ تفسيرا لمفهوم الاتصـــال وأكثر من ٥٠ تفســـيرا لعملية الاتصـــال ، عرض الكثير منهـــا فى كتب الزمـــلاء الذين تناولوا فى كتاباتهم نظريات ونماذج الاتصال والاعلام (١) .

ماهيـــة الاتصـــال :

مع تقديرنا لكل من بذل جهـــدا فى هذا الموضـــوع ، بمحاولة تفسير عملية الاتصـــال الانسانى ، الا أننا نأخذ بالنموذج الذى اقترحه تشايفر والذى يصـــور ما نفهمه عن الاتصـــال الذى هو فى هذه الحالة :

— اتصـــال غير مباشر .

— لايعمـــــل منفردا .

— يمكن أن يعدل طول الطريق .

— وأن القائم بالاتصال والمستقبل فى هذه الحالة ، أفراد من

---

(١) ارجع الى ما كتبه كل من : ابراهيم امام وجيهان رشتى ومحمود عودة وسمير حسين ومحمد السيد على سبيل المثال لا الحصر .

البشر ، يخضع كل منهم لنواياه وللنوايا التى يرغب فى الكشف عنها لدى الآخر •

— وأن كلا من المرســـل والمستقبل يعمل فى مجتمع يشـــكل اطارا عاما يتم داخله الاتصـــال الذى يحدث بينهما •

وبذلك فنحن نؤكد هنا على وجود علاقة متبادلة بين كل من المرسل والمستقبل ، وأن كلا منهما يقوم بعمل المرســـل والمستقبل فى آن واحد ، وذلك بالنســـبة لنفســـه وبالنسبة للآخر • أو بأسلوب آخر أن المرســـل عندما يحـــاول الاتصـــال مع المستقبل — أو العكس — فانه يمثل L'homo-Communicans النشط — أى الاميريك الكندى لدى كلوتبيه • وبهذا فان الاميريك يحتل المركز فى عملية الاتصال • أى أن الاتصـــال البشرى هو عملية اتصـــال بين اثنين من الاميريك ، كل منهما يرســـل الى الآخر ويستقبل منه • وتتم عملية الاتصـــال بينهما انطلاقا من ثقـــافة كل من الطرفين ومدى ما يعلمه عن الطرف الآخر •

الفصـــل الثـــانى

الدراســــة السوسيولوجية

لوســـائل الاعـــلام

تمهيـــــد :

المبحث الثالث : دراسة مورفولوجية لوســـائل الاعلام

المبحث الرابع : دراسة فســيولوجية لوســائل الاعلام

المبحث الخامس : دراسة سوسيولوجية للتليفزيون المصرى

الفصـــــل الثـــانى

الدراســـــة السوسيولوجية
لوســــائل الاعـــلام

تمهيــــــــد :

فى هذا الفصــل نتناول اتجـــاهات الدراســـة السوسيولوجية لوسائل الاعلام ، ونخصص المبحث الاول فى هذا الفصل للدراســة المورفولوجية ، والمبحث الثانى للدراسة الفسيولوجية •

وكما سبق لنـــا القول ســـوف نهتم بوجه خاص بالتليفــزيون الذى تهتم به الدراسات الاجتماعية أكثر من غيره من وسائل الاعلام الاخرى •

المبحث الثـــالث
دراسة مورفولوجية لوسائل الاعلام

تمهيـــــــد :

فى هذا المبحث نتناول بالدراسة وسائل الاعلام من الناحيـــة البنائية من وجهة النظـر السوسيولوجية • وكما ســبق أن ذكرنا ، سنولى اهتماما خاصا بالتليفزيون لعدة اعتبارات سبق الاشارة اليها كما سنركز أيضا فى دراستنا هذه على وســـائل الاعلام فى مصر بوجه خاص ، وفى الدول الناميـــة والدول العربية • وسوف نعتمـــد فى هذه الدراسة على الارقام التى حصلنا على معظمها من الاحصائيات التى تنشرها يونسكو •

وسوف نبدأ هذا الفصـــل بالقاء نظرة سريعة على توزيع وسائل الاعلام فى العالم ، فسوف يساعدنا ذلك على فهم طبيعة وســـائل الاعلام فى الوطن العربى وفى مصر •

أولا : توزيع وسائل الاعلام فى العالم وفى الدول النامية :

قبل أن نتكلم عن توزيع وسائل الاعلام فى العالم ، نتحـــدث أولا عن الحد الادنى لتواجد وسائل الاعلام فى الدول النامية كما أقرته يونسكو ، فقد تساعدنا معرفة هذا الحد الادنى فى فهم أفضل لطبيعة وســـائل الاعلام فى الدول العربية بصفة عامة وفى مصر بوجه خاص •

الحـــد الادنى لوسائل الاعلام :

فى تقرير قدم الى الامم المتحدة عام ١٩٦١ ، اقترحت يونسكو ما يسمى بالحد الادنى الواجب توافره بالنسبة لوســـائل الاعلام (١)

---

(١) والتى يرى ولبور شرام انها لا تقل اهمية عن المدارس . انظر :
— Wilbur SCHRAMM. — **Mass Media and National Development.** The Role of Information in Developing Countries. Stranford University Press, Stanford, California. 1974, UNESCO. Paris, p. 212.

والتى يجب أن تصل اليه الدول النامية • وقد طرح التقرير اقتراحا بأن تبذل كل دولة جهدها لكى توفر لافراد شعبها هذا الحد الادنى بالنسبة لكل ١٠٠ شــخص ، وان كان هنــاك من يرى أنها نســبة ضئيلة (١) •

عدد		
١٠	نسخ من الصحف اليومية	لكل ١٠٠ نسمة •
٥	أجهـــزة راديو	لكل ١٠٠ نسمة •
٢	جهازين تليفزيون	لكل ١٠٠ نسمة •
٢	مكانين (مقعدين) فى السينما	لكل ١٠٠ نسمة

وفى هذا التقرير الذى وافق عليه ولبور شرام (الذى يعتبر الخبير الاول ليونسكو فى مجال الاعلام) أوصى بأن تحاول كل دولة نامية أن تصل الى هذا الحد الادنى ، وأشــار التقرير الى أن عدد الدول التى وصلت الى هذا الحد الادنى فى كل من افريقيا وآســيا وأمريكا اللاتينية لا يمكن أن يتعــدى المــائة بالنسبة لأى وســيلة ، بل هى بعيدة جدا عن هذا الحد الادنى (عام ١٩٦١) •ولقد ظل هذا الامل يراود الجميع ولم يتحقق حتى الآن بالنسبة للعــديد من هذه الدول وان كان هناك من الدول — وخاصة بعض الدول العــربية — من تخطى هذا الحد الادنى ، بالنســبة لبعض وســائل الاعــلام على الاقل •

عدم التوازن فى توزيع وسائل الاعلام فى العالم :

عدد اجهزة الراديو :

اذا درسنا قارة أفريقيا ، فاننا نجد مثلا أن معظم الدول فى هذه

1. H. BOURGES. — Dècoloniser l'infomation. Ed. Cana, Paris, 1978.

القارة النامية لم تصل الى الحد الادنى بالنسبة لعدد أجهزة الراديو الذى تقترحه يونسكو — فبينما يصل عدد أجهزة الراديو فى الدول المتقدمة الى ٩١٣ جهازا لكل ١٠٠٠ شخص ، نجد أن هناك ٢٦ دولة أفريقية لا يتعدى عدد أجهزة الراديو فيها ٥٠ جهازا بالنسبة لكل ١٠٠٠ شخص (١) .

عدد أجهزة التليفزيون :

أما بالنسبة للتليفزيون ، فان الفارق أيضا كبير بين الدول المتقدمة والدول النامية . فبينما يوجد ٣٦٧ جهاز استقبال لكل ١٠٠٠ شخص فى الدول المتقدمة (الحد الادنى الذى افترضته يونسكو هو ٢٠ جهازا لكل ١٠٠٠ شخص) فان هذه النسبة كما تشير احصائيات عام ١٩٨٠ لا تتعدى ٢ر١٦ جهاز لكل ١٠٠٠ نسمة فى دول العالم الثالث (٢) .

عدد النسخ من الصحافة المكتوبة :

واذا ما استعرضنا الموقف بالنسبة للصحافة المكتوبة فسنجد أن لكل ١٠٠٠ شخص فى البلاد الغنية ٥٠٠ نسخة فى مقابل ١٥ نسخة فقط لكل ١٠٠٠ نسمة فى البلاد الفقيرة .

فى مجال الاقمار الصناعية للاتصال :

أما فيما يتعلق بأقمار الاتصال ، فنحن نفضل عدم الخوض

---

(١) اعتمدنا هنا على الاحصائيات الرسمية التى تنشرها يونسكو الا اذا أشرنا الى غير ذلك صراحة .

(٢) أثناء الدورة التدريبية التى نظمها معهد التدريب الاذاعى عام ١٩٨٥/٨٤ للعاملين فى الحقل الاعلامى فى الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية ، ذكر لنا بعض الدارسين ان البث التليفزيونى قد بدأ منذ شهور فقط فى دولهم ، وذكر البعض الآخر ان التليفزيون مازال فى مرحلة التجارب فى دولهم ، والبعض لا يرى ضرورة لادخال التليفزيون فى دولهم مادامت شاشات التليفزيون لديهم تستقبل برامج التليفزيون التى تبثها أربع دول مجاورة ..

فى الحديث عن الفارق الكبير بين موقف كل من العالمين : العالم النامى والعالم المتقدم فى مجالات الاتصال عبر الاقمـار الصناعية ، حتى لو كان لدى بعض الدول النامية (الهنـد مثلا) ، أو لدى مجموعة من هذه الدول (الدول العربية) أقمار صناعية (١) •

ولكن ، ينبغى أن نشير هنا الى أننا نلمس تحسنا فى وضع وسائل الاعلام بوجه عام بالنسبة للدول النامية وان كان تحسنا طفيفـا • فقد لوحظ من الاحصائيات التى تقدمها يونسـكو أن هناك زيادة فى وسائل الاعلام الالكترونية (راديو وتليفزيون) بالنسبة للدول الافريقية الا أن هذه الزيادة فى الوسائل المرئية والمسموعة لا نجدها بالنسبة لوسـائل الاعلام المكتوبة فى هذه القارة • فقد انخفض عدد الصحف فى الدول الافريقية ، كما انخفض أيضا عدد النسخ التى يتم توزيعها•ويرجع البعض ذلك التدهور الى نقص فى الورق الخاص بالطباعة ، ويشيرون الى أن ذلك يعوق التنمية فى هذه البـلاد (٢) • ونتوقف قليلا عند هذا الرأى لكى نؤكد أن ارتفاع نسبة الامية فى الدول النامية يحد من دور الكلمة المكتوبة فى مجالات التنمية ، ولذلك ينبغى أن نقلق كثيرا لهذا النقص الملموس فى الصحافة المكتوبة وعلينا أن نستعين فى مجالات التنمية فى دول العالم الثالث بالوسائل الملائمة والمتوافرة — راديو — تليفزيون — سينما — ملصقات — صحافة مكتوبة — أو أى وسيلة أخرى من وسـائل البث والاعلام والاتصال • المهم هنا هو أن نعرف كيف نستخدم هذه الوسيلة أو تلك لكى نصل الى الاستفادة من أقصى طاقاتها •

ونحب هنا أن نلفت نظر القارىء الى أن بعض الدول النامية فى القارات الثلاث : أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية قد وصـلت عام ١٩٨٠ الى الحد الادنى الذى اقترحته يونسكو لوسـائل الاعلام

(١) لان هذه الاقمـار مشتراة من الدول المتقدمة ، مما يشـير الى تبعيتها وتبعيـة الدول التى تحصـل عليها للدول المصنعة لهذه الاقمار .

2. Robert ESCARPIT.— **L'écrit et la communication**. PUF, Paris, p. 97.

عام ١٩٦١ ، الا أن توزيع وسـائل الاعلام فى تلك الدول يستحق الدراسة • فالملاحظ مثلا أن المكانين بالنسبة للسينما وجهازى التليفزيون التى أوصت يونسكو بهم بالنسبة لكل ١٠٠ نسمة تتركز فى المناطق المدنية ، كما أن تحديد خمسة أجهزة راديو لكل ١٠٠ فرد لا يشـير الى أن فى امكاننا أن نصـل الى كافة المواطنين ، وذلك يفقدنا أحـد الوسائل الهامة جدا — من وجهة نظرنا على الاقل — التى يمكنهـا أن تساعد فى عمليات التنمية فى هذه الدول •

ويتضح عدم التوازن فى توزيع عادل لوسائل الاعلام بين الدول الغنية والدول الفقيرة اذا ما فحصنا ودرسنا الجداول التالية :

جـدول (١)
توزيع السـكان فى العـالم
وفقـا لتقديرات منتصف عام ١٩٧٩
(بالآلاف) (١)

فى العـالم	فى أفريقيا بما فيها الدول العربية	فى الدول المتقدمة	فى الدول النامية	فى الدول العربية	فى مصر ١٩٧٩	(٢) فى مصر ١٩٨٢
٤٣٣٥٠٠٠	٤٥٦٠٠٠	١١٥٤٠٠٠	٣١٨٢٠٠٠	١٥٢٠٠٠	٤٠٩٨٣	٤٥٠٠٠

ولن نعلق على الارقام فى هذا الجدول الا بملاحظة بسـيطة حول توزيع السكان بين دول العالم الثالث وبين الدول المتقـدمة ، والذى تبلغ النسبة بينهما حوالى ٣ : ١ ، وقد كانت هذه النسـبة ، والتى يزيد الفارق بين طرفيها باستمرار عنوانا لكتاب ترجمة اسمه : ثلث العالم ، ثلاثة أرباع العالم (٣) والذى نحيل القارىء ، المهتم بمجالات التنمية اليه •

---

(١) المصدر : الاحصائيات الخاصة التى تصدرها يونسكو.

(٢) وفقـا لتقديرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء . .

3 Maurice GUERNIER.— **Tiers—Monde, trois quarts du Monde.** Paris, Bordas. Dossier/Demain, Rapport du Club de Rome, 1980.

جـــدول رقم (٢)

توزيع عدد الصـــــحف اليـــــومية

وعدد النســـخ فى العـــالم

فى العالم فى مجموعة من الدول فى أقليم فى دولة		عددالصحف اليومية عام١٩٧٩	عدد النسخ عام ١٩٧٩	
			عددالنسخ (بالمليون)	عدد النسخ بالنسبة لكل ألف شخص
فى العالم		٨٢٤٠	٤٥٣	١٣٤
فى الدول النامية		٣٥٨٠	٧٩	٣٥
فى الدول العربية		١١٠	٥	٣٣
فى مصر	١٩٧٠	١٤	—	٢٢
	١٩٧٨	١٠	—	—
	١٩٧٩	٩	٢,٤٧٥	٦٠,٤

(— غير معـــــروف)

من الجدول الســـابق ، يمكن للقارىء ملاحظة هذا الانخفـــاض بالنسبة لعدد الصحف فى مصر من ١٤ جريدة عام ١٩٧٠ الى ٩ فقط عام ١٩٧٩ — الا أن هذا لا يمنع أن نسبة عدد النسخ لكل ١٠٠٠ شخص قد زادت من ٢٢ نسخة عام ١٩٧٠ الى أكثر من ٦٠ نسخة عام ١٩٧٩ ، الا أنها ما زالت أقل من الحد الادنى الذى اقترحته يونسكو وهو ١٠٠ نسخة لكل ألف شخص ٠

ويلاحظ من هذا الجدول أيضا أن عدد النسخ من الصحف بالنسبة لكل ١٠٠٠ شخص فى مصر عام ١٩٧٩ تتعـــدى مثيلتها بالنسبة لدول العـــالم الثالث — والتى من بينها مصر فى هذا الجدول — كما تتعـــدى أيضا مثيلتها فى الدول العربية ٠

عدد صالات العرض السينمائى :

جـدول رقم (٣)
توزيع عدد صالات العرض السينمائى
وعدد المقـــاعد فى السينما
فى العـــالم

فى العالم فى مجموعة من الدول فى اقليم فى مصر	عدد صالات العرض بالآلاف		عدد مقاعد السينما			
			عدد المقاعد (بالمليون)		عدد المقاعد لكل ١٠٠٠ نسمة	
	١٩٧٠	١٩٧٨	١٩٧٠	١٩٧٨	١٩٧٠	١٩٧٨
فى العالم	٢٦١	٢٤٧	٢٤٧	٧٢	٢٦	٢٢
فى الدول النامية	٢٦	٢٨	١٨	١٩	٩	٩
فى الدول العربية	١,٦	١,٦	٠,٩	١,١	٧	٨
فى مصر	—	—	—	—	—	٥,٧

(— غير معروف)

وسوف نترك هذا الجـدول للقارىء بدون أى تعليق يمكن أن يستنتجه بسهولة إذا ما قام بمقارنة هذه المعطيات بما سبق أن عرضناه فى الجدول الخاص بتوزيع السكان فى العالم . كما أننا نلفت أنظـار المسئولين والقارىء الى وضع السينما المصرية بالنسبة للدول العـربية وبالنسبة للدول الناميـة والذى يظهر فى العمود الرأسى والاخير فى الجدول السابق .

فى نهاية هذا العرض لبعض وســائل الاعلام فى العالم ، واذا حاولنا الربط والمقــارنة عند تحليل الجداول الثلاثة السابقة ، فاننا

سنكتشف عدم التوازن فى توزيع وسائل الاعلام : صحافة وسينما بالنسبة لتوزيع السكان بين الدول الصناعية والدول النامية • فبينما يشكل عدد السكان فى الدول النامية حوالى ثلاثة أرباع العالم سنة ١٩٧٩ (٧٣٪) والذى يمكن أن يكون أكثر من ذلك عام ١٩٨٤ — اذ أخذنا فى الاعتبار نسبة عدد المواليد فى العالم النامى والعالم المتقدم — نجد أن الدول النامية لا تمتلك سوى ٤٣ر٤٥٪ من الصحف عام ١٩٧٩ ، ٣٤ر١١٪ من صالات السينما عام ١٩٧٨ وهذا يؤثر بلا شك على نسبة عدد هذه الوسائل لكل ١٠٠٠ شخص ، مما يشير الى فارق واضح وكبير له دلالة معنوية بين انتشار الصحف والسينما فى كل من العالم المتقدم والعالم النامى •

توزيع وسائل الاعلام على مستوى القارات :

اذا كانت الاحصائيات تشير الى أن هناك عدم مساواة فى توزيع وسائل الاعلام بين دول العالم الثالث ، فان هناك عدم عدالة أيضا بالنسبة لتوزيع وسائل الاعلام على مستوى القارات النامية نفسها •

جدول رقم (٤)

توزيع وسائل الاعلام فى القارات النامية

(عام ١٩٧٩)

القارة	عدد وسائل الاعلام (بالألف)				عدد وسائل الاعلام لكل ١٠٠٠ شخص			
	أجهزة راديو	أجهزة تلفزيون	نسخ الصحف	مقاعد السينما	أجهزة راديو	أجهزة تلفزيون	نسخ الصحف	مقاعد السينما
أمريكا اللاتينية	٤٩٨٠٠	١٨٦٩٢	١٨٠٧٣	٦٢٨٤	١٧١	٦٨	٦٢	٢٢
آسيا	٧٥٩٨٧	٧١١٠	٢١٨٦٧	٦١٦٣	٤١	٤	٢٠	٦
أفريقيا	١٨٤/٠٣	١٥٠٣	٤٧٧٥	١٣٥١	٥٤	٤	١٤	٤

تشير الارقام فى الجدول السابق أن أمريكا اللاتينية أكثر تقدما فى مجال وسائل الاعلام من القارتين آسيا وافريقيا • ونحن نتساءل هنا عما اذا كان تقدم أمريكا اللاتينية عن القارتين : آسيا وافريقيا فى هذا الميدان يرجع الى موقع أمريكا الجنوبية الجغرافى بالقرب من الولايات المتحدة ، أم يرجع ذلك الى أن الاحصائيات فى هذه القارة الامريكية أكثر دقة منها فى آسيا وافريقيا ؟

هذه الفروض التى طرحناها فى شكل تساؤلات قد تفسر هذه الارقام التى عرضها الجدول السابق ، ولكن هناك ربما أسبابا أخرى قد تكون خلف هذا التوزيع اللامتكافىء لوسائل الاعلام بين القارات النامية الثلاث • ونترك للقارىء فرصة البحث عن هذه الاسباب الاخرى ان وجدت •

انتشار التليفزيون فى العالم :

عدد الدول التى تمتلك التليفزيون فى أراضيها وعدد أجهزة الاستقبال :

حتى عام ١٩٧٩ ، كان هناك حوالى ١١٦ دولة أدخلت التليفزيون فى أراضيها من بين ١٥٦ دولة فى العالم (١) ومن بين هذه الدول التى تبنت التليفزيون حتى ذلك التاريخ كان هناك ٦٠ دولة تبث برامجها بالالوان وفقا لاحد الانظمة الثلاثة : PAL. SECAM. NTSC المستخدمة فى البث التليفزيونى الملون (٢) •

وفى عام ١٩٧٩ أيضا ، كان عدد أجهزة التليفزيون فى العالم يقدر بحوالى ٤٧١ مليون جهاز ، ولكن ، فى توزيع غير متعادل بين الدول وبين القارات •• شأنه شأن ما سبق أن ذكرناه بالنسبة للسينما والصحف • فتشير الاحصائيات مثلا الى أن من بين ١١٦ دولة أدخلت التليفزيون يوجد ثلاث دول فقط تحتكر أكثر من نصف أجهزة الاستقبال التليفزيونى وهى : الولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفيتى •

---

(1) H. BOURGES.— **Décoloniser L'information**.— op. cit. p. 36.

(٢) ارجع الى : انشراح الشال . — **تكنولوجيا الاتصال** (ثلاثة اجزاء) مذكرات غير منشورة — كلية الاعلام جامعة القاهرة ١٩٨٥/٨٤ .

توزيع أجهزة الاستقبال التليفزيونى وعدد الاجهزة بالنسبة لكل ١٠٠٠ شخص :

لكى نقدم دراسة مورفولوجية للتليفزيون فى مصر أو فى أى دولة أخرى ، نعتقد أن من الواجب وضع هذه الدولة أو تلك فى الاطار العالمى العام ، لمقارنة ما يحدث فيها بما هو كائن فى الدول الاخرى فى العالم على مدى عدة سنوات •

جدول رقم (٥)

توزيع أجهزة التليفزيون وعدد أجهزة الاستقبال لكل ١٠٠٠ شخص

	عدد الأجهزة (بالملايين)				عددالاجهزة لكل ١٠٠٠ نسمة			
	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٩	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٩
فى العالم	١٨١	٢٦٦	٣٧٤	٤٧١	٧٢	٩٦	١٢٢	١٣٩
فى البلاد المتقدمة	١٧٠	٢٤٤	٢٣٤	٤٠٧	١٦٦	٢٢٧	٢٩٨	٣٥٣
فى الدول النامية (بدون الدول العربية	١١	٢٢	٤٠	٦٤	٧,٣	١٣	٢١	٢٩
فى البلاد العربية (ومنها مصر)	٠,٩	١,٩	٣,٤	٦,٤	٨,٤	١٥	٢٤	٤٢
فى مصر	٠,٣٢٣	٠,٥٢٩	١,١٠٠	١,٣٠٠	١١	١٦	٢٨	٢٢

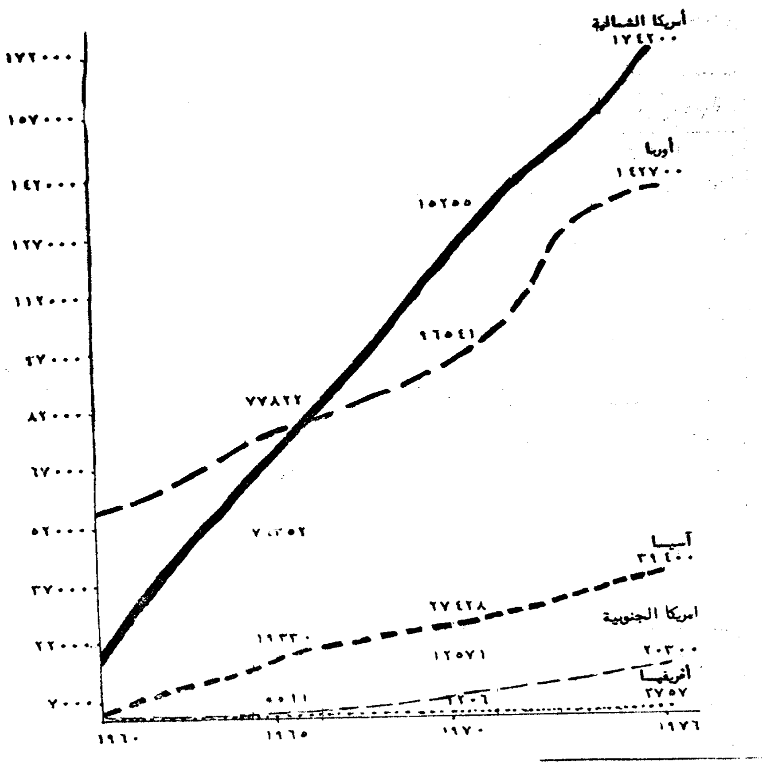
من الجدول السابق يتضح أن هناك فجوة كبيرة فى مجال التليفزيون بين الدول المتقدمة والدول النامية • فبينما كان عدد أجهزة التليفزيون فى الدول المتقدمة بنسبة ١١٦ جهاز لكل ١٠٠٠ شخص عام ١٩٦٥ ، فان هذا العدد لم يكن يتجاوز ٧ر٣ بالنسبة للدول النامية (أى بنسبة ٢٣ : ١) •

هذا التوزيع غير العادل لاجهزة التليفزيون مازال قائما بالنسبة لأرقام عام ١٩٧٩ • فبينما تمتلك الدول المتقدمة (البلاد الاوربية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وكندا واليابان واستراليا ونيوزيلنده وأفريقيا الجنوبية واسرائيل) ٤٠٧ مليون جهاز استقبال (عام ١٩٧٩) فان كل بقية دول العالم لا تملك سوى ٦٤ مليون جهاز استقبال •

وتشير الاحصائيات الى أن توزيع أجهزة الاستقبال بين الدول المختلفة لايمكن أن يتصف بالعدالة.فعلى مستوى القارة الامريكية مثلا، يتركز أكبر عدد من أجهزة الاستقبال التليفزيونى فى الولايات المتحدة بالمقارنة بعدد الاجهزة فى كل من كندا وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

والرسم التالى يوضح تطور توزيع التليفزيون بالنسبة لقارات العالم فى الفترة من ١٩٦٠ — ١٩٧٦ (١) .

رسم رقم (٩) تطور عدد أجهزة الاستقبال التليفزيونى فى العالم (بالآلاف) من ١٩٦٠ — ١٩٧٦



(1) **Stetistics on Radio and Television, 1960 — 1976,** UNESCO, Paris, 1979, p. 28 — 29.

ثانيا — العوامل التى قد تؤثر فى حيازة جهـاز استقبال تليفزيونى :

حاول كثيرون أن يربطوا بين حيازة جهاز استقبال تليفزيونى وبين عدة عوامل أهمها : مستوى دخل الاسرة والمستوى الثقافى لرب الاسرة ، ومركزه الاجتماعى بل وديانته [1] .

وفى دراستنا هذه ، يمكننا أن نجمع فى فئتين العوامل التى قد تؤثر فى شراء جهاز تليفزيونى وهما :

١ — عوامل جغرافيـــة :

٢ — عوامل اجتماعية :

١ — العوامل الجغرافية :

(أ) موقع الدولة فى النصف الشمالى أو الجنوبى للكـــرة الارضية :

تشير الاحصائيات الى وفرة ملحوظة فى عدد أجهزة التليفزيون فى دول النصف الشمالى من الكرة الارضية — وهى فى الغالب دول متقدمة صناعيا .

أما دول العالم النامى، الذى يطلق عليها البعض أسم دول الجنوب، أو دول النصف الجنوبى من الكرة الارضية ، فانها تعانى من نقص فى عدد أجهزة التليفزيون ، مثلما تعـانى من نقص فى أى وســيلة أو أجهزة تكنولوجية أو الكترونية أخرى ، وان اختلفت نســبة هذا النقص من دولة لاخرى .

هذا العامل الجغرافى يمكن أيضــا أن يكون له مغزى اجتماعى

---

(٢) انشراح الشال . — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيـــديو والغزو الثقافى** نهضة الشرق ، ١٩٨٥

يتعلق بانتماء الدولة الى نصف الكرة الشمالى (والذى يشمل كما ذكرنا دولا صناعية) أو الى نصف الكرة الجنوبى ، أى انتماء هذه الدولة أو تلك الى دول العالم النامى • ولنا فى الارقام التى تقدمها الاحصائيات خير دليل على هذا التوزيع اللامتكافىء للتليفزيون بين نصف الكرة الشمالى ونصفها الجنوبى ، كما يشير هذا العامل ضمنا الى موقع الدولة فى احدى القارات دون غيرها • فقد سبق أن تحدثنا عن أجهزة التليفزيون التى تتركز فى قارات دون أخرى ، فى أمريكا الشمالية أكثر من أمريكا الجنوبية وفى أوربا أكثر من أفريقيا •

(ب) القرب أو البعد من المدن الكبرى :

أما العامل الجغرافى الثانى الذى يمكن أن يلفت انتباهنا ، والذى له أيضا معنى اجتماعى ، فيرجع الى بعد المكان أو قربه من المناطق الحضرية التى يتركز فيها الاعلام بوجه عام • فالملاحظ مثلا أن أجهزة التليفزيون تتركز فى المناطق الحضرية وخاصة فى العواصم والمدن الكبرى ، بالقرب من المحطات الرئيسية للارسال ، ويتساوى التليفزيون فى هذه الخاصة فى الدول المتقدمة وفى الدول النامية • وقد يرجع السبب فى ذلك الى أن فى المدن الكبرى التى هى فى الغالب قريبة من المحطات الرئيسية للبث أو لمحطات التقوية — تكون ظروف استقبال الارسال التليفزيونى ، ومستوى ونوعية الاستقبال من أكثر من محطة ، أفضل منه بالنسبة للمناطق النائية البعيدة عن محطات الارسال • ولذلك لاحظ مثلا ليو بوجار عام ١٩٦٠ أن فى احدى المدن الامريكية التى يبلغ تعداد سكانها حوالى ١/٤ مليون نسمة وصلت كثافة أجهزة التليفزيون الى أربعة أجهزة لكل خمس أسر ، وهى نسبة تفوق المتوسط القومى هناك فى نفس العام (١)

---

(1) Leo BOGARD.— «The Growth of Television», in, W. SCHRAMM» — **Mass Communications.** op. cit., p. 107 — 108.

وقد لاحظ أيضا أحد الباحثين الفرنسيين الذى قام بدراسة ميدانية على احدى المناطق السكنية فى ضواحى مدينة تور أن حيازة التليفزيون فى المنطقة المدروسة وصلت الى ٧٥ ٪ فى العينة المفحوصة بفارق له دلالة احصائية مع الارقام الرسمية التى أعلنتها الاجهزة المسئولة فى فرنسا حيث لم تتجاوز الحيازة على مستوى الدولة نسبة ٥٩,٥٪ بالنسبة لعام ١٩٧٢ الذى أجرى الباحث خلاله دراسته (١) • هذا الفارق فى نسبة الحيازة بين الاحصائيات الرسمية لفرنسا وبين ناتج هذا البحث الميدانى يرجع بالدرجة الاولى الى أن الباحث قد اختار عينة « منحازة » من سكان احدى المناطق السكنية فقط وهى بذلك لا تمثل المجتمع الفرنسى بصفة عامة ، الا أن الباحث يرجع هذا الاختلاف عند تحليله الى أن وسائل الترويح الاخرى قليلة فى المنطقة المدروسة ، الذى هو من وجهة نظرنا عامل من بين عوامل أخرى قد تكون السبب وراء هذا الاختلاف •

وشبيه بالنتيجة السابقة ، ما سبق أن ذكرناه فى بحث سابق قمنا به عام ١٩٧٦ حيث وجدنا أن بالقاهرة والجيزة وحدهما ما يقرب

---

1. Jean — Pierre CORBEAU. — **L'impact de certains canaux de communications de masse sur la vie quotidienne d'une population urbaine. Thèse de 3e Cycle, Université** François Rabelais, Tours, UER des Sciences de l'Homme 1972, p. 133.

من ٧٠٪ من عدد أجهزة التليفزيون (١) • الا أن هذا الرقم يجب أن نأخذه بعين الحـــذر حاليا ، بعد أن انتشرت أجهزة التليفزيون لاسباب عديدة فى القرية المصرية • ونحن نرى صعوبة فى تحـــديد الرقم الفعلى لاجهزة التليفزيون فى مصر بعد أن صدر قرار بالغـــاء الرخص التى كانت مقررة على أجهزة الاستقبال حتى عام ١٩٧٣ •

ولكن ، ينبغى أن نشـــير هنـــا ، الى أن التيلفزيون — مثله مثل أى وسيلة اعلامية أخرى — يتقدم ويتطور وينتشر أكثر فى المدن عنه فى القرى ، وخاصة فى العاصمة حيث تتركز فى الغـــالب القوى الثقافية والقوى السياسية والاقتصادية •• ففى زيارة لنـــا قمنا بها لمدينة طنطا فى ينـــاير ١٩٨٤ وجدنا لدى احدى الاسر خمســـة أجهزة تليفزيونية ثلاثة منها بالالوان من ١٦ — ٢٦ بوصة موزعة على غرف المسكن حيث وضع الجهـــاز الكبير (٢٦ بوصـــة) فى مدخل الشقة ومعه جهـــاز فيديو ، وجهاز أســـود وأبيض فى غرفة الطعام المتصلة بالمدخل دون باب يفصـــل بينهما ، وبقية الاجهزة موزعة على غرفة النوم (٢) • هذه الاسرة (٣) مشتركة فى نادى للفيديو بطنطا ويقول الاب انه يستأجر حوالى ٧٠ فيلما شهريا ، فغالبا ما يستأجر فيلمـــين أو أكثر فى اليوم (الشريط يســـتأجره بجنيه ولأى مدة : أسبوع أو أكثر لانه صـــديق لصـــاحب النـــادى) ومن بين الافلام التى وجدناها فى المنزل أثناء الزيارة أفلاما عربية وأخرى أجنبية ومن بينها الفيلم التليفزيونى : « فى اليوم التالى » • كما وجـــدنا أيضا فيلم « المشبوه » الذى قاموا بتسجيله من التليفزيون وفيلم « شاطىء الحظ » وفيلم « العسكرى شبراوى » •

---

(١) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية** • مرجع سابق .

(٢) انشراح الشال . — **المدخل الاجتماعى للاعلام** • مذكرات غير منشورة ١٩٨٤/٨٣ — كلية الاعلام — جامعة القاهرة .

(٣) تتكون هذه الاسرة من أب وأم فى العقد الرابع ، وابن متزوج ويسكن بالقرب من الاسرة وثلاث بنات ، وابن آخر فى المرحلة الاعدادية .

بعد هذه الملاحظة نعود لموضوعنا الرئيسى لنتكلم عن الدراسات التى تناولت انتشار الاعلام فى المدن •

يشير هرفى بورج Hervé BOURGES فى احدى كتبه ، التى يتناول فيها موضوع تبعية وسائل الاعلام ، الى أنه فى المدن الكبرى يزيد اهتمام الطبقة السياسية والادارية ورجال الاعمال — وخاصة هؤلاء الذين درسوا فى الغالب فى جامعات أجنبية — ببرامج التليفزيون والتى هى من مصادر أجنبية • ويأسف بورج — ونؤيده فى ذلك ، لان هذا يكون على حساب الثقافة القومية مما قد يؤدى الى ازدواجية فى الثقافة داخل الوطن الواحد ، وهو يقصد هنا مجتمعات الدول النامية • ولكن ما أشار اليه بورج لا يزيد حتى الآن عن كونه فرضا يحتمل الصواب والخطأ نطرحه أمام الباحثين الذين يهمهم موضوع التأثير الثقافى لوسائل الاعلام ، والذى لمسته احدى باحثاتنا فى قرية من قرى المنوفية ، التى انتشر فيها التليفزيون • فقد وجدت أن اختيار أسماء المواليد يغلب عليه فى الفترة الاخيرة الجانب الفنى • فأصبحت الابنة تسمى منى وهويدا ونجلاء والولد يسمى هانى ، بعد أن سادت فى فترة سابقة أسماء سعدية وخديجة وأحمد ، وهو فرض جدير بالدراسة فعلا •

٢ — العوامل التى قد تفسر الانتشار المحدود للتليفزيون فى المناطق الريفية فى مصر :

يمكننا أن نقسم العوامل التى حدت من انتشار التليفزيون حتى وقت قريب فى الريف المصرى الى مجموعتين ، احداهما تتعلق بالوسيلة نفسها والاخرى تتعلق بالفرد •

(أ) العوامل التى تتعلق بجهاز التليفزيون :

تتعدد العوامل التى تتعلق بجهاز التليفزيون والتى تؤثر فى عدم انتشار هذه الوسيلة فى القرى بنفس قدر انتشار التليفزيون فى

المدن (١) • ومن هذه العوامل :

— عدم وجود الكهرباء أصـــلا فى الريف •

— عدم وصـــول البث التليفزيونى الى بعض الاماكن النائية •

— تستقبل أجهزة التليفزيون فى القرى غالبـــا عـــددا محـــدودا من البرامج (على قناة واحدة فقط كما هو الحال بالنسبة لبعض القرى فى مصر) •

— البرامج المستقبلة فى الريف قد تكون غير واضـــحة وعوامل الشوشرة تلعب دورا هاما فى دقة استقبال الرسالة •

— أن برامج التليفزيون — التى يعدها ذوو الياقات البيضاء — تتحدث وتهتم فى الغـــالب باحتياجات سكان المدن عن اهتمامات رجل القرية والعامل • ولذلك ساد لفترة طويلة عزوف الفلاح فى مصر — كما فى غيرها من الدول — عن امتلاك هذا الجهاز •

(ب) العـــوامل التى تتعلق بالفـــرد :

والعوامل التى تتعلق بالفرد والتى تحد من انتشار التليفزيون

---

(١) وهى ظاهرة عامة فى مصر كما فى غيرها من الدول الاخـــرى — انظر على سبيل المثال :

— Gloria D. FELICIANO. — «Communication and Development in Southeast Asia, 1964—1974», in, W. SCHRAMM, D. LERNER (ed.).—**Communication and Change**. The Last Ten Years **and the Next**. The University Press of Hawaii, USA, 1976.

— Sean MacBRIDE.— **Voix multiples, un seul monde. Communication et société aujourd'hui et demain.** Rapport collectif. Documentation Française, Nouvelles Editions Africaines, UNESCO, France, 1980.

فى الريف المصرى هى عـوامل سوسيولوجية بالدرجة الاولى وتتعلق بالفرد ذاته • هذه العـوامل التى قد تعوق حيازة جهـاز التليفزيون بالنسبة للفلاح التقليدى أهمها :

— أن الفلاح يعرف أن هذا الجهاز ببرامجه من صنع سكان المدينة ولأجلهم •
— يقف دخل الفلاح حائلا دون التفكير فى شراء هذا الجهاز •
— يغادر الفلاح منزله فجرا ومعه فى الغالب أسرته ولا يعـود اليه الا فى المساء حيث لا يتبقى لديه سوى الوقت اللازم للأكل والراحة لكى يتسنى له القيام مبكرا لاستئناف نشاطه فى اليوم التالى •
— مشاهدة برامج التليفيزون فى القرية المصرية تتم جماعـة • وهذا يعنى أن الفلاح ليس مجبرا على شراء تليفزيون لمشـاهدة البرامج • فهو يستطيع مشاهدة هذه البرامج فى القرية سـواء فى دكان أحد التجار بها أو فى نادى القرية أو لدى أحد أقاربه أو معارفه •
— الفلاح المصرى لا يؤمن بالتليفزيون • فهو من وجهـة نظره ليس سوى تخيلات مثله مثل السينما « حكايات غير حقيقية » كما تقول احدى المبحوثات فى دراسة سابقة قمنا بها • والفلاح المصرى فى قريتنا لا يحب هذه الحكايات التى تخـرج غالبا عن الواقع وخاصة اذا كانت تتعلق بعالم آخـر لا يخصـه ولا يعنيه ، عالم أهل المدن •

ونذكر القارىء هنا بأن نتائج البحوث التى أجريت على حيـازة جهاز الراديو تشير الى أن الفلاح فى القرية المصرية — كما هو الحال أيضا بالنسبة لرجل المدينة — يقبـل على شراء الجهاز لكى يسمع القرآن يتلى ، ولكى يسمع النشرات الاخبارية • بل لاحظنا أيضا أن

مفتاح الراديو لا يدار لدى بعض الاسر سوى فى مواعيد ثابتة ، معروفة جيدا لدى المستمع ، وهى مواقيت اذاعة نشرة الاخبار والقرآن الكريم . أما الاغانى والمسلسلات الاذاعية فى الراديو ، فان بعض المستمعين فى مصر لا يهتمون بها حتى الآن (الا أن هذا لا يمنع من أن بعض المستمعين يقبل على هذا النوع من البرامج) .

والملاحظ أيضا أن حيازة جهاز تليفزيون قد ساعدت فى تحديد وظيفة جهاز الراديو لدى بعض الاسر التى أصبحت تتعامل مع جهاز الراديو بصورة مختلفة عن تعاملها معه قبل وجود التليفزيون . أصبح الراديو مخصصا بالدرجة الاولى للاستماع للنشرات الاخبارية ، وللقرآن الكريم ، وللبرامج الموجهة بالنسبة لبعض فئات من الشعب . بل ان هناك بعض الاسر التى أصبحت لا تتعرض لجهاز الراديو الا أثناء تنقلاتها فى السيارة ، أو للاستعانة به فى تشغيل شريط تسجيل يريدون الاستماع اليه . ونتوقف عند هذا الحد لكى نؤكد أن هذه النقاط التى أثرناها ما زالت تحتاج الى دراسة . أى أننا نطرحها هنا كفروض لدراسة متخصصة للتحقق منها .

مما سبق ، يستطيع القارىء أن يستنبط مفهومنا للدور الوظيفى لوسائل الاعلام والذى يقوم على محورين أساسيين :

— الأسباب الرئيسية التى من أجلها يسارع الفرد لحيازة وسيلة أو أخرى ، أو بأسلوب آخر ، الأسباب التى تختفى وراء اختيار التعرض للوسيلة .

— ماذا يفعل الفرد بهذه الوسيلة أو تلك ، أو بأسلوب آخر ، كيف يتعامل الفرد مع الوسيلة الاعلامية .

فاذا كنا قد ذكرنا سابقا أن الفرد قد يشترى جهاز الراديو للاستماع للقرآن الكريم ، أو الى النشرات الاخبارية (بسبب

ظروف خاصة تمر بها الدولة مثلا ••) فاننا نشير هنا الى أن جميع الدراسات التى أجريت على حيازة التليفزيون فى مصر أو فى الخــارج قد أثبتت أن الفرد يشترى التليفزيون « لمشاهدة المسلسلات ، لشغل أوقات الفراغ •• » أبدا لم نسمع حتى الآن عن فرد قد اشترى جهاز التليفزيون لكى يسمع القرآن الكريم يتلى ، أو لكى يتـــابع نشرات الاخبار ، أو حتى لمتابعة البرامج التعليمية •• ، الا أن هذا لا يمنع من أن بعض حائزى التليفزيون قد يذكرون النشرات الاخبارية والبرامج التعليمية والمواد الثقافية أو الدينيـــة ، كبرامج يفضلون متابعتها ويشاهدونها فعلا على الشاشة الصغيرة بنســبة أكبر من مشاهدتهم للمواد الدرامية أو غيرها من البرامج الترويحية (التى تستقطب نسبة كبيرة من مشاهدى التليفزيون) •

٣ — العوامل السوسيولوجية التى قد تؤثر فى حيازة جهــاز استقبال تليفزيونى :

عنــدما تكلمنا عن العوامل الجغرافية التى تحــد من انتشـــار التليفزيون ، أشرنا الى أن ملكية جهاز تليفزيون فى القرية المصرية ، كما فى غيرها من بعض المنــاطق الريفية فى دول أخرى ،يتوقف على عدة عوامل منها : الكهرباء ، ووضوح استقبال الصورة •

وتكلمنا فيما سبق أيضا عن موقف الفلاح المصرى تجاه الراديو كوسيلة تلبى احتياجاته فى الاستماع الى القرآن الكريم • وأشرنا الى أن الفــلاح — وذلك حتى وقت قريب — كان يرفض الراديو كوسيلة لنشر الاغنية أو لاذاعة التمثيليات •• وقد يرجع ذلك الى أسباب سوسيولوجية مشــابهة لتلك الاســباب التى قد تؤثر فى حيــازة ، أو فى دور ، وســيلة أخرى مثل التليفزيون وأهمها عامل الدين •

(أ) الدين كعامل من العوامل التى قد يكون لها تأثير على حيازة جهاز تليفزيون :

قد يعطى بعض الاجتماعيين أهميـة كبيرة الى عامل الدين الذى ينسبون اليه السبب فى عدم انتشار التليفزيون ، سواء فى ذلك بالنسبة للمناطق الريفية أو للمناطق الحضرية فان الدين ، الذى ننظر اليه كعامل ثقافى قد قام ومازال يقوم بدور كبير بالنسبة للتليفزيون كظاهرة اجتماعية .

ففى عام ١٩٦٠ ، وجد الباحث ليو بوجار أن هناك ثمة علاقة بين الدين وحيازة التليفزيون . فمن خلال دراسته لعينة قوامها ٣٥٥٩ مفردة ، وجد بوجار أن حيازة التليفزيون تقل نسبتها بين الافراد الذين يدينون بالمذهب البروتستانتى أكثر من هؤلاء الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكى أو بالدين اليهودى ، وذلك بالنسبة لجميع أفراد العينة دون أى فرق يذكر بين مختلف الطبقات الاجتماعية .. الا أنه وجد أن درجة الاختلاف تزداد حدة بين أفراد الطبقات العليا .. فقد وجد مثلا أن من بين أفراد العينة الذين ينتمون الى الطبقة الاجتماعية « العليا » وحيث يقوم الاب بدور قيادى فى جماعته ، تصل نسبة حيازة التليفزيون بالنسبة لليهود الى ٨٢٪ بينما لم تصل نسبة الحيازة بين البروتستانت ذوى المكانة فى نفس العينة سوى ٣٤٪ فقط (١) .

وقد أرجع الباحث هذا الاختلاف فى الحيازة بين البروتستانت وبين غيرهم الى أن هذا المذهب المسيحى يرفض التليفزيون . ونحن نعترف هنا أن معلوماتنا عن هذا المذهب لا تسمح لنا بالاشارة الى النص الذى استند اليه بوجار فى تعليله لهذه الظاهرة ، ومدى الاختلاف فى ذلك بين المذهب البروتستانتى والمذهب الكاثوليكى

---

1. Leo BOGARD.— «The Growth of Television», art. cit., p. III.

مثلا (١) ، الا أن من الجـدير بالذكر هنـا ، أن هذا الباحث ، قد أشار فى دراسته الى أن اختلاف نسـبة حيازة التليفزيون بين الافراد تبعا للدين الذى يدين به كل منهم فى سبيله الى التلاشى •

ولما كانت هذه الدراسـة قد أجريت عام ١٩٦٠ ، أى بعد سنوات قلائل من بداية التليفـزيون ، يجب أن نشـير هنـا الى أن هـذه المعطيات التى أشـارت اليها دراسـة بوجار قد تكون مختلفـة تماما فى الوقت الحالى ، بعد أن استقر التليفزيون كظـاهرة اجتماعية عامة بين كافة الفئات ، وهو فرض نطرحه للدراسـة المتعمقة •

وعند صـياغة هذا الفرض استندنا الى ما أشـار اليه بوجار من أن هذه الظـاهرة فى سبيلها الى الاختفـاء والى نتائج دراسة أخرى أجريت فى نيوهافن عام ١٩٥٢ ، أى قبل سـنوات من دراسة بوجار • فقد وجد فى العينة المفحوصـة أن نسـبة حيازة التليفزيون بين كل المفردات تقل عن نسـبة الحيازة فى فئة الكاثوليك • وقد كان الاختلاف يظهر فى هذه الدراسـة أيضا بصـورة واضحة تبعا للسلم الاجتماعى للأسر المدروسـة وخاصـة لدى البروتستانت • فبينما تشير نتائج هذه الدراسـة الى أن نسبة الحيازة تصـل الى ٨٢ ٪ بالنسبة للأسر اليهودية ، والى ٥٠ ٪ فقط بالنسـبة للبروتستانت فى العينة ، فان نسـبة الحيازة لدى الاسر الفقيرة المدروسـة كانت ٨١ ٪ بالنسـبة للكاثوليك و ٦٣ ٪ لدى اليهـود و ٦١ ٪ لدى البروتستانت •

والافتراض القائم هنا والذى يمكن طرحه تأصـيلا على الارقام والمعطيات فى بحث نيوهافن هو أنه : كلما انتمى الفرد (أو الاسرة)

---

(١) فى البحث الميدانى الذى قمنا به خلال العام الجامعى ١٩٨٥/٨٤ ذكرت ثلاث حالات تدين بالمذهب البروتستانتى عدم وجود جهاز تليفزيون فى منزلهم ، لان دينهم يمنعهم من مشاهدة التليفـزيون . انظر : انشراح الشمال . — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغـزو الثقـافى :** الكتاب الثانى من سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى . نهضة الشرق ، ١٩٨٥ .

الى طبقة اجتماعية أعلى ، رفض حيازة جهاز تليفزيونى (١) • كان ذلك حقيقة بالنسبة للبروتستانت فى الدراسة التى أجريت فى أمريكا عام ١٩٥٢ • فهل ياترى مازال الفرض قائما فى هذا المجتمع المدروس حتى الآن ؟ وهل هو عام بالنسبة لكافة المجتمعات ؟ نكرر أن ٥ ٪ فقط من البروتستانت التى تنتمى الى طبقة اجتماعية أرقى لديها تليفزيون ، بينما تصل النسبة الى ٦١ ٪ لدى البروتستانت الذين ينتمون الى طبقة متواضعة • فاذا استرجعنا باقى الارقام لاحظنا أن النسب على النحو التالى : (٢)

جدول رقم (٦)

العلاقة بين حيازة جهاز التليفزيون وبين الدين والمستوى الاجتماعى

فى مجتمع نيوهافن عام ١٩٥٢

الدين	الحيازة ٪	
	لدى الاسر الفقيرة	لدى الاسر الغنية
بروتستانت	٦١	٥
كاثوليك	٨١	٨٢
يهود	٦٣	٧٨

(١) وهو مانلمسه شخصيا لدى بعض الاسر المثقفة فى المجتمع الفرنسى •

2. F.O. ISFAHANI.— **La T.V. et La famille a Isfahan** Thèse de **3e Cycle**, Université de Paris V, 1977, p. 48.

من معطيات هذا الجـــدول ، هناك فرض آخر يمكن أن نطرحه فى شـــكل تساؤل عما اذا كان البروتستانت أكثر تحفظا وأكثر رفضـــا للتليفزيون (ولكل جديد ، وللأفكار المستحدثة .. اذا شئنا التعميم) من اليهود ومن اخوانهم الكاثوليك فى العينة المدروســـة (١) .

وسنترك هذا التساؤل نقطـــة انطلاق لبحوث مستقبلة ، خاصة بعد أن أظهرت أحدث دراســـة أجريناها فى مصر على رفض المذهب البروتستانتى لجهاز التليفزيون (٢) .

تكلمنا هنـــا عن موقف كل من اليهود والمسيحيين (كاثوليك وبروتستانت) ازاء التليفزيون من خلال دراســـات أجريت فى المجتمع الامريكى . فمـــاذا يمكن أن نقول فيما يتعلق بموقف المسلمين من التليفزيون ؟ (اذا كان هناك ما يمكن أن نطلق عليه اسم موقف بطبيعة الحال) .

للاجابة على هذا السؤال ، نفتح أولا قوسين لكى نذكر للقارىء تعليقا لأحد النقـــاد الفرنسيين عندما اشترك فى مناقشة بعد عرض الفيلم المصرى « باب الحديد » (١٩٥٧) ليوسف شـــاهين عندما

---

(١) الى جانب الدراسة التى أجراها ماكس فيبر ، نحيل القـــارىء أيضا الى :

— M. GUERNIER. — **Tiers — Monde** .. op. cit., p. 25 — 26.
— J.E. GOLTHORPE. — **The Sociology of the Third World**. Disparity and Involvement. — Cambridge University Press, London, 1975, p. 232 — 235.
— Wiliam WILDER. — L'Islam, Other Factors and Malay Dakwardness : Comments on an Argument». p. 267 — 272, in, **Modern Asian Studies, II,** No. 2, 1968.
— Brien K. PARKINSON. — «The Economic Retardation of Malays a rejoindre» p. 267 — 272, in, **Modern Asian Studies,** no 3, 1968.

(٢) الدراسة ما زالت تحت الطبع .

عرضـــته شـــاشة القنـــاة الثـــالثة للتليفـــزيون الفرنسى (FR3) يوم الخميس المـــوافق ٢٤ يونيـــــة عام ١٩٨٢ فى برنامج الســـهرة Cinéma sans visa قال : ان امرأة « المحطة » متسلطة •• بينما المرأة البرجـوازية فى الفيـلم امرأة محافظة •• (ونفس المشاعر والاحاسيس وصلتنا بعد ذلك فى رسالة من أحـد الزملاء — فرنسى / ألمانى — من جامعة جرونوبل بفرنسا بعد مشاهدته للفيلم) •

وهنا يقوم فرض نطرحه ليس فقط فيما يتعلق بالمرأة فى مصر ، بل فيما يتعلق بالرجل أيضا وفى كل مكان •

من هذا التعليق يمكن أن نســتنبط أحد الفروض (القـابلة للنقاش) ، والتى ترتبط بشـكل ما بنتائج البحوث التى أجريت فى أمريـكا ، منه أنه كلما انتمى الفـرد الى طبقـة اجتماعيـة أعلى كان أكثر تحفظـا — مثلما شـاهدنا لدى البروتستانت فى مجتمع نيوهافن • فهل ينطبق ذلك على الصــور التى تعكســها وســائل الاعلام ؟ وبأسلوب آخر ، هل تعكس وســائل الاعلام حقيقـة المجتمع •• ؟ ميدان جديد للبحث نتركه مفتوحا لمن يهتم بالجـانب الاجتماعى لوســائل الاعلام نتركه ونغلق هنا القوســين لكى نستكمل حديثنا عن الاســلام والتليفزيون ، أو وحيـازة التليفزيون اذا أردنا الدقة فى التعبير •

فى حدود معلوماتنا — بعد غيبة طالت ســنوات عن مصر — ليست هناك حتى الآن دراســة تناولت العلاقة بين الدين وبين حيازة جهـاز تليفــزيونى ، لا فى مصر ولا فى غيرها من الدول العـــربية ولا الاســلامية • الا أننــا نشــاهد حربا ضارية تشنها الصــحافة المصرية ويحمل لواءها شخصيات تدين بالدين الاســلامى ، ضــد التليفزيون ، أو بتعبير أدق ضــد بعض برامج التيلفزيون الترويحية : دراما ، وغناء ، ورقص •• وخاصــة اننا نرى أن علمــاء للدين

الاسلامى لا يمتنعون عن الظهور على الشـــاشة فى برامج كثيرة ومختلفة •

ولقد فوجئنـــا ، ونحن فى عام ١٩٨٤ ، وقد اقترب التليفزيون فى مصر من عامه الخامس والعشرين ، باحدى طالبات الفرقة الاولى بكلية الاعلام تسألنا عن التليفزيون وعما اذا كان حلالا أم حراما •• ولن نذكر هنا رأيها الذى يمكن أن يستشفه القـــارىء بسهولة من طيات السؤال •• أما رأينا الخاص بهذا الموضـــوع ، فسوف نعرضه صراحة عندما نتحدث عن الدور الوظيفى لوسائل الاعلام حيث نلتقى فى الرأى هنـــا مع الاســـتاذ الجليل فضيلة الشيخ متولى الشعراوى عندما ســـئل نفس السؤال فكان رده بما معنـــاه أن التليفزيون كجهـــاز مثله مثل الســـكين كأداة •• المهم هو كيفيـــة استخدام كل منهما • (١)

فاذا كانت هنـــاك بعض الاصـــوات الاسلامية التى تشـــكو من أن القيم فى برامج التليفزيون الاجنبيـــة تتعارض وقيمنا العربية الاسلامية ، وأن الافكار المستوردة التى تختلف مع تقاليدنا الاجتماعية وقواعد الدين تشـــكل خطورة على أطفالنا •• فان هذه الاصـــوات لم تطالب حتى الآن بالغاء التليفزيون (على الرغم من أن هنـــاك فى أمريكا من ينـــادى بالغـــائه ويقدم الحجج التى تعزز رأيه) ، ولم تطالب الاقلام الاســـلامية بعدم بث البرامج الاجنبيـــة •• ولم نسمع عن جماعات تشـــكلت خصيصـــا لمعاداة التليفزيون كما هو الحال فى دول غربية كثيرة •• كل ما تطالب به هذه الاصوات الاسلامية هو أن نحسن اختيـــار الموضـــوعات وأن تكون لدينا القدرة على رفض ما يتعارض مع القيم فى المجتمع المصرى •

---

(١) بل هو أيضا مثل القلم قد يكتب به ما يشقى وما يقتل أحيانا ، وترتكب به الكبائر ، وهو نفسه ما نخط به كلمات الله وأوامره ونواهيه . كذلك النار التى قد تستخدم فى الحرق والقتل وتستخدم أيضا فى اعداد الطعام والانارة ...

كذلك تطالب هذه الاقلام باستخدام اللغـــة العربية الفصحى فى وســـائل الاعلام بدلا من هذا الخليط النشـــاذ من اللهجات التى قد لا تفهم الغالبية بعضـــها • ونشـــير بهذه المناســـبة الى حادث دق ناقوس الخطر محـــذرا من البرامج التى تبث باللهجـــات المحلية فى انجلترا وذكره ماكلوهان فى كتابه **Pour Comprendre les media** فقد نشرت الصحف خبرا « ســـــاخنا » يتعلق بالتليفزيون الا أن ماكلوهان كان يتوقع حدوثه : « أذاع التليفزيون البريطانى فيلمـــا انجليزيا مع ترجمة مقروءة أسفل الصورة لانهم استخدموا فى الفيلم بعض المصطلحات والكلمات الدارجة ، واستعانوا فى الفيلم ببعض اللهجات المحلية » (١) •

ويؤكد ماكلوهان هنـــا على أن التليفزيون قد ســـــاعد فى تدعيم وتعـــزيز وتقـــوية اللهجات (وهـــو فرض نطرحه أمام باحث جاد) كما يعتبر ماكلوهان ظهور اللهجات المحلية فجأة — فى مناطق لم يكن يستخدم فيها سوى الانجليزية الرفيعة — حادثا ثقـــافيا له دلالة • كما يقول ان اللهجات المحلية أصبح ممكن سماعها فى قاعات الدراسة فى جامعتى اكسفورد وكامبردج ، وهما من أعرق الجامعات البريطانية ، ولم يعد طلبة هاتين الجامعتين يحاولون الاحتفاظ باللكنة الخاصـــة الموحدة التى كانت تميز كل جامعـــة منهما • ويقـــول ماكلوهان ، ان التليفزيون قد ساعد فى ظهور اللهجات المحلية وانتشارها ، وانهـــا أصبحت أقوى من هذه اللغة الانجليزية المصطنعة فى كلتـــا الجامعتين والتى سادت حوالى قرنا من الزمان •

---

(1) Marshall McLUHAN.— **Pour comprendre les media.** Les prolongements techniques de l'homme. Traduit de l'anglais par Jean Pare, 1968. Tours : Mame. Paris : Seuil Copyright 1964. Titre original : **Understanding media.** Mc Graw Hill. New York. Book company, p. 338 — 339.

كذلك ظهرت هذه الموجة الخاصة باحياء اللهجات ، أو اللغـــات الاقليمية فى فرنسا أيضـــا • واهتمت بعض المدارس هناك بتدريس اللهجات ، وظهرت الكتب الخاصة بها •• الا أن ذلك قد أثار حفيظة بعض الفرنسيين الغيورين ومن بينهم مؤلف الكتاب الذى يحمل اسم La France en miette يحذر فيه من خطورة هذه الظاهرة •

ويشير التيار المحافظ فى مصر أيضا الى احتمال أن تكون هنـــاك علاقة سببية بين العنف الذى تعرضـــه الشاشة الصـــغيرة والعنف فى الشارع المصرى : سرقة واغتصاب و ••• منذ فترة طويلة • ولذلك ، يعارض هذا التيار بشـــدة بعض البرامج التى يمكن أن تثير المشاهدين وخاصة صغار السن منهم • لذلك نراهم يطالبون بعدم بث المشـــاهد التى تتضمن عنفا أو اثارة •• ولم نسمعهم يطالبون باعدام التليفزيون أو عدم شرائه •

ويمكن أن نربط بخصوص هذا الموضوع أيضـــا بين اغتيـــال الرئيس السادات وبين ما نادى به خلفه الرئيس مبارك من خـــلال الصحافة من ضرورة تقليل مشاهد العنف والاثارة من على شـــاشة التليفزيون •

ويطالب هذا الاتجاه الاســـلامى المحافظ أيضا بضرورة أن يعكس مضمون برامج التليفزيون أمانى وأفكار المسئولين فى دولة اســـلامية عربية تنتمى الى العالم النامى •

ومن خلال ما يكتب فى الصـــحافة المصرية ، نستطيع أن نلمس أن الرأى العام المصرى يدين التليفزيون لتجاهله العالم العـــربى والعـــالم الاسلامى فى برامجه ، وقد أثبتت الدراسات التى قمنا بهـــا صحة هذا الفرض •

وانطلاقا من المعطيات السابقة ، يمكن لنـــا الآن أن نصوغ أحد الفرض ، التى يجب دراســـتها معمليا للتحقق من صحتها ، والذى

يربط هنا بين الحيازة والدين : الدين الاســلامى ، أو بمعنى أدق ، المسلمون فى مصر لا يرفضون ولا يعادون التليفزيون أكثر من أقباط مصر ، كل ما فى الامر ، أنهم يرفضون بعض البرامج التى قد تتنافى مع قيم الدين الاسلامى • أى أن حيازة جهاز تليفزيون فى دولة مثل مصر لا تتــأثر بعــامل الدين مثلما قد تتأثر بعــامل سوسيولوجى آخر هو الدخل •

(ب) الدخل كعامل من العوامل التى قد يكون لهــا تأثير على حيازة جهاز تليفزيونى :

يربط ولبــور شرام بين دخــل الفرد وشراء جريدة يومية • ويعطى شرام لذلك مثلا العامل فى ولاية كاليفــورنيا الذى يستطيع شراء خمسين نســخة من أربعين صــفحة بما يكسبه هذا العــامل من عمله خــلال ساعة • بينما العامل فى أندونيســيا لا يستطيع أن يشترى بما يكسبه فى ساعة سوى سبع نسخ فقط من جريدة لا تتعدى أربع صفحات (١) •

أما بالنسبة للتليفزيون ، فقد لمسنا من خلال الدراسة مدى الفارق الكبير بين ما هــو قائم فى الدول الصناعية المتقــدمة وبين الواقع فى الدول النامية • فاذا ما تغاضينا عن الفارق التكنولوجى الذى قد يكون له هو أيضا أثره فى ســوء توزيع أجهزة التليفــزيون بــين العالمين : العــالم المتقدم والعــالم النامى ، واذا نظرنا فقط الى دخل الفرد كقوة شرائية أو كعامل له تأثيره على حيــازة جهــاز تليفزيونى ، يمكننا أن نلاحظ مثلا أن الحــد الادنى لاجر العامل فى فرنسا — وهو أقل دخل للفرد العادى فى حالة البطالة — يكفى لشراء جهازين للتليفزيون (أبيض وأسود) من المقاس المتوسط •

---

(1) W SCHRAMM.— **Mass Media** op. cit., p. 101.

أما بالنسبة لمصر ، ولن نتكلم هنا عن الحد الادنى للأجور الذى نعرفه جميعا ، بل نذكر فقط كمثال « متحيز » المرتب الاساسى لخريج الجامعة ، فان الفرد يحتاج عند شرائه جهاز تليفزيون لمرتب عدة شهور • وقد يكون ارتفاع سعر الجهاز بالنسبة للدخل سببا فى تأخر انتشار التليفزيون فى الدول النامية : دخل محدود جدا وجهاز مرتفع الثمن • ولذلك تشكل حيازة جهاز التليفزيون فى الدول النامية عبئا حقيقيا نلمسه بالنسبة لبعض الدخول فى مصر • وهذا يؤدى بنا الى طرح الفرض بأن التليفزيون قد انتشر فى مصر أول ما انتشر بين أفراد الطبقة القادرة ماديا •

وفى الدول المتقدمة ، حيث يرتفع دخل الفرد لا تشكل حيازة التليفزيون أى مشكلة مادية ، ولنأخذ هنا بلجيكا على سبيل المثال،حيث لاحظ الباحث توفيرون THOVERON خلال دراسة للتليفزيون أن هذا الجهاز لم ينتشر (فى العينة التى قام بدراستها) بين الاسر ذات الدخول المرتفعة ولكنه انتشر لدى الاسر المتوسطة (١) • وفى فرنسا حصل كوربو CORBEAU على نفس النتائج أيضا عندما وجد أن نسبة حيازة التليفزيون ترتفع لدى الاسر المتوسطة (فنيون وموظفون •••) أما الاسر الفقيرة فى عينة كوربو فقد وجد الباحث أنها لا تمتلك جهاز تليفزيون « لعدم توفر القدرة المالية اللازمة لشرائه » كما يقول الباحث • وهنا يمكن أن نطرح فرضا جديرا بالدراسة : اذا ما توافر المال لدى هذه الاسر الفقيرة التى ليس لديها تليفزيون فانها قد تفضل شراء شىء آخر — أو جهاز آخر — أكثر أهمية من وجهة نظرها من التليفزيون (٢) •

---

(1) Gabriel THOVERON.— **Radio et Télévison dans la vie quotidienne.** Centre d'Etudes des Techniques de Diffusion Collective : Editions de l'Institut de Sociologie. Université Libre de Bruxelles, 1971, p. 195.

(2) CORBEAU.— **L'impact**. . op. cit. p. 133.

ونستند فى الفرض السابق على دراسة كان قد قام بها مجمـوعة من الباحثين وكان من بين نتائجها أن ٦٨٪ من الافراد الذين يترددون على نوادى مشاهدة التليفـزيون يتمنـون أن يكون لديهم جهـاز تليفزيون فى المنزل ، الا أنه ليس الجهاز الذى يودون الحصول عليه فورا ، علما بأن توفيرون قد وجد (خلال دراسـته التى قام بهـا عام ١٩٦٦ فى بلجيكا) أن التليفزيون ينتشر بصورة أسرع من باقى الاجهزة الاخرى ، وأن نسبة انتشـــاره قد فاقت انتشار الاجهزة الكهربائية الحديثة لدى العينة المدروسة •

وفى عينـة DUMAZEDIER وزملائه التى سبق الاشارة اليها ، أحتل التليفزيون فى ميزانية الاسرة البند الكلاسيكى (أو الفئـة المفتوحة) مصروفات أخرى • وتشمل هذه الفئة النثريات والمصروفات الخاصة بالترويح وقضاء وقت الفراغ • والمعروف أن هذا البنـد يخضع لقانون سنه الاقتصـاديون منذ فترة طويلة وينص على أن هذا البند فى ميزانية الاسرة لا يطرق الا بعـد استكمال البنـود الاساسية : مأكل — ملبس — مسكن — علاج (١) •

(ج) عوامل أخرى تؤثر فى حيازة جهاز التليفزيون :

اذا كانت البحـــوث التى ذكرنا بعض نتائجها تشير الى أن حيازة التليفزيون تقل بين الطبقات الفقيرة لانها تفتقر الى المـــال اللازم لشرائه ، الا أننا قد لاحظنا أيضا أن فى عينـه « كوربو » تقل حيازة الجهاز لدى الطبقات الغنية (٢) • وقد يرجع ذلك الى مقاومة هذه الفئـة الغنية لوجود التليفزيون فى المنزل •• لان مسـتواهم

---

(1) THOVERON.— Radio et Télévision. op. cit. cf. également :
— Les télé-clubs en France.— UNESCO Paris, 1955.

(1) CORBEAU. — L'impact .. op. cit.

الثقافي (المرتفع في الغالب) قد يرى في التليفزيون ثقافة جماهيرية سطحية لا تتلاءم ومستواهم « الرفيع » • أو قد يفسر هذا الموقف بأن هؤلاء المثقفين يخشون أن يؤثر التليفزيون على المستوى الدراسي لابنائهم • أما كنزبرج KINGSBURG (١) فيرجع مقاومة المثقفين للتليفزيون الى المناخ الثقافي للأسرة والذي يغلب عليه طابع الحوار والمناقشة ، والذي تسود فيه قراءة الكتب والصحف ذات المستوى الرفيع •• وهذا قد يعني أن هذه الفئة في المجتمع الذي درسه كوربو لا تريد أن تغير أسلوبها الذي تعودت عليه في تمضية وقت الفراغ : المسرح — القراءة — تبادل الزيارات — الذهاب الى النادي •••• (٢)

باختصار ، يمكننا أن نقول ان « الاغنياء » لديهم وسائلهم الخاصة بهم للثقافة وللاعلام ولقضاء وقت الفراغ ولا يودون التنازل عنها بسهولة من أجل التليفزيون • فهم يعتقدون أن الثقافة « الشعبية » التي يعرضها التليفزيون لا تتلاءم مع مستواهم ، وأن وجود التليفزيون في المنزل سوف يؤثر على ثقافتهم ، وسوف يغير من عاداتهم •• والذي يؤكد ذلك أننا قد لاحظنا من خلال بحوث عديدة في دول مختلفة أن هناك قاعدة عامة تحكم التعرض للتليفزيون : كلما زاد المستوى الثقافي للفرد ، قلت فترة مشاهدته للتليفزيون • بل ان الفرد قد يرفض فكرة اقتناء هذا الجهاز كما لمسنا ذلك بأنفسنا في فرنسا عام ١٩٨٢ بعد عشرات السنين من عمر التليفزيون (٣) ، وقد يكونون على صواب في تفكيرهم • فقد لاحظنا من تجربتنا الذاتية أن مع اختفاء التليفزيون من المنزل — لسبب أو لآخر — يزيد الاقبال على الكتب وعلى الوسائل الاخرى (أجهزة التسجيل — الاسطوانات — التردد على المكتبات •••) •

(1) KINGSBURG.— «L'animation culturelle a la télévision : ses espoirs», p. 65, in **Communication et languages**, no. 19, 1973.
(2) idem.

(٣) وحتى عام ١٩٨٤ أيضا •

والجدول التالى يوضح العلاقة بين المستوى التعليمى ومشاهدة التليفزيون (١) •

جدول رقم (٧)

المستوى التعليمى ومشاهدة التليفزيون فى فرنسا

المستوى التعليمى	المشاهدة: مرة كل يومين	المشاهدة: من مرة لمرتين أسبوعيا	المشاهدة: يشاهده نادرا	المشاهدة: لا يشاهده اطلاقا	المجموع ٪
بدون شهادات	٧٨,٨	٨,٢	٤,٦	٨,٤	١٠٠
الابتدائية	٧٨,٩	١١,٣	٤,٣	٥,٥	١٠٠
الاعدادية وما فى مستواها	٦٦,١	٢٠,٢	٧,١	٦,٦	١٠٠
الثانوية ودراسات عليـــا	٦٠,٦	١٨,٨	١٣,٥	٧,١	١٠٠

وعلى الرغم من كل ما سبق ذكره ، فلا يمكن انكار أن الاغنياء كانوا أول من اشترى جهاز تليفـــزيون فى فرنسا • ففى بداية الخمسينيات كان التليفزيون ما يزال من الكماليات ولم يكن موجودا سوى لدى بعض ذوى الجاه من الاثرياء الذين كان فى استطاعتهم أن يدفعوا ١٠٠٠٠ فرنك فى ذلك التاريخ (وهو ١/١٠ من الفـــرنك الفرنسى الحالى) مقابل ســـاعات قليلة فقط من البرامج • ففى عام ١٩٤٧ كان التليفزيون الفرنسى يبث برامجه خلال ١٢ ســاعة

(1) Anne — Marie LAULAN.— **Cinéma, presse et pubiic.** Retz C.E.P.L. Paris, 1978, p. 128.

فقط فى أيام العمل الاسبوعية ولا شيئا اطلاقا يومى السبت والاحد (١) •

الا أن احتكار الاغنياء للتليفزيون لم يدم طويلا مثل احتكارهم لأشياء كثيرة أخرى (السيارات مثلا •••) وقد لاحظ الباحث توفيرون أن اقتناء جهاز التليفزيون لم يأخذ الطريق المعتاد بالنسبة لمعظم الاجهزة والمعدات الاخرى : من الاغنياء أولا الى الفقراء مرورا بالطبقة المتوسطة • بل ظهر فى عينته المدروسة أن التليفزيون قد انتشر بين كافة المستويات الاجتماعية بصورة غير مألوفة بالنسبة لباقى الاجهزة الكهربائية الاخرى : فقد انتشر التليفزيون بصورة أسرع لدى العمال أولا ، ثم الطبقة البورجوازية ، يليها الفلاحون وقد يرجع تأخر الفلاحين فى حيازة جهاز التليفزيون الى أسباب تتعلق أكثر بالارسال التليفزيونى والتى سبق الحديث عنها بالتفصيل • ولقد أثبتت البحوث فى بلجيكا بصورة قاطعة أن التليفزيون قد انتشر هناك بين الطبقات الشعبية أكثر من غيرها من الطبقات • ولذلك يسود الاعتقاد لدى البعض أن العمال يشكلون أكبر فئة فى جمهور التليفزيون •

تأصيلا على ما سبق ، يمكن القول بأن الدخل المتواضع ليس السبب الوحيد فى عدم شراء التليفزيون • فمن خلال الدراسة التى أجريت على عينة من Charleroi فى بلجيكا ، خرج الباحث بالنتائج التى يعرضها الجدول التالى : (٢)

---

(1) Nadine TOUSSAINT, in, Francis BALLE, Jean G. PADIOLEAU — **Sociologie de L'information.** Textes fondamentaux. Larousse Université, Collection Sciences Humaines et Sociales, Paris, 1973, p. 265.

(2) THOVERON.— **Radio et télévision** op. cit. p. 163.

جدول رقم (٨)

أسباب عدم شراء التليفزيون فى بلجيكا

الترتيب	الاسباب	نسبة ترديدها
١	أسباب اقتصادية بالدرجة الاولى	١ر٢٨٪
٢	عدم الاهتمام أساسا بالتليفزيون	٢ر١٦٪
٣	وجود أطفال بالمنزل	١ر١٥٪
٤	كبر السن	١ر ٩٪
٥	رفض التليفزيون كعادة يمكن أن يصبح الفرد اسيرا لها	٤ر ٦٪
٦	عدم الرغبة فى تغيير مواعيد النوم والاستيقاظ	٧ر ٢٪
٧	هبوط مستوى البرامج	٦ر ١٪
٨	انتظار التليفزيون الملون	٦ر ١٪

من الجدول السابق يتضح لنا أن العامل الاقتصادى يشكل ١ر٢٨٪ من أسباب عدم شراء الجهاز • أما باقى العوامل ، فيمكن تصنيفها فى فئتين :

١ — عوامل تتعلق بالتليفزيون كجهاز وبالبرامج التى يمكن ألا تثير رغبة فى الفرد فى اقتناء الجهاز (وهى بالترتيب الاسباب رقم ٢ و ٤ و ٧ و ٨ فى الجدول السابق) وهى تشكل نسبة ٥ر٢٨٪ (وكم كان من المفيد أن نعرف اذا كان هؤلاء

الافراد قد بنوا أحكامهم هذه بعد مشاهدة التليفزيون وبرامجه لقياس مدى صدق هذه الاجابات) •

٢ — أما الفئة الاخرى ، فهى تضم العوامل التى تهمنا أكثر فى دراستنا (الاسباب رقم ٣ و ٥ و ٦ فى الجدول وهى تشكل نسبة ٢ر٢٤٪ أى ما يعادل ٣٠٪ من الاسباب المطروحة) وهذه الاسباب هى التى تتعلق بتأثير التليفزيون •

من الجدول السابق يتضح لنا اذن أنه بالاضافة الى العوامل الاقتصادية التى تشكل ١ر٢٨٪ من أسباب عدم شراء التليفزيون (٣٢٪ بالنسبة لعينة من Borinage) ، هناك نسبة ٣٠٪ لعوامل تتعلق بخوف المشاهد من الشاشة الصغيرة :

— يوجد أطفال فى المنزل ، وكأن التليفزيون سوف يفترسهم أو سوف يفسدهم •

— رفض الخضوع لعادة يصبح الفرد أسيرا لها (وقد ترددت بنسبة ٤ر٦٪ من بين ٢ر٢٤٪) • وهذا السبب ليس جديدا علينا كاجتماعيين ، فالخوف موجود لدى البعض عند شراء سيارة يمكن للفرد أن يصبح عبدا لها • هو اذن رفض الخضوع لأى أو لكل جديد ، فقد شاهدنا أيضا بعض الازواج يرفضون فكرة الانجاب ، أى أننا يمكن أن نتكلم هنا عن رفض التغيير ، أى مقاومة كل ما من شأنه أن يؤثر فى نمط الحياة العادية ، هذه المقاومة ، وهذا الرفض نلمسه فى الجدول السابق فى البند رقم ٦ : عدم الرغبة فى النوم أو فى الاستيقاظ فى ساعة متأخرة • أى رفض تغيير رتابة الحياة بعاداتها التى ألفناها •

ويذهب بعضهم الى تفسير هذا الموقف المعادى تجاه التليفزيون الى أن هؤلاء الافراد يتصورون أن التليفزيون سيحطم حياتهم ،

ويفسد أبناءهم ، ويعتبرونه شيطانا رجيما (١) ، وانه عندما يحتــل التليفزيون مكانه فى المنزل سيصبح السيد المسيطر ويصبح الجميــع عبيدا له • وقد لمسنا ذلك فى اجابات عينة Charleroi وقد ظهر ذلك أيضا فى دراسة أجريت على عينة أخرى اختيرت من Borinage فى بلجيكا حيث ذكر ١٨٪ من بين هؤلاء الذين لم يقتنوا التليفزيون أنهم لا يرغبون فى شراء هذا الجهاز • وقد فسروا عدم رغبتهم بأن حيازة هذا الجهاز سوف تؤثر على تأدية أبنائهم لواجباتهم المدرسية فى المنزل • وقد ذكر ٥٪ من هذه العينــــة أن وجود التليفــزيون فى المنزل سوف يؤدى الى عدم انتظامهم فى تأدية عملهم بقيــامهم من النوم فى ساعة متأخرة • وينظر هؤلاء الى مشاهدة التليفزيون « كعملية متبعة » (٢) •

وتظهر هذه الجماعات المعـــادية للتليفــزيون التى شاهدناها فى فرنســا وبلجيكا فى دول أخرى ولكن قد يكون بصور مختلفة • ففى أمريكا نشر الباحث JERRY MANDER كتابا ضمنه الحجج التى من أجلها يجب الغاء التليفزيون :
Four Arguments for the Elimination of Television (1978).

أما فى ألمــانيا الاتحادية ، فقد صــدرت الصــحف فى أكتوبر عام ١٩٧٩ تحمل العناوين الخاصة بتشكيل ناد خاص لاعداء التليفزيون والذى تأسس منــذ عام ١٩٧٨ (٣) • وقد ذكــر « بول هولر » Paul HOLLER مؤسس هــذا النــادى أن الخلافات فى بيته قبــل وأد التليفزيون كانت مستمرة بسبب اختيار البرامج • ولحسم هــذه

---

(1) Régis DEBRAY, cit. in, Patrick BOYER.—**Les journalistes sont-ils des assassines?**. Hachette-Littérature, Paris, 1980. p. 80.

(2) LISMONDE.—**Loisir Borinage**, 1964. p. 11, Paraphrasé in THOVERON.— **Radio et télévision**.. op. cit. p. 162 — 163.

(3) Presse allemande du 16 Octobre 1979.

المشكلة كان عليه أن يشترى ثلاثة أجهزة للتليفزيون لكى يرضى رغبات أفراد أسرته • (وفى هذا النادى الخاص بأعداء التليفزيون ، يقوم الاعضاء بتسديد اشتراك سنوى يعادل قيمة الضريبة السنوية المفروضة على أجهزة الاستقبال التليفزيونى) •

وهذه الصورة التى تمثل الرفض التام للتليفزيون تقابلها صورة الادمان للبرامج • ويتصوركل من الفريقين : الاعداء téléphobes والاصدقاء téléphiles أن التليفزيون قادر على فعل كل شىء : الخبيث والطيب (١) •

وفى بحث قامت به جامعة Rutgers بالاشتراك مع شبكة CBS فى نيوجرسى بأمريكا ، وجد الباحثون أن أول من اقتنى التليفزيون فى العينة المدروسة يدخل فى الفئة التى تضم الاغنياء من ذوى الاملاك والمهنيين (٤٥٪) و ٣٦٪ (موظفون وعمال متخصصون) و ١٩٪ (من العمال غير المهرة وأنصاف المتخصصين) (٢) •

وعلى عينة قوامها ٢٠٢ من الكبار فى أمريكا أثبتت الدراسة عدم وجود أى اختلاف بين الافراد التى لديها تليفزيون وبين الآخرين سواء من حيث النشاط الاجتماعى الذى يقوم به كل منهم أو من حيث الدخل (٣) ولقد أثبتت دراسات عديدة عدم ارتباط ملكية التليفزيون بالمستوى الاجتماعى ، بل بالعكس ، وجدت نيكول دلرييل Nicole DELRUELLE أن نسبة حيازة التليفزيون أكثر لدى أسر العمال بالمقارنة بالفئات الاخرى ، وقد سبق لنا الاشارة الى هذه النتيجة •

وكما سبق لنا أن ذكرنا ، أثبتت احدى الدراسات الامريكية

(1) Presse Actualité.— février 1973, p. 90.
(2) Leo BOGARD.— «The Growth of Television», art. cit., p. 106.
(3) Idem.

أن هناك ارتباطا بين مركز رب الاسرة الاجتماعى وبين شراء التليفزيون وقد أشارت نفس الدراسة أيضا الى ارتباط بين الحيازة عندما تكون المرأة : شابة ومتزوجة وتعمل بالخارج وعلى درجة من التعليم (بينما فى عينة DELRUELLE يقل وجود التليفزيون كلما ارتفع المستوى التعليمى) •

كما ثبت من الدراسات الامريكية أيضا أن الاسر التى لديها تليفزيون تمتلك فى الغالب سيارة كما تمتلك المنزل الذى تسكن فيه • وقد وجد من هذه الدراسات أيضا أن نسبة حيازة البعض للتليفزيون فى أمريكا أكثر من نسبة حيازة الزنوج للجهاز وذلك قد يرجع الى أن الزنوج تسكن فى الغالب مناطق ريفية ودخولهم محدودة •

وأثبتت هذه الدراسات أيضا أن الاسر التى لديها تليفزيون يوجد فيها أطفال تحت ١٨ سنة • بل ان اقتناء جهاز تليفزيونى يتم تحت ضغط من هؤلاء الصغار • ولم تختلف نتائج احدى الدراسات التى تمت فى ايران عن نتائج الدراسة الامريكية ، فقد أشارت هذه الدراسة التى أجريت على عينة فى ايران أن شراء التليفزيون قد تم لدى ٤٤٪ من العينة تحت تأثير وضغط من الصغار تحت ١٨ سنة (١) •

وهذا قد يدعونا للحديث عن نقطة هامة من وجهة النظر السوسيولوجية والخاصة باتخاذ قرار الشراء فى المنزل وهو أحد العوامل التى يمكن أن نفهم من خلالها نوعا من العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة •

فكما أشرنا فيما سبق ، أثبتت الدراسات التى أجريت فى أمريكا وفى ايران الى أن الصغار تحت ١٨ سنة هى التى تتخذ فى الغالب القرار الخاص بشراء جهاز التليفزيون فى المنزل • وفى بلجيكا ،

---

(1) Azar Mahouti MAHDAVI.— La télévision à Téhéran, contribution à la sociologie du loisir. Thèse de 3e Cycle, Université de Paris VII, 1977, p. 88.

سألت نيكول دلربيل الاطفـــال (أقل من ١٤ سنة) فى الاسر التى ليس لديها تليفزيون اذا كانوا يرغبون فى وجود تليفزيون فى المنزل ٧ر٣٠٪ من الردود كانت بالايجاب ، الا أن هذه النســـبة تصل الى ٢ر٦٠٪ لدى الاطفال من ١٤ — ١٨ سنة (١) ، ويبدو أن الاطفـــال الذين يذهبون الى المدارس هم الذين يمارسون الضغوط على الاسرة لشراء التليفزيون لكيلا يكونوا أقل من زملائهم فى المدرسة •

وختاما لهذا الموضوع ، فاننـــا نؤكد أن حيـــازة التليفزيون لا تشير وليست دلالة أو رمزا على المكانة الاجتماعية بالرغم من أن الارقام لا تشـــــير الى توزيع متكافىء بالنسبة للطبقات المختلفة • فانتشـــار التليفـــزيون يتم أفقيا بين كافة المســتويات كما أثبتت الباحثة البلجيكية (٢) •

وبمقارنة النتائج التى توصلت اليها نيكول دلربيل بنتائج البحوث التى أجريت فى دول عديدة (٣) ، نجد أنها نتيجـــة عامة فى كافة المجتمعات • اذ على الرغم من ارتفاع ســـعر الجهاز نسبيا ، الا أن انتشـــاره لم يكن حكرا على الطبقات الغنية (التى استأثرت بعـــد ذلك بالتليفزيون الملون ثم بجهـــاز الفيديو ثم بكاميرا الفيـــديو ، وبالخدمات التليفزيونية الخاصة ، والتليفزيون السلكى) •

---

(1) cité in THOVERON. op cit. p. 181.

(2) Nicole DELRUELLE — VOSSWINKL. — «Télévision et famille en milieu urbain», **in Etudes de radio — télévision.** R.T.B. No. 13. Bruxelles, p. 103.

(2) Assadollah NOWROOZI. — **Mass media et développement national en Iran. Etude prospective.** Thèse de Doctorat d'Etat en Lettres et Sciences Humaines, Université René Descartes, Sorbonne, Paris V, juin 1977.

المبحث الرابع

دراسة فسيولوجية لوســـــائل الاعلام

تمهيـــــــــد :

فى المبحث السابق ، ذكرنا أن الدور الوظيفى لوسائل الاعلام ، يقوم — من وجهة نظرنا الاجتماعية — على محورين أساسيين :

١ — الاسباب الرئيسية التى من أجلها يســـارع الفرد لحيازة وسيلة أو أخرى •

٢ — ماذا يفعل الفرد فعلا بهذه الوسيلة أو تلك ، بعـــد أن دخلت حياته ، والذى قد يختلف مع الاسباب التى كانت وراء حيـــازته لهذه الوسيلة ، والتى طرحنا بعض الفروض لدراستها فيما بعد فى بحوث مستقلة للتحقق من صحتها •

وذكرنا فيما سبق أيضا ، أن وسائل الاعلام قد يكون لها وظائف غير مرغوبة أساسا لم يقصدها القائم بالاتصال ، وضربنا لذلك مثـــلا الاحــــداث التى وقعت فى أمريكا عقب بث البرنامج التليفزيونى « اليوم التالى » على شاشة احدى الشبكات الامريكية •

وفى هذا المبحث ، سنحاول تقديم عرض سريع للدراسات الخاصة بتأثير وســـائل الاعلام ، حيث نركز على الدراســـات التى اهتمت بالتليفزيون للأسباب السابق ذكرها ، نتبعها بشرح للدور الوظيفى لوسائل الاعلام ، ونركز فيه على وظيفة التليفزيون بوجه خاص •

مراحل الدراســات الخاصــة بتأثير وسائل الاعلام وخاصــة التليفزيون :

عندما نتحدث عن تأثير التليفزيون ، فاننا نقصــد تأثير برامج التليفزيون أو برنامج محدد ، خاصــة اذا وضعنا نصب أعيننا أن الوسيلة هى الرسالة كما يقول ماكلوهان • وهذا يعنى أننا لن نتناول تأثير التليفــزيون على العين مثلا ، أو الجلســة الصــحية أمام التليفزيون •••

ودراسة تأثير التليفزيون التى نقصدها لا توجد ســوى داخل المعامل وذلك لصعوبة قياس رد الفعل أو ما يمكن أن يطلق عليــه التغذية المرتدة التى سبق الحديث عنها •

كيفية قياس التأثير :

لكى نقوم بدراســة تأثير التليفــزيون ، أو برنامج معــين ، أو أى وسيلة اعلاميــة أخرى ، فاننا نقوم بتحــديد ما يطلق عليه مالينوفســكى MALINOWSKI نقطة الصــفر «Le point zéro» (١) وتفصل هذه النقطــة بين الوضعين : قبل التعرض للرسالة وبعــد التعرض لنفس الرسالة •

واذا كانت مثل هذه التجارب تنجح داخل المعامل فى العلــوم الطبيعية ، الا أنها موضع شك فى العلوم الاجتماعية والانســانية لاســباب كثــيرة أهمها صعوبة فصــل وتحديد المتغــيرات ، والتى سبق الحديث عنها عند عرض نظرية التل الجليدى فى الاتصال الاجتماعى (٢) •

---

1. The Dynamics of Culture Change.

(٢) انظر ما تسبق •

صعوبة قياس تأثير وســائل الاعلام :

من الصعب جدا أن نشاهد نتائج تأثير وسائل الاعلام مثلمـــا هو صعب أن نعرف تأثير الاستاذ على تلاميذه • اذ أن التأثير فى كلتا الحـالتين غير ملموس ، لا يمكن أن نشعر به أو نحســه مبــاشرة بخلاف ما نراه ونحسه من نتاج عمل المهندس المعمــارى أو جــرار لحرث الارض •

فى الحالة الاولى ، أى عندما نتحدث عن المدرس أو مشـــاهدة التليفزيون ، فاننا لا نرى ولا نتابع ما يحدث من تغيير لدى التلميـــذ أو لدى المشاهد ، لان حقل التجربة يقع داخل الانسان بكل ما تحمله كلمة انسان من معـــان • وتمر عملية التأثير التى تحدث داخليـــا فى عمليات معقدة نترك الحديث عنها الآن لوقتها • كل ما يهمنا هنا هو أن هذا التأثير الذى يتم خلال عمليات داخلية هو تأثير معقـــد وخامل ولا يظهر بوضوح ، الا أنه قد يظهر بعد فترة طويلة فى السلوك أو فى التفكير خاضعا عندئذ لتعديلات متعددة •

بينما فى حالة المهندس المعمارى ، أو آلة الحرث أو الرى يكون حقـــل التجربة شيئا ملموسا وخارجا عن الذات الانسانية • ولذلك ، فاننا نتابع بانتظام أى تغيير تاريخى تدريجى قد يحدث • بل فى غالب الاحوال ، يحـــدث التعديل أو التغيير تحت بصرنا • كذلك يمكننا قياس هذا التغيير والتنبؤ بالتغيير التالى كما يحـــدث تماما داخل المعمل • فاننا نعـــلم مثلا أننـــا نحصل على البرونز بخلط كمية من النحاس مع القصـــدير • ولكننا لا يمكن أن نتنبأ مقدما بتأثير برنامج ما يبث على شاشة التليفزيون •

الا أن هذا لا يمنع من أننا يمكن أن نتوقع رد الفعـــل المباشر لمشاهد ما ، لبرنامج معين ، وكذلك التغيير الفـــورى المتوقع ، الذى هو فى الغـــالب تأثيرا سطحيا وعلى المدى القصير ، مثله مثل انتفاضة الســـاق اثر طرق الركبة لدى الطبيب • وكما تشـــير هذه الانتفاضة

الى مرض الساق أو سلامتها ، فان تأثير الرسالة الاعلامية المباشر يشير بالدرجة الاولى الى خصائص المتلقى ومقوماته أكثر مما يشير الى خصائص الرسالة والتى تعادل هنا قوة الطرقة على الركبة .

واذا كنا نؤكد على أن هذا التأثير المباشر تأثير سطحى . فذلك يرجع الى أننا نعتبره رد فعل مباشر ، لا يعمل منفردا ، ولكنه مرتبط بعوامل أخرى يعمل من خلالها . هذه العوامل التى تعمل من خلالها وسائل الاعلام تقوم بدور هام فى عمليات الاتصال ويمكن أن نطلق عليها اسم « الوسائط » ، والتى ينبغى أن تخصص لها دراسات قائمة بذاتها لاهميتها .

ويجب الاشارة هنا الى أنه اذا لم يكن لتلك الوسائط أهمية أكبر من تأثير الرسالة الاعلامية ، فهى لا تقل أهمية عن الرسالة المنقولة بواسطة وسائل الاعلام . ولنا اذن أن نفترض أن تأثير وسيلة الاعلام — أو تأثير الرسالة الاعلامية — يصبح على الاقل فى حكم العدم اذا ما تعارض مع مضمون تلك الوسائط . وتشمل هذه الوسائط فيما تشمل الجماعات التى ينتمى اليها الافراد (١) .

ونحن فى هذه الدراسة لا ننكر أن الفرد فى عصرنا الحالى يعيش فى جو مشحون بالرسائل بوسائل شتى (٢) ، من الملصق البسيط حتى الرسالة الالكترونية التى تبث من خلال جهاز التليفزيون عبر الاقمار الصناعية . وقد تصل هذه الرسائل الى مستهدفيها ، ولكن ، ما هو تأثيرها ؟

---

(1) P. AUDIGIER, F. LATAPIE.— **Télévision et télécommunication aux Etats—Unis.** — PUF, Collection SUP, 1976, p. 146—147.

(٢) استخدمت ايفلين باتكل تعبير :
«bombardement des messages.»
للاشارة الى الجو المشحون بالرسائل الاعلامية .
انظر :
Y. BATICLE — **Message, media**— op. cit. p. 19.

العوامل التى تحدد فعالية الرسالة :

كل ما نستطيع أن نؤكده هنـــا هو أن الرسالة تمر بمرحلتين أساسيتين تحددان قوة فعالية هذه الرسالة أو تلك :

— الاولى وتشـــمل عملية وضع ونقل الرســالة من المرسل الى المستقبل .

— والثانية خاصة بظروف استقبال الرسالة الى أن يتخذ المستقبل قراره بالنسبة لمحتواها ، سواء بالايجاب أم بالسلب :
Agir ou ne pas agir

وفى كلتـــا المرحلتين ، واللتين يطلق البعض عليهما جزئيا : وضع الفــكر فى كود وفك الكود (١) ، هناك عوامل عديدة يمكن أن تعترض الرسالة وتحدد الاثر المنتظر لوسائل الاعلام ، وكما ذكرنا ، فان أهمية هذه العوامل — أو الوسائط — تحتم علينا دراستها دراسة مستفيضة ومستقلة .

ولكن ، يجب أن نعلم أن هناك من الباحثين من يحــاول تحديد وعزل المتغيرات والوسائط وتثبيت المتغــير الواجب قياس تأثيره بغية الوصول الى نتائج يمكن أن تنسب الى هذا المتغير أو ذاك ، معتمدين فى ذلك على تطبيق المنهج الاحصائى بعملياته المتعددة .

ولقياس تأثير أحــد برامج التليفزيون على المشاهد ، يجب أن نعلم اذن أن مهمتنا جد شائكة ، لان المعروف أن تغيير ، أو تعديل السلوك يخضع للتجربة ذاتها ويتأثر بالعوامل الاجتماعية الاخــرى التى يعمل من خلالها . أى أن التأثير لا يخضع لمحتوى البرنامج فقط ولا لخصائص الوسيلة الاعلامية فقط ، بل هناك عدة عوامل تتفــاعل مع بعضها لكى تشكل فى النهاية التأثير الذى يمكن قياسه معمليــا .

---

(١) أنظر نظرية التل الجليدى .

فالى جانب محتـوى البرنامج نفسه ، وخصائص الوسيلة ذاتهـا ، وظروف التعرض ، هناك أيضا ما سبق أن ذكرناه فيما يتعلق بالقائم بالاتصال والمستقبل أو ما أسميناه بالاميريك الكندى •

خصائص التأثير العاجل والتأثير الآجل :

فاذا ما قيل أن هناك تأثيرا معينا ومباشرا لبرنامج ما فى التليفزيون، أو فى الراديو ، على سلوك المشاهد أو الجماعة ، فان هذا التأثير الفورى أو المباشر «immediat» لن يدوم طويلا • فهو فى الغالب تأثير قصير المدى ، سطحى ، وليس له نتائج ثابتة ودائمة •

ويجب أن نعلم هنا أن التأثير على المدى الطويل أهم — من وجهة نظـرنا على الاقل — من التأثير العـاجل • فمن خصائص التأثير الآجل — وهو ما سنعرفه فيما بعد عند الحديث عن الدور الوظيفى لوسـائل الاعلام — أو التأثير على المدى الطويل ، أنه أطول عمرا وأعمق أثرا ، الا أنه لا يلاحظ من الوهلة الاولى • وقد يكون ذلك هو السبب فى ظهور ثلاث مراحل للدراسات الخاصـة بتأثير التليفزيون وخاصة تلك التى تتعلق بتأثير التليفزيون على الطفل (١) •

مراحل الدراسات الخاصة بتأثير التليفزيون على الطفل :

١ — فى المرحلة الاولى ، لاحظنا أن نتائج الدراسات كانت تشـير الى أن التليفزيون يسبب تأخر التـلاميذ فى دراسـتهم وتنسب انحرافات الشباب الى مشاهدة بعض البرامج فى التليفزيون (٢) • بل ان كل الظواهر المرضـية داخـل المجتمـع كانت تنسب الى هذا الجهاز الوليد فى هذه المرحلة (وهى عادة ألفنـاها بالنسـبة لكل جديد) •

(1) Jacques MOUSSEAU.— «Les enfants et la télévision, nouvelles conclusions».—p. 99 — 108. **Communication et Langages,** no 30, 2e trimestre, 1976.

(٢) والى غـيره أيضـا من الوسـائل . أنظر الملحق رقم (٢) المخدرات والشباب ووسائل الاعلام •

٢ — وتميزت المرحلة الثانية بدراسات منهجية أشـــارت فى نتائجها الى أن الاطفـــال الذين يشاهدون التليفزيون لا يختلفـــون ولا يتميزون عن غير المشاهدين • واستمر هذا الاتجاه ســـائدا الى أن رسخت أقدام التليفزيون •

٣ — وبعد أن أصبح التليفزيون ظاهـــرة عامة فى المجتمع ، ظهر اتجاه ثالث فى البحوث يأخذ فى الاعتبار الجوانب السوسيولوجية فى الدراسات الخاصة بتأثير التليفزيون خاصة ، وبوســـائل الاعلام بوجه عام •

الاتجاه السوسيولوجى فى الدراسات الاعلامية الخاصة بالتأثير :

ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه السوسيولوجى للاعلام الى علمـــاء الاجتماع فى أمريكا حيث تعـــددت البحوث وبدأت منـــاهج البحث تأخذ طابعها الخاص • وفى هذه المرحلة من مراحل دراســـة التأثير ، أثبتت البحوث الاجتماعية أن التليفزيون ووسائل الاعلام الاخرى — لا تعمل منفردة ، بل من خلال عوامل وسيطة : سياسية واجتماعية وثقافية ••• الخ •

فى أمريكا :

لمـــا كان اهتمام الباحثين فى أمريكا موجها فى البداية الى دراسة جمهور التليفزيون التجارى للوصول الى أكبر قدر من المشـــاهدين ، فقد ركزوا على دراسة الموضوعات التى تتعلق بأساليب الاقناع وعلى قياس مدى نجاح البرامج وخصائص المشاهدين لبرامج معينة وأسباب تعلقهم بها (١) •

---

(1) W. SCHRAMM. — **Mass Communication.** op. cit.

ويؤرخ للدراسات السوسيولوجية الخاصة بتأثير وسائل الاعلام بالستينيات ، عندما بدأ الاتجاه العام لعلماء الاجتماع يأخذ طريقه الى دراسة الكليات بدلا من الجزئيات فيما يسمى بالمكروسوسيولوجى(١) «macro-sociologie» وتعتبر دراسات كلابر خير مثال لهذا الاتجاه(٢) •

فى فرنســـا :

وفى فرنسا ، انصب اهتمام الباحثين عن تأثير وسائل الاعـلام على دراسة تأثير التليفـــزيون أيضا • ومن الجدير بالذكر هنا أن جاك موسو Jacques MOUSSEAU **الذى يهتم بدراسة تأثير التليفزيون** على الطفل ، قد فاجأنا عام ١٩٧٦ بقــــوله ان هذا الجهاز يستحوذ على المشـــاهد ويترك عليه بصماته • بل يستطرد ويقول ان التليفزيون يشكل الطفل وهو مازال فى مهده (٣) •

فى مصر :

ومن خلال دراسة قمنا بها فى مصر عام ١٩٧٦ توصلنا كما توصل الكثيرون فى هذا الميدان الى أن التليفزيون كوسيلة للاعلام وللبث يســـاعد على التدعيم أكثر مما يساعد على التغيير • الا أن هـــذا التأثير يخضع كما سبق أن ذكرنا الى عدة عوامل أخـــرى أهمها فهم الرسالة الاعلامية (٤) •

ويتوقف فهم الرسالة الاعـــلامية كذلك على الموقف الاجتماعى الذى تستقبل فيه ، كما يتوقف بطبيعة الحال على قدرة المســـتقبل على الفهم •

---

(1) Jean CAZENEUVE.— **Sociologie de Marcel MAUSS.** Collection : Le Sociologie, PUF. Paris, 1968, p. 19.

(2) J.T. KLAPPER.— **The Effects of Mass Communication.** Glencoe. Illinois. The Free Press, 1960, and, «What We Know About the Effects of Mass Communication» in, **Public Opinion Quarterly,** 1951.

(3) Jacque MOUSSEAU.— **«Les enfants et la télévision»** art. cit.

(٤) انشراح الشال .— **دلالة النشرات الاخبارية** ، مرجع سابق •

وبأسلوب آخـــر يمكننا أن نقول ان فهم الرسالة الاعلامية — والذى يترتب عليه تحديد مقدرتها على التأثـــير — يرتبط ارتباطا طرديا ايجابيا مع المستوى الثقافى للفرد • وهى نتيجة منطقية خلافا لما يقوله البعض من أن مثل تأثير وسائل الاعلام مثل تأثير حقنة التخدير التى لا تخطىء الطريق والتى نلمس فورا تأثيرها ، أو ما أطلقوا عليه اسم التأثير المباشر لوسائل الاعلام •

التأثير المباشر لوسائل الاعلام :

ساد الاعتقاد لفترة ما ، أن لوسائل الاعلام تأثيرا مباشرا مثلها مثل حقنـــة التخـــدير (١) ، وان وســـائل الاعلام يمكنها أن تؤثر على الرأى العام ، وسمعنا عن ســـــياسة القطيع ، وقادة الرأى •• وما شابه ذلك من مسميات •

ويبدو لنا أن السبب فى هـــذا الاعتقـــاد يرجع الى البرنامج الاذاعى المشهور : غزو من المريخ • «Invasion from Mars» الذى قدمه أورسون ويلز عام ١٩٣٨ ، وتسبب فى اثارة الذعر والفزع لدى بعض المستمعين ، الذين أخذوا البرنامج على أنه اذاعة مباشرة لحدث قد وقع فعلا•ونحيل نظر القارىء الى الدراسة التحليلية لهذا البرنامج والتى قام بهـــا كانتريل عام ١٩٤٠ لمعـــرفة الجـــوانب النفســـــية والسوسيولوجية التى يجب أن نفهم فى اطارها تأثير هذا البرنامج (٢) •

ومما يؤكد نتائج كانتريل لدراسته لبرنامج « غزو من المريخ » ،

---

(1) Benard BERELSON, p. LAZARSFELD. W. Mc PHEE. — **Voting**: A Study of Opinion Formation in Presidential Campaign. University of Chicago Press, Chicago, 1954, p. 234.

(2) CANTRIL.— **The Invasion from Mars : A study in the Psychology of Panic.** Princeton University Press. Princeton, 1940.

من أن هناك عوامل نفسية واجتماعية و ••• ، تتدخل فى تحديد التأثير المباشر لوسائل الاعلام ، ما حدث بالنسبة لبرنامج تم بثه على شاشة التليفزيون الفرنسى عام ١٩٧٩ — ففى ١٠ ديسمبر عام ١٩٧٩ حاولت القناة الثانية ((A2)) أن تقلد هذا النوع من برامج الاثارة «fiction» فى برنامجها الاخبارى عقب نشرة أخبار الساعة الثامنة مساء •

وقد اختار معد ومذيع البرنامج (الصحفى باتريك بوافر دارفور «Patric Poivre d'ARVOR») موضوعا يدور حول خبر مفاجىء : « الشرق الاوسط يتوقف عن ضخ البترول الى الدول الاوربية » • وبأسلوب البرامج الاخبارية فى التليفزيون الفرنسى ، قام المذيع بعرض الموضوع وخلفيته ورد فعل الخبر فى الدول الاوربية •

فقد ذكر المذيع مثلا أن برقيات وكالات الانباء تتدفق معلنة توقف البترول من المملكة السعودية — أول مصدر للبترول بالنسبة لفرنسا — وان الولايات المتحدة قد اتخذت قرارا سريعا وحاسما بوقف ارسال شحنات الغلال والمعدات التى كانت سترسلها الى منطقة الشرق الاوسط ، وان سرقات الدراجات قد انتشرت فى ايطاليا •• واستغرق هذا البرنامج نصف ساعة من ساعات الذروة على هذه الشاشة •

وعلى الرغم من أن المسئولين فى التليفزيون كانوا يشيرون كل ٧٠ ثانية أثناء بث هذا البرنامج الى أنه من الخيال وليس له أى قدر من الحقيقة ، وذلك بعرض كلمة «fiction» مصاحبة للبرنامج فى الركن العلوى من الشاشة الا أن تليفون هذه الشبكة قد سجل فى هذه الليلة عشرات المكالمات للاستفسار عن مدى جدية وحقيقة هذا الخبر • بل وصل الامر بالبعض الى قذف العرب بأحط الشتائم والسباب ونعتهم بأقذر الصفات •

ووفقا لما ذكرته الصحافة الفرنسية فيما بعد عن هذا البرنامج ،

كان نصف المتصلين تليفونيا من الذين يكرهون العرب ولا يثقون فيهم وكان النصف الآخر يشكل اناسا غير سويين هزهم الخبر نفسيا «Affolés» مما قد يفسر هذا التأثير المباشر للبرنامج .

ومن البرامج التى ساعد التحليل السطحى لنجاحها فى المرحلة الاولى لدراسات التأثير على تأكيد الاعتقاد بأن لوسائل الاعلام تأثيرا مباشرا على جماهيرها ، البرنامج الذى قدمته كات سميث «Kate SMITH» فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

أما على المستوى السياسى ، فقد درس سرج تشاخوتين Serge TCHKHOTINE الدعاية النازية والتى تزعمها الوزير الالمانى «Dr. GOBBELS» واستخدم تشاخوتين الدعاية فى بناء نظرية حول امكان التحكم والتأثير على الجماهير ، وعرض نظريته هذه فى كتاب بعنوان « اغتصاب الجماهير » (١) .

وكان للدراسات التى قام بها لازرسفيلد LAZARSFELD وزملاؤه لمعرفة اتجاهات القراء خلال الحملة الانتخابية للرئاسة فى أمريكا بين روزفلت ROOSEVELT وويلكى WILKIE فى الاربعينيات أبلغ الاثر فى اعادة النظر فى الفكرة التى كانت سائدة عن التأثير المباشر لوسائل الاعلام (٢) .

وبظهور التليفزيون وانتشاره جماهيريا ، بدأت هذه الوسيلة الاعلامية تحوز اهتماما كبيرا فى الدراسات الخاصة بالتأثير كما سبق أن ذكرنا ، نظرا لخصائص التليفزيون التى يتميز بها عن غيره من

---

(1) S. TCHAKHOTINE. — **Le viol des foules par la propagande politique.** Ed. N.R.F. Gallimard. Paris, 1952.

(2) MERTON.—**Mass Persuasion, The Social Psychology of War Bond Drive,** Harper, 1945.

وسائل الاعلام الاخرى • وكان ذلك سببا فى الارتماء ثانية فى أحضان مدرسة تشاخوتين للتأثير المباشر وذلك بالنسبة للتليفزيون (١) •

أهم الدراسات التى تناولت تأثير التليفزيون :

فى انجلترا :

من أهم الدراسات الكلاسيكية التى نرجع اليها عند التعرض لموضوع تأثير التليفزيون تلك الدراسة التى قامت بها هيلدا هيملويت Hilda HIMMELWEIT وزملاؤها على عينة من أطفال المدارس، وحاول هؤلاء الباحثون فى دراستهم هذه تحديد آثار التليفزيون لدى النشء (٢) •

وقد أشارت هذه الدراسة الى أن التليفزيون ليس له أى تأثير ملموس على مستوى ذكاء الاطفال فى العينة المدروسة • ولكن أظهرت الدراسة أن أفضل التلاميذ فى العينة كانوا فى المجموعة التى تشاهد التليفزيون كثيرا • وأظهرت الدراسة أيضا أن التليفزيون يشحذ ذهن الطفل وأن من يشاهدون التليفزيون فى العينة هم أكثر الاطفال طموحا ومبادرة •

ولكننا نأخذ على هذه الدراسة أنها كانت عامة • وقد أعطت هذه الدراسة أهمية لتأثير التليفزيون على المدى القصير ، الا أنها قللت من شأن تأثير هذا الجهاز على المدى الطويل •

فى بولندا :

وفى بولندا، حصلت الباحثة جاديجا كوموروفسكا Jadwiga komorowska على نتائج مشابهة للنتائج التى حصلت عليها هيملويت فى انجلترا •

(1) S. TCHAKHOTINE.— **Le viol des foules par la propagande politique.** Ed. N.R.F. Gallimard, Paris, 1952.

(2) Hilda HIMMELWEIT and als.—**Television and Child.** London and N.Y. Oxford University Press, 1958.

ونتائج البحثين السابق ذكرهما تجعلنا نأخذ على الاقل بالرأى القائل بأن تأثير وسائل الاعلام — وخاصة التليفزيون — على المدى الطويل أكثر أهمية من التأثير المباشر والذى يكون فى الغالب تأثيرا سطحيا • الا أن هذا الرأى لا يجب أن يجعلنا نتجاهل التأثير المباشر الذى قد تحدثه وسائل الاعلام (١) •

فى أمريكا :

ومن الدراسات الاخرى التى اهتمت بتأثير التليفـــزيون تلك الدراسة التى توصـــل فيها شرام الى أن مشاهدة التليفزيون لفترة طويلة تســاعد على زيادة المعرفة فى مجال الموضوعات المتصلة بالبرامج المذاعة وأغلبها برامج خيالية وترفيهية (٢) •

فى مصــــــر :

وفى عام ١٩٧٤ ، توصـــل الزميل فتحى يونس أثنـــاء دراسته للغة الأطفال الى أن وسائل الاعلام — وخاصة التليفزيون — قد ظهرت بوادر تأثيرها فى أحاديثهم (٣) • واذا ســألنا المدرسين ونظـــار المدارس ، لقالوا لنـــا ان التلاميذ ، وخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، يرددون ويتغنون فى أوقات فراغهم باعلانات التليفزيون ، وهذا الامر ليس بجديد ، فما زلنا نذكر اعلانا كان يذاع عن طـــريق الراديو (قبـــل عهد التليفـــزيون) وكانت تردده بعض زميلاتنـــــا فى الدراسة ، وان كان هذا الاعلان غير موسيقى اذا قسناه بالاعلانات

---

(١) مثل تأثير فيلم « اليوم التالى » : أنظر ما سبق .

(٢) ولبور شرام وآخرون . ترجمة زكريا سيد حسن ، **التليفزيون واثره فى حياة اطفالنا** — الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القـــاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) فتحى يونس . — **الكلمات الشائعة فى كلام تلاميذ الصـــفوف الاولى من المرحلة الاولى** — رسالة دكتوراه — القاهرة ، كليـــة التربية جامعة عين شمس — ١٩٧٤ .

الملحنة من نوع « شوف العقد •• » وكان هذا الاعلان : « أحذية باتا ظريفة خفيفة لطيفة •• » اذا لم تخنا الذاكرة •

وخلال عام ١٩٨٥ ، لاحظنا أيضا أن محصلة « التلميذ » فى عينة عشوائية من تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية قد دخلتها مفردات جديدة لا يمكن أن يكون لها مصدر آخر غير التليفزيون (١) •

بعض الظواهر التى يمكن أن تنسب الى وسائل الاعلام :

اهتم مارشـــال ماكلوهان هو أيضـــا بتأثير وســـائل الاعلام ، ويرجع الى الماضى البعيد لكى يقـــول ان الهوة بين الثقافة اليونانيـــة وبين الثقافة الرومانية يمكن أن تكون بسبب استخدام ورق البردى فى العالم الرومانى ، لان ورق البردى — كما يقـــول — قد عـــزز الثقافة البصرية (٢) أكثر من أى نتاج انسانى آخر قبل جوتنبرج (٣) •

ومن الظواهر التى نسبت الى تأثير التليفزيون ، وتحتـــاج الى دراسات متخصصة ، نشير هنا أيضـــا الى هذه الاتهامات التى يوجهها الانجليز المحافظون الى التليفزيون وخاصـــة الى المسلسلات الامريكية التى ظهر تأثيرها على لغـــة الحديث الراقى فى المجتمع

---

(١) انشراح الشال . — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيـــديو والغزو الثقافى** (تحت الطبع) سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى ، الكتاب الثانى ، نهضة الشرق سنة ١٩٨٥ •

(٢) المعروف أن وسائل الاعلام لدى ماكلوهان امتداد لحـــواس الانسان •

(3) M. MCLUHAN, Quentin FIORE, Coordonnés par Jérôme NAGEL.—**Guerre et paix dans le village planétaire,** (1968). Publié avec l'accord de Bautram Books inc. Traduction Française, Editions Robert Laffont, S.A., Paris 1970, p. 25.

البريطانى (١) والاتهامات التى صبها فاروق جويدة على التليفزيون فى شــكل تســاؤلات (٢) ترددت كثيرا فى الآونة الاخيرة فى مصر وفى غيرها ، وما يتعلل به بعض الشــباب من الطلبة الذين يتعاطون المخدرات (٣) •

وتأثير وسائل الاعلام على اللغة ليس مقصورا فقط على ما يذاع بالتليفزيون والراديو • فعندما اشتهرت « الخنافس » فى انجلترا ، بدأت لغتهم تظهر فى الاحاديث العامة •

كذلك فى مصر ، فقــد انتشرت فى فترة ما كلمات يرددها بعض ممثلى السينما مثل « همبكة » و « يا أمم » ••• التى اشتهر بهــا توفيق الدقن فى فترة من حيــاته السينمائية •• مثلمــا انتشرت « أخلاق القرية » و « العيب » •• التى روجتها وسائل الاعــلام المكتوبة والمسموعة فى فترة من فترات تاريخنا السياسى •

وتأثير وسائل الاعلام يظهر فى جوانب أخــرى غير الاحاديث واللغة • فهناك مثلا دراسة قامت بها الدكتورة سامية الساعاتى يمكن أن نتوصل من خلالها الى أن وسائل الاعلام يمكن أن يكون لها تأثير فى اختيار اسم للمولود •

أما على مستوى المحاكاة ، فقد انتشرت فى فترة من الفترات تسريحة فرح ديبا ، والليدى ديانا ، وبلوفر البرنس شــارل ، وملابس ولى العهد الجديد — كما انتشرت فيما ســبق خطوة مارلين مونرو وتشذيب الشنب على طريقة كلارك جيبل ، وحلق شعر الرأس تماما تقليدا للممثل بول براينر •

(1) Y. BATICLE. — **Message media, communication de Lascaux á l'ordinateur.** Magnard Université, Paris, 1973, p. 132.

(٢) انظر هذه التساؤلات فى الملحق « بعد ربع قرن » ما فعــل التليفزيون بالعقل المصرى ؟ (ملحق رقم ٢) .

(٣) انظر الملحق رقم (٣) : المخــدرات والشباب ووسائل الاعلام .

وبعد هذا التقـــديم للدراسات الخاصة بتأثير وسائل الاعـــلام وللظواهر الاجتماعية التى يمكن أن تنسب الى هذه الوسائل، نتنـــاول فى السطور القادمة أهم النظريات التى نتبناها والخاصة بتأثير وسائل الاعلام •

النظريات الخاصة بالتأثير :

فى عام ١٩٦٠ ، نشر كلابر KLAPPER نتائج الموجة الجـــديدة من الابحاث فى كتابه الخاص بتأثير وسائل الاعلام :

The Effects of Mass Communication

وقد احتوى هذا الكتاب على نتائج حوالى ١٠٠٠ دراسة ذكر أسماء ٢٧ منها فى المراجع •

ومن أهم النتائج التى ذكرت فى كتاب كلابر ، وسبق الاشـــارة اليها ، كان اعادة النظر فيما سبق اعتقاده بسبب التحليل السطحى لبعض الدراسات والتى أعطت أهمية كبرى لتأثير وسائل الاعـــلام • كما أشارت هذه الدراسة أيضا الى أن وسائل الاعلام لا تعمل منفصلة ولكنها تعمل من خلال عوامل وسيطة •• (١) •

وفى عام ١٩٧٠ ظهر كتـــاب ملفن دى فلور عن نظـــريات الاتصال(٢)•وفى هذا الكتاب حاول المؤلف أن يميز بين أربعة عوامل يمكن اعتبارها نظريات خاصة بتأثير وسائل الاعلام والتى يمكن أن ننظـــر اليها على أنها أهم العوامل الوسيطة التى تلعب دورا فى تحـــديد تأثير الرسالة الاعلامية وهى :

---

(1) KLAPPER.—The Effects of Mass Communication. op. cit. p. 8.

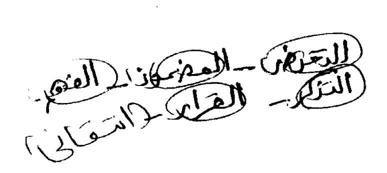
(2) Melvin De FLEUR.— Theories of Mass Communication.

١ — الاختلافات الفردية .	Individual Differences
٢ — الطبقات الاجتماعية .	Social Categories
٣ — العلاقات الاجتماعية .	Social Relationships
٤ — القيم الثقافية .	Cultural Norms

١ — الاختــــلافات الفردية : Individual Differences

وهذه الاختلافات تشــير الى الاستعدادات وخصائص الفــرد النفسية التى تؤثر فى عملية الاتصال .ويظهر تأثير هــذه الاختلافات الفــردية بوضــوح من خلال العمليات الانتقــائية المتعددة والتى من أهمها :

(١) — انتقاء التعرض .
(٢) — انتقاء المضمون .
(٣) — انتقاء الفهم .
(٤) — انتقاء التذكر .
(٥) — انتقاء القرار .



وسوف نتكلم بالتفصيل عن هذه العمليات عند الحــــديث عن الجوانب السيكولوجية للاعلام .

٢ — الطبقـــات الاجتماعية : Social Categories

يرى دى فلور أن الطبقات الاجتماعية هى انعكاس للاختــلافات الفردية البسيكلوجية . فهناك خصائص مشتركة بين الأفراد يمكن أن تنظمهم فى جماعات لها خصائص معينــة . هذه الجماعات تســتجيب لمضمون وســائل الاعلام استجابة موحدة ، ويظهر ذلك بوضــوح فى الدراسات الخاصة بجماهير وسائل الاعلام والتى يهتم فيهـــا

الباحثون بخصائص هذه الجماهير من حيث السن والجنس والتعليم •• وكيفيـة تعاملها مع الوسائل المختلفة •• بل أن المعلنين يعتمـدون على هذه الدراسات للتخطيط لحملاتهم بمعـرفة خصائص الافراد المعجبين ببرامج معينة وأسباب تفضيلهم لهذه البرامج ومدى تأثير ما يشاهدونه فى تغيير عاداتهم واتجاهاتهم وأذواقهم •

٣ـ العـلاقات الاجتماعية : Social Relationships

وهذا المفهوم لدى دى فلور يحيلنا الى النظرية الخاصة بالاتصال على خطوتين ، Two-step flow of communication

التى أظهرتهـا الدراسـات التى أجـريت فى جامعـة كولومبيـا تحت اشراف لازرسفيلد من أن تأثير وسائل الاعلام وخاصة ما يتعلق بتبنى الافكار الجديدة innovation لا يصـل الى الجميع مباشرة ، بل يقتنع بها أولا قادة الرأى Opinion Leader.

ونحن نتفق تماما مع ولبور شرام باعتبار البحوث التى قامت بها جامعة كولومبيا من الدراسات التى تهم علماء الاجتمـاع • فقد أظهرت هذه البحوث أهمية التأثير الشخصى الى جانب تأثير وسـائل الاعلام •

وقد بنى لازرسفيلد وزملاؤه نظريتهم الخاصـة بالعلاقة بين قادة الرأى ووسائل الاعلام بعد دراسة ميدانية فى بنسلفانيا وايرى فى الاربعينيات أثناء الحملة الانتخابية الامريكية • وقد اتضح من دراستهم أن وسـائل الاعلام يمكنها أن تؤثر فى بعض الافراد الذين يمكنهم بدورهم التأثير فى أفراد آخرين • واعتبر الباحثون الجماعة الاولى « قادة الرأى » وهم أكثر احتكاكا وتعاملا مع وسـائل الاعلام المختلفة • وعن طريق الاتصال الشخصى يقوم هؤلاء بنقـل الافكار الجديدة الى الافراد الآخرين • أى أن تأثير وسائل الاعلام ، أو التدفق الاعلامى ، يمر على الاقل بمرحلتين : من وسائل الاعلام الى قادة الرأى ومن قادة الرأى الى الافراد •

وقد اتضح من دراسات جامعة كولومبيا أيضا أن تأثير وسائل الاعلام ليس مباشرا بل يخضع لعدة عوامل منها العمليات الانتقائية التى سبق الاشارة اليها • كما أثبتت هذه الدراسات أيضا أن وسائل الاعلام تساعد على التدعيم كما أنها قد تساعد على التغيير •

وقد استمر لازرسفيلد وزملاؤه فى دراسة نظرية تدفق الاعلام على خطوتين والتى اكتشفوها أثناء دراستهم لتأثير الحملة الانتخابية ، وحاول الباحثون الكشف عن هذه النظرية فى نواح ومجالات أخرى مثل الذهاب الى دور السينما — شراء الطعام والملابس •• لمعرفة ما اذا كان التأثير الشخصى أقوى أم تأثير وسائل الاعلام • وقد استخلصوا من دراساتهم هذه أن التأثير الشخصى أقوى من تأثير وسائل الاعلام (صحافة — راديو — كتب — مجلات) •

ولقد حاولت الدراسات التى أجريت بعد ذلك عن التدفق الاعلامى فى خطوتين أن تحدد قادة الرأى وأهم خصائصهم • ومن أهم هذه الدراسات الرائدة البحث الذى قام به كاتز Katz ونشره عام ١٩٥٧ • ومن أهم النتائج التى توصل اليها هذا الباحث والتى يمكن أن تفيدنا فى الدراسات الاجتماعية للاعلام أن قادة الرأى ينتمون الى نفس الجماعات الأولية للأفراد الذين يؤثرون عليهم • فقد يكونون من نفس العائلة أو زملاء فى العمل أو أصدقاء(١) •• الا أنهم يتميزون عن الآخرين ببعض الخصائص وأهمها التعرض لوسائل الاعلام ولمصادر أكثر للمعلومات كما سبق أن ذكرنا •

وقد واكبت هذه الدراسات اهتمام الدول المتقدمة صناعيا بالدول النامية للرفع من مستواها الاقتصادى والصحى • ولذلك اهتم علماء الاجتماع الريفى بنتائج هذه الدراسات التى ساعدتهم فى تحديد الأسلوب الذى يمكن أن يتبعوه لنشر الافكار المستحدثة من أجل تبنى سلوكيات أفضل سواء فى المجال الزراعى أو الصحى أو خلافه •

(١) وهو ما ظهر خلال البحث : **المخدرات والشباب ووسائل الاعلام** • انظر الملحق رقم (٣) •

ومن أهم الدراسات التى تنتمى الى هذه المدرسة والتى أجريت فى مصر نذكر الرسالة التى تقدم بها محمود عودة للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس والتى نشرها فى كتاب بعنوان : أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى / دراسة ميدانية فى قرية مصرية (١) •

٤ — القيم الثقافية : Cultural Norms

لا ينظر دى فلور الى القيم الثقافية كنظرية ثابتة لكنه يعتبرها مجموعة من الفروض البديهية • وتشكل القيم الثقافية قواعدا وقوالبا وأنماطا للسلوك يفرضها المجتمع قبل أعضائه ويقبلها منهم •

ويسود الاعتقاد أن وسائل الاعلام يمكنها أن تقوم بتعديل وتغيير سلوك الافراد لكى يتلاءم مع القيم الثقافية السائدة فى المجتمع• وان وسائل الاعلام يمكنها أن تعلم الطفل — بل والبالغين أيضا القيم الواجب اتباعها واحترامها داخل المجتمع من خلال التمثيلية والأغنية •• الا أن هذا لا يمنع من أننا نجد البعض يحذر من التأثير المضاد لوسائل الاعلام — وخاصة التليفزيون — على القيم الثقافية داخل المجتمع •

وفيما يلى شرح للدور الوظيفى لوسائل الإعلام من وجهة النظر الاجتماعية •

الدور الوظيفى لوسائل الاعلام : فسيولوجية وسائل الاعلام :

على الرغم من أن البعض قد يرى أن وسائل الاعلام هى تطور طبيعى ، وأن التعرض لها يحدث تلقائيا دون أسباب محددة ،

---

(١) دار المعارف : القاهرة ، ١٩٧١ •

وبغير اعمال فكــر وتدقيق (١) ، الا اننا ننظــر اليها من الناحيــة الفسيولوجية كنظــرة الاقتصاديين الى بعض السلع ، بأن هنــاك وظيفة أساسية — وهى التى تختفى وراء الاسباب التى تجعل الفــرد يقبل على شرائها — ووظيفة ، أو وظائف أخرى ، تظهر بعد الشراء . ولنأخذ السيارة مثالا لذلك . فالفرد قد يلجــأ الى شراء الســيارة لكى يتمكن من الذهاب الى عمله فى موعده متجنبا زحام المواصــلات ومشاكل التاكسى .. وبحلول السيارة فى حياته ، تظهر لدى الفــرد حاجات ثانوية أخرى قد تصبح فى حكم الحاجات الاساسية فيما بعد ، عند استخدام السيارة لقضاء عطلة نهــاية الاسبوع أو فى نزهات فى ليالى الصيف ، أو الخروج الى الحدائق فى الهواء الطلق بعد يوم عمل شــاق ، ونقيس على ذلك سلعا أخــرى متعددة فى حيــاتنا العادية .

وبالنسبة لوســائل الاعلام ، تظهر الوظيفــة الاساسية أيضا فى أسباب شراء الوسيلة . فبالنسبة للصحيفة اليومية مثلا ، قد نجد بعض الاشخاص يشترونها لمعرفة الاسعار فى البورصة ، أو لتفقد صفحة الوفيات ، أو لقراءة الصفحة الرياضية .. بل ان بعض الافراد لا يهمهم منها سوى قراءة باب الحظ قبل بداية أعمالهم اليومية ..

وهكذا ، تختلف الوظيفة الاساسية للصحيفة كما نرى وفقــا لعدة متغيرات أهمها الاختلافات الفردية بين شخص وآخر .

ولكن المشــاهد أن الفــرد قد لا يكتفى بقراءة هذا الجزء من الصحيفة الذى يلبى حاجة أساسية للمعرفة لديه ، فيقرأ الى جانبه أبوابا أخرى وموضوعات مختلفة اما بطريق الصدفة لمجاورة هذا

---

(١) والذى قد يظهر فى البحوث الميدانية عند الاجابة على السؤال عن أسباب شراء الجهاز ، بأنه قد اشتراه لانه لا يريد ان يكون اقل من الآخرين .

الموضوع لما كان ينشد معرفته من الصحيفة ، أو تلبية لغريزة حب الاستطلاع ، ومن باب العلم بالشيء ، أو لملء فراغ يعيشه ...

وباستمرار التعرض لهذا المقال أو ذاك ، الذى يصبح بعد فترة «عادة» لدى الفرد ، قد يتطور التعرض لكى يصبح دافعا لشراء الصحيفة فيما بعد • ولنأخذ لذلك مثلا الباب الخاص بالبحث عن عريس أو عروسة • فقد يشترى الفرد صحيفته اليومية أو الاسبوعية لمعرفة نتائج مباريات كرة القدم ، الا أنه ، وبالصدفة ، قد يتعرض لهذا « الباب » ، ويدفعه حب الاستطلاع فى البداية الى القاء نظرة على المضمون ، قد تطول عدة أسابيع ، وتجعله يفكر فى مراسلة الباب الذى أثار لديه هذه الرغبة الكامنة فى البحث عن النصف الآخر الذى يشاركه حياته ، وقد يفسر ذلك اهتمام المعلن فى التليفزيون بوضع اعلانه فى الفترة التى تسبق — أو التى تلى — البرامج التى تجتذب أكبر نسبة من المشاهدين والتى يرتفع سعرها عن أى وقت آخر •

أما بالنسبة لجهاز الراديو ، وقد لمسنا تطورا ملحوظا فى وظيفته الاساسية فى السنوات الاخيرة ، فقد كانت وظيفته الاساسية فى فترة من فترات تاريخنا الاستماع الى النشرات الاخبارية — ونقصد هنا بطبيعة الحال أسباب شراء الجهاز — الا أننا قد نجد لدى بعض الافراد أن وظيفة الراديو الاساسية هى الاستماع الى القرآن الكريم يتلى ، أما الآن ، فان الوظيفة الاساسية التى تختفى وراء شراء الراديو قد تكون تشغيل شرائط الكاسيت ، أو كرفيق داخل السيارة للتسلية (١) ، وان كان ذلك ما زال فى حكم الفرض حتى نتأكد من ذلك ميدانيا • والى جانب ذلك هناك أيضا حاجة أساسية أخرى

---

(١) كذلك الحال بالنسبة للتليفزيون ، الذى قد تتحول وظيفته الاساسية التى تختفى وراء أسباب حيازته لكى يصبح مجرد وسيلة لتشغيل الفيديو ، كما لمسنا ذلك بأنفسنا بالنسبة لبعض المغتربين فى فرنسا •

لشراء الراديو كانت — وما زالت ربما لدى بعض الافراد — والتى تصورها الجملة التى قالها أبى لأمى عندما أحضر لها جهاز الراديو الى المنزل « لقد أحضرت لك ما يسليك عندما يكون الأولاد فى المدارس » .

وباختصار شديد ، يمكننا أن نذكر هنا الوظائف الكلاسيكية الثلاث التى نسبت الى وسائل الاعلام وهى :

— الاعلام .
— التثقيف .
— التسلية أو الترفيه أو الترويح وشغل وقت الفراغ .

ولنتناول هذه الوظائف الثلاث بشىء من التفصيل بالحديث عن الدور الوظيفى للتليفزيون .

الدور الوظيفى للتليفزيون : (١)

الحديث عن الدور الوظيفي للتليفزيون قد يختلف عن الحديث عن غيره من وسائل الاعلام والوظائف الثلاث التى نسبت اليها . فالتليفزيون له أهمية خاصة فى المجتمعات تتجسد فى مقولة شارل ديجول « اعطنى هذه الشاشة الصغيرة ، وأنا أغير الشعب الفرنسى » .

ولقد نال التليفزيون دون غيره من وسائل الاعلام أهمية خاصة من رجال السياسة والاعلام وعلماء الاجتماع وعلماء التربية وعلم النفس ، والاطباء ، بل ومن رجال الدين أيضا .. كل منهم يحاول فى مجاله تحديد الادوار المختلفة التى يمكن أن يقوم بها التليفزيون .

---

(١) انشراح الشال . — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى** . مرجع سابق .

بالنسبة لرجل الدين مثلا ، يمكن للتليفــزيون أن يقوم بدور اعلامى هام ، بل ذهب بعضهم الى القول بأن التليفزيون يمكن أن يقوم بدور فى التغيير والتحويل (١) •

أما بالنسبة للساسة فبالاضافة الى ما سبق ، يكفى أن نشـــير للقارىء الى الاهمية التى يعطيها رؤساء الدول بادخال التليفزيون فى أراضيهم ، وتبعية هذا الجهاز للدولة ، أو خضوعه للاشراف الحكومى بشكل أو بآخر فى معظم دول العـــالم • ونحيل القارىء فى هذا الى ما كتب عن التليفزيون المصرى الذى عنت حكومة الثورة بادخاله ، وبدء البث المنتظم أول ما بدأ مع أعيــاد ثورة يوليو عام ١٩٦٠ ، كمثال لاهتمــام الحكومات المختلفة بهذه الوسيلة أكثر من غيرها •

ولم ينظر الى أى وسيلة من الوســائل حتى الآن ، مثلما نظر المختصون الى التليفزيون ، الذى اعتبروه قادرا على : نشر التكنولوجيا والوســائل الحديثة ، والقيام بدور هام فى حملات تنظيم النسل ، وفى مجال التعليم ونشر العلوم الحديثة وفى تنميــة الذوق والحس الجمالى ، وفى التنشئة الاجتماعية ، وفى تدعيم الوحــــدة الوطنية والشعور القومى ، بل والتفــاهم العالمى •• ولن ننتهى من حصر المجالات المتعددة التى قيل ان التليفزين — أكثر من غيره — قادر على القيام بدور فيها (٢)• وكغيره من الوسائل الاخرى ، استقر رأى الباحثين على أن التليفزيون يمكن أن تحدد وظائفه فى المهام الثــلاث الرئيسية :

— الترفيه أو التسلية والترويح وشغل وقت الفراغ •

(1) S. S. PIE XII, paraphrasé in Elisabeth GERIN. — **Télévision notre amie**, Editions du Centurion, 1961, p. 38.

(٢) ارجع الى الرسائل الاعلامية والبحوث الاكاديمية :

— F.O. ISFAHANI.— **La T.V. et la famille a Isfahan**, Th. cit. p. 11.

— Fernand TERROU.— **L'information**. PUF. Collection, Que sais-je ? 4e édition, 1974, p. 51 — 52.

— الاعـــلام .
— التثقيف .

وعلى الرغم من أن البعض ينكر بشدة أن يكون للتليفزيون دور ثقافى(١) الا أن هنـــاك من يراه من أهم الوســائل الثقافية — هو والراديو أيضا لشغل وقت الفراغ (٢) .

١ — الترفيـــــــــه :

للحديث عن وظائف التليفـــزيون التقليدية نبدؤها بالرد على السؤال الخاص بالسبب الرئيسى لشراء هذا الجهاز ،وان كنـا نود أن نرجىء الاجابة عليه حتى الحصول على نتائج البحث الميـــدانى الذى نجريه حاليا . ولكن ، يمكننا أن نطرح فرضا لن يخالفنا فيــه الكثيرون ، بأن الحصول على جهاز تليفزيونى — أو البحث عن جهاز تليفزيون لشرائه غالبا ما يكون بغرض التسلية والترفية ، ولا يمكن أن يكـــون لمعرفـــة الأخبـــار ، وان كان هنـــاك احتمـــال ضــعيف جــدا فى أن يكـــون الحصـــول على هذا الجهـــاز بغرض متابعـــة البرامج الثقافية ، وخاصة البرامج التعليمية بالنسبة لبعض الافراد . وهذا ما جعلنا نؤثر أن نبـــدأ الحديث بهذه الوظيفة ، ولكن بعـــد أن نجيب عن السؤال التالى :

— من الذى يتخذ القـــرار الخاص لشراء جهـــاز التليفـــزيون فى المنزل ؟

أثبتت الدراســـــات التى أجريت فى أمريكا وايران أن الشباب تحت سن الثامنــة عشرة هم الذين يقـــررون شراء التليفـــزيون . وفى بروكسل ، سألت احدى الباحثات أفراد عينتها ممن لم يتجاوزوا

---

1. André LANGEVIN.—**La télévision du noir a la coleur.** Editions la Faranole, Paris, 1966, p. 99.
2. Roger SUE.— **Le Loisir.. PUF, Collection** : Que sais-je ? No. 1871 Paris, 1980, p. 89.

سن الرابعـة عشرة فى الاسر التى ليس لديها جهـاز تليفزيون اذا كانوا يتمنون شراءه : ٧ر٣٠٪ من الاجابات كانت بالايجـاب ، وارتفعت هذه النسبة الى ٢ر٦٠٪ فى الفئة التى يتراوح سن المبحوث فيها ما بين ١٤ و ١٨ سنة (١) •

باختصار ، يمكن أن نفترض أن للأطفـال الذين يترددون على المدارس دورا وأنهم يمارسون ضغوطا فى هذا الشأن: بمطالبة والديهم بشراء جهاز حتى لا يكونون أقل من زملائهم فى المدرسة • أما بالنسبة لمصر فلم تجـر حتى الآن دراسة ترد على هذا السؤال ، وان كنـا نفترض أن الاجابة لن تختلف كثيرا مع نتائج الابحاث التى أجـريت فى الدول الأخرى حتى ننتهى من تحليل نتائج احدى الدراسـات الميدانية التى حاولنا أن نعرف من خلالها الرد على هذا السؤال •

أما عن وظيفة الترفيه ، فقد أشـارت عديد من الابحاث التى أجريت فى أمريكا الى أن شراء جهاز تليفزيون لم يكن بغرض الاستماع الى الاخبار « السياسية » • كذلك فى فرنسـا ، أشار البحث الذى قامت به SOFRES فى الفترة من ١٢ الى ١٥ مايو سنة ١٩٧٢ ، الى أن دوافع شراء الجهاز بالنسـبة للفرنسيين تتشـابه مع الدوافع لدى الامريكيين • فقد أجاب ٤٨٪ من عينة ممثلة وعلى المسـتوى القـومى وتتكون من ١٥٠٠ مفردة ، ممن يبلغون من العمر ٢١ سـنة فأكثر ، بأن التليفزيون وسيلة من وسائل التسلية ، مقـابل ١٩٪ يعتبرون التليفزيون وسيلة من وسائل الاعلام و ٣٢٪ من هذه العينة يعتبرون التليفزيون وسيلة للتسلية وللاعلام أيضا (١٪ لم تحدد دور التليفزيون بالنسبة لهم) (٢) •

---

(1) Nicole DELRUELLE. — art. cit. p. 21.

(١) نشرت هذه النتائج فى جريدة الفيجارو .
Le Figaro, 9 Juin 1972.

وفى سنة ١٩٦١ أثبتت احدى الدراسات التى أجرتها مدرسة الآباء L'école des parents فى فرنسا أن ثلث الآباء قد اشتروا التليفزيون لشغل وقت الفراغ ، والثلث الثانى للاقتصاد فى بند المصروفات الخاصة بالترفيه وشغل وقت الفراغ ، والثلث الاخير لاسباب متنوعة (الثقافة والاعلام ، وجمع شمل الاسرة ، وشحذ ذهن الاطفال) (١) .

أما عن أسباب شراء الجهاز لدى البلجيكيين فقد أشارت احدى البحوث التى طبقت على عينة من سكان بروكسل الى أن هناك خمسة دوافع تختفى وراء حيازة هذا الجهاز .

— لكي لا يضطر الفرد للخروج ، ولمشاهدة هذه الافلام فى المنزل (١ر٣٢٪)
— للتسلية (٨ر٢٦٪)
— تحقيقا لرغبة والحاح أحد أفراد الاسرة (٧ر٨ ٪)
— لمتابعة أحداث معينة ، والدورات الرياضية (٦ر٦ ٪)
— اهتمامات اعلامية ، وثقافية (٣ر٦ ٪)
— دون تحديد (٥ر١٩٪)

وكما نرى ، تأتى مشاهدة الافلام والبقاء فى المنزل على قمة القائمة . ومن البيانات السابقة يمكننا أن نتبين أن هناك على الاقل ٩ر٥٨٪ من المشاهدين فى العينة المدروسة فى بلجيكا تشترى التليفزيون للتسلية ولشغل أوقات الفراغ .

وفى بلجيكا أيضا وجد أحد الباحثين أن شراء التليفزيون

---

1. Jean CAZENEUVE.— **Sociologie de la radio-télévision.** PUF. Collection, Que sais-je ?, Paris, 1974, p. 73.

بالنسبة لعينته المدروسة كان أيضــا بغرض التسلية (١) الذى يبدو واضحا مستقلا أو مستترا وراء أسباب أخرى كشغل أوقات الفراغ ، أو القضاء على الملل ورتابة الحياة ، أو كرفيق بالنسبة لمن يعيشــون وحدهم • ولقد وجد هذا الباحث أن ١٠٪ فقط هم الذين يشــترون هذا الجهاز لاغراض أخرى : الثقافة أو الاعلام أو التعليم أو مشاهدة برنامج معين (٢) ، مما يؤكد النتائج التى توصل اليها باحث بلجيكى آخــر ، احتلت التسلية كدافع لحيازة الجهاز المرتبة الاولى لدى جميع فئاته المدروسة ، فيما عدا الجامعيين الذين قالوا ان حيازتهم لهــذا الجهاز كانت لمتابعة برنامج معين أدبى أو علمى (٣) •

وفى ايران ، سجل أحد الزملاء الاغراض التالية كدوافع وراء شراء الجهاز (٤) :

— الرغبه فى التسليه •
— الرغبة فى المعرفة •
— الرغبة فى تقليد من سبقوه فى شراء الجهاز •
— دوافع ثانوية ••
  — تلبية لرغبة الابناء الذين تخطوا الخامسة عشر من عمرهم ويلحون فى طلبه •
  — الحد من الخلافات العائلية •
  — توسيع دائرة المعارف واقامة صداقات جديدة •
  — الحفاظ على المظهر الاجتماعى أمام الآخرين •

---

(1) G. THOVERON.— **Radio et télévision**.— op. cit. p. 160.
(2) THOVERON.— ibid. p. 813.
(3) Henry LISMONDE.— **Loisirs Borinage**, op. cit. 103.
(4) Forough Oreizi ISFAHANI.— **La télévision et la famille.** op. cit.

باختصار شديد ، وتأصيلا على نتائج كل الابحاث التى اطلعنا عليها حتى الآن يمكننا أن نقرر أن التليفزيون ما هو الا وسيلة للترويح وشغل أوقات فراغ • فالفرد العادى ، يشترى التليفزيون فى بداية الامر للتسلية (١) ، لشغل وقت الفراغ ، أى ان التليفزيون يمكن دراسته هنا تحت اطار سوسيولوجية وقت الفراغ (٢) • فقد ثبت أن هذا الجهاز يحتل الجزء الاكبر من وقت الفراغ لدى معظم المشاهدين وخاصة فى مصر (٣) •

وقد أثار التليفزيون — وما زال يثير — التكهنات حول وسائل الترفيه الاخرى ، وخاصة الراديو والسينما والمسرح ، فهو يؤدى نفس الادوار التى يقوم بها الراديو بالاضافة الى الصورة ، أما بالنسبة للسينما فهو ينقل للمشاهد وهو فى غرفة نومه (٤) روائع السينما العالمية ، ولذلك اشترط المسئولون عن السينما عدم بث الافلام السينمائية تليفزيونيا الا بعد مرور سنوات عليها فى دور العرض (٥)•

كذلك بالنسبة للمسرح ، فالتليفزيون يمكن المشاهد من أن يرى بوضوح التعبيرات التى ترتسم على وجوه الممثلين ، والتى لا يحظى برؤيتها سوى الجالسون على المقاعد الامامية فى المسرح ، أو هؤلاء الذين يحملون المنظار الكلاسيكى وهم قلة فى المسرح المصرى ، كذلك الامر بالنسبة للسيرك والمنوعات والحفلات الخارجية التى ما زالت

---

(١) وهو فرض نحاول أن نتحقق منه حاليا ميدانيا .
(٢) أثبتت الدراسات فى الخارج أن التليفزيون قد حد من الزيارات التى كانت بندا هاما فى شغل أوقات الفراغ .
(٣) اثبتت البحوث فى معظم الدول أن العمل والنوم هما فقط اللذان يسبقان التعرض لجهازى الراديو والتليفزيون كأنشطة يمارسها الفرد يوميا .
(٤) والتى كانت احدى فروض البحث الذى نجريه حاليا عن علاقة المواطن المصرى بجهاز التليفزيون .
(٥) وهى نفس الصيحة التى يطالبون بها الآن ازاء الفيديو .

حصرا على بعض الفئات دون غيرها ، فى مصر كما فى غيرها من الدول الاخرى •

أهمية التليفزيون كوسيلة للترفيه :

مما سبق يمكننا أن نستنبط أن التليفزيون وسيلة سهلة للترفيــه داخل الاسرة وهذا يعرفه المسئولون عن هذا الجهاز جيدا ويلعبــون بمهارة على وتره (١) ، ويعترفون بذلك صراحة (٢) • وسيبقى التليفزيون وشريكه الجديد الفيديو — الوسيلة المثلى للترويح وقضاء وقت الفراغ بالنسبة لفئـــات متعـــددة ، بالنسبة لسكان المناطق البعيـــدة عن عن العمران ، ولكبار السن والاطفال ، وهؤلاء الذين يعـــودون الى منازلهم بعد يوم شاق فى العمل ، كما هو وسيلة استرخاء ذهنى للعالم الذى يقضى الساعات داخل معمله •••

ولا يمكننا أن ننكر دور التليفزيون فى شغل وقت الفراغ (٣) فقد قضى هذا الجهاز على التساؤل الذى كان يتردد غالبـــا فى المنازل « ماذا سنفعل هذا المساء ؟ » • وقد أثبتت الدراسات فى فرنســا أن التليفزيون هو أكثر الوســائل لتمضية وقت الفراغ على المستوى الشعبى (٤) ، كذلك أثبتت البحوث التى أجريت فى بلجيكا أن طبقة العمال هناك يشكلون جمهورا عريضا التليفزيون (٥) •

(1) G. GAUTIER, Ph. PILARD. — **Télévision passive, télévision active.** Tema Editions, Paris, 1972, p. 145.

(2) **Rapport de la Communication d'Etude du Statut de l'ORTF,** Paris, 1970, p. 12 — 13.

(٣) لتعريف وقت الفراغ أنظر ايضا :

— J. DUMAZEDIER. — **Sociologie empirique du Loisir.** Editions du Seuil, Paris, 1974.

(3) Anne-Marie LAULAN. — **Cinéma Presse et public.** Retz C.E.P.L. Paris, 1978, p. 124 — 126.

(5) Axel GRYSPEERDT.— **Télévision et participation a la culture.** Editions Vie Ouvrière, Bruxelles, 1972, p. 109.

ويعتبر التليفزيون كذلك وسـيلة الترفية الوحيدة دون منافس بالنسبة لبعض الطبقات فى الدول النامية مما قد يفسر الانتشار الافقى لهذا الجهاز ، بخلاف ما هو شائع بالنسبة للأجهزة المرتفعة الثمن ، والذى يغلب عليها الانتشار الرأسى •

وكما قلنا من قبل ، اذا كان التليفـزيون يملأ وقت الفـراغ ، فانه يساعد أيضا على شغل هذا الفراغ بما يفيد (١) • فبرامجه تساعد الفرد على اختيار الاسلوب الذى يلائمه فى ملء وقت الفراغ • والمثال الواضح البرنامج الذى يعرضه التليفزيون المصرى « أين تذهب هذا المسـاء » وبرنامج « خمسـة سياحة » والامثلة عديدة سـواء فى التليفزيون المصرى أو فى غيره من تليفزيونات العالم •• فلا غرابة اذن اذا عرفنا أن الاهتمام بدراسة وقت الفراغ من قبل الاجتماعيين قد بدأ خلال الفترة من سنة ١٩٥٠ — ١٩٦٠ (٢) وهذه الفترة تواكب بداية انتشـار التليفزيون ، وهى نفس الفترة التى ارتفعت فيهـا أصوات الاحتجاج ضد هذا الوليد الجديد من كل من الصحافة المكتوبة والكتاب والراديو والمسرح والسينما •• باختصار من كل الوسائل التى يمكن أن تستغل فى شغل أوقات الفراغ ، ومن هنـا كان اهتمام علماء الاجتماع • وعلى حسب معلوماتنا أجرى أول بحث فى أوربا حول وقت الفراغ فى يوغوسلافيا عام ١٩٦٠ (٣) واستخدمت فيه مناهج البحث المتطورة ، ثم لحقته أبحاث تدور حول وقت الفراغ فى حيـاة الفرد ووقته (عام ١٩٦٧) واختيرت له عينة تمثل اثنتى عشرة دولة هى ألمانيا الاتحادية وفرنسا وبلجيكا والنمسا والمجر وبولندا والاتحـاد السوفيتى (٤) ، ونقوم حاليا بدراسة ميدانية موضوعها : الشـباب ووقت الفراغ ووسائل الاعلام لقياس مكانة التليفزيون بين وسائل الاعلام الاخرى فى شغل وقت الفراغ •

---

(1) E. EL SHAL.— **La responsabilité.** th. cit. p. 151.

(2) E. LARABBEE, R. RAYERSCH.— **Mass Leisure.** op. cit. p. 19-20.

(3) Idem p. 20 — 21.

(4) idem. p. 23.

واذا كان التليفزيون ببرامجه المتنوعة وسيلة من وسائل شغل أوقات الفراغ ، يمكننا اذن أن نفترض أن التليفزيون يمكنه تعديل الأسلوب الذى يمكن أن نقضى به أوقات فراغنا فى أعمال أخرى ، قد يدخل بعضها تحت وظيفة التثقيف فهو يفتح أمام الكبار آفاقا ومجالات جديدة يمكن عن طريقها ملء أوقات الفراغ ، والامثلة عديدة هنا : كيفية تزيين المنزل ، أشغال الابرة والحياكة ، اعداد صنف جديد على المائدة ، فن العناية بالنباتات والزهور ، أفضل الطرق لتربية الطيور والحيوانات ، قراءة كتاب جديد • أما بالنسبة للأطفال فاننا نذكر هنا جملة يمكنها أن تعبر عن أفكارنا فى هذا الموضوع : « فى مجال شغل أوقات الفراغ ، يمكن للتليفزيون أن يشجع على القيام بأعمال متنوعة ومختلفة تمس كافة أنشطة الصغار فكم شاهدنا من أطفال تبدأ فى لف موتور كهربى أو عمل طائرات ومراكب •• بعد مشاهدتها لبرنامج تليفزيونى » (١) •

وكما شاهدنا فى مصر ، استطاع التليفزيون أن يستقطب جمهورا كبيرا من المشاهدين أمام مباريات كرة القدم ، ولكن هل يعنى ذلك أنه حول اللاعبين الى مشاهدين ؟ الاجابة هنا بالنفى ، فلم نسمع عن لاعب تحول الى مشاهد (٢) ، أو من مشاهد فى الملعب الى مشاهد أمام الشاشة • كذلك استطاع التليفزيون فى فرنسا أن يجعل من لعبة « الرجبى » اللعبة الشعبية بالدرجة الاولى ، ولكن عدد المعتزلين لهذه اللعبة لم يرتفع(٣) ، الا أن هذا لا يشير أيضا الى زيادة فى عدد اللاعبين• ومعنى ذلك أن التليفزيون مثير سلبى ، ولكى تصبح هذه الاثارة ايجابية ينبغى اذن أن تكون هناك رغبة داخلية لدى الفرد هى التى

(1) Enrique MELON—MARTINEZ. —**La télévision dans la famille et la société moderne.** Marabout, Université Gérard & Co., 1970, p. 189.

(٢) الا بعد خروجه نهائيا من الملعب واعتزاله فى السن القانونية .

(3) Roland CAYROL.— **La presse écrite** et audio-visuelle. PUF Collection, Sciences Politiques, 1ère édition, 1973, p. 551.

نحثه نحو هذه اللعبة أو تلك ، أى أن التليفزيون لا يمكن أن يعمل منفردا فى هذا الوقت . بل يتوقف التأثير هنا على العوامل الوسيطة ، وأهمها رغبة الفرد الدفينة وميوله .

٢ — الاعـــــلام :

يرى روبرت اسكاربيت أن وســائل الاعــلام (التى توصـــف بأنها جماهيرية) هى الوحيدة القادرة على الاعلام فى المجتمعـــــات ذات الحجم الضخم (١) ، حيث تزداد أهميـــة الوســائل المرئيـــة فى الدول النامية أكثر من الوسائل المقروءة . ويدخل التليفزيون تحت هذا المسمى : « وسائل الاعلام الجماهيرية » ، الذى يضفى أهمية على هذا الدور المنســوب لهذا الجهاز والاجهزة أو الوسائل الاخرى . والتليفزيون يستطيع نقل الاحــداث مباشرة أو مسجلة . والبرامج الاعلامية فيه متنوعة ولها أشكال وقوالب مختلفة يستطيع القــارىء أن يتعرف عليها فى دراسة سابقة قمنا بها (٢) ، وبقــدر ما تتنــوع القوالب والانماط التى تقدم بها البرامج الاعلامية — أو الاخبارية ما دمنا قد أخذنا بالمرادف اللغـــوى لكلمة اعلام — فان ذلك يعتبر شاهدا على الاهمية المنوطة بالتليفزيون فى مجال الاعلام — كما يشهد على هذه الاهمية أيضا العناية بقسم الاخبار فى تليفزيونات العالم أجمع ، والاجهزة الحديثة المزودة بها والمكانة التى لرجال الاخبـــار فى التليفزيون الذين يحصل البعض منهم على أعلى المرتبات بين زملائهم فى الاقسام الاخرى (٣) .

وعلى الرغم من ذلك ، نرى أن كل هـــذه الاهميـــة المعطـــاه

---

(1) Robert ESCARPIT. — **La théorie de l'information et pratique politique.** Editions du Seuil, Paris, 1981, p. 103 — 134.

(٢) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية** — مرجع سابق .

(٣) ونعطى لذلك مثلا وولتر كرونكايت فى أمريكا ، والذى أصـــبح Walter CORNKITE أسطورة فى مجال الاعلام .

لوظيفة الاعلام فى التليفزيون لا تجد صـــدى لدى المشاهدين الذين يقبلون على الترفيه الذى يقدمه التليفزيون أكثر من اقبالهـــم على الاعلام • ولم لا ، ونحن نعرف الآن أن الوظيفة الاساسية لهـــذا الجهـــاز تتركز فى الترفيه ؟ ولكن تجـــدر الاشارة الى أن الوظيفـــة الاعلامية للتليفزيون تظهر بقوة عند الاحداث العالمية ، مثل الدورات الاولمبية ، وحفلات التتويج (١) والمراسم الخاصة بتشييع جثمان الزعماء والرؤساء والملوك (٢) ، كذلك الامر بالنسبة للأحداث المحلية ذات الصبغة العالمية ، مثل المواجهـة بين فاليرى جيسكار دســتان وميتران فى فرنسا ، وزيارة السادات للكنيست ، وان كانت لا تخلو هى أيضا من الاهمية العالمية •

وقد لاحظنا فى دراسة على نشرات الاخبار فى التليفـــزيون المصرى أن ٨٣٫٩٪ من حجم العينة المدروســـة (٢٨٠ مفردة من سكان القاهرة) لا تشاهد النشرات الاخبارية فى التليفزيون بينما تشـــاهد برامج أخرى (٣) ، وتتفق هذه النتيجـــة مع نتائج البحوث الميدانية الاخرى التى أجريت فى مصر حتى الآن • ويبدو أن الاعلام عن طريق التليفزيون يتم عفوا ، لان النشرات الاخبارية فى التليفزيون المصرى مثله مثل التليفزيون الفرنسى — تقع على خريطة البرامج مجـــاورة للبرامج التى تقبل عليها الجماهير: المسلسلات والافلام والمسرحيات(٤)•

وتشير البحوث فى أمريكا الى أن ٦٠٪ من عينة مدروسة قد ذكرت

---

(١) انشراح الشال . — **تكنولوجيا الاتصال** — الجزء الثـــانى : شبكات التليفزيون — مرجع سابق .

(٢) تسجل أرقام مبيعات أجهزة التليفزيون ارتفاعا ملحوظا قبيـــل هذه الاحداث العالمية .

(٣) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية** — مرجع سابق ص ١٥٧ .

(٤) نفس الشيء يحدث بالنسبة للتليفزيون فى الاتحاد الســـوفيتى وغيره من تليفزيونات العالم .

أن التليفزيون هو المصدر الاول لمعرفة الاخبار بالنسـبة لهم (١) والسـؤال الذى نطرحه هو أى أخبار ؟ وما حجمها ؟ فالشـبكات الامريكية لا تقدم يوميا سوى ٢٠ دقيقة من الاخبار وهو ما يعـادل ثلثى الصفحة فى الصحيفة ، كذلك المحطات المحلية هنـاك أيضـا ، التى لا تتجاوز هذه الدقائق العشرين فى تقديم الاخبار المحلية (٢) ٠

ولكن ، يجب أن نلاحظ أن التليفزيون يحاول فى تقديمه للأخبار أن « يسلى » المشـاهد ويجـذبه بواسطة حركة الكاميرا ، وهو ما يمكن ملاحظته عندما نراقب المخرج فى عمله ، وهو يختار صـورة ويلغى أخرى ٠٠ كى يقدم فى النهاية عرضا شيقا ، مثله مثل السينمائى ، منذ اختيـار الزوايا الصالحة لالتقاط الصور وحتى عملية « المونتاج » الاخيرة ، والتى أثبتتها احدى البحوث التى أجريت فى المانيا (٣) ٠٠ وهنا ، يمكننا أن نستنبط أن هؤلاء الذين يقـومون باعداد البرامج الاخبارية ، يعترفون صراحة أو بطريقة غير مباشرة بالدور الوظيفى الأول للتليفزيون (التسلية) ٠

ولكى نختم هذا الجزء الخاص بوظيفة التسلية ووظيفة الاعلام بالنسبة للتليفزيون ، نشير هنا الى نتائج البحث الذى أجرى عام ١٩٧١ على عينة من سكان باريس وضواحيها ، والذى أثبت أن ثلاثة أرباع المشـاهدين يعتبرون التليفزيون وسيلة للتسلية والاعلام (٧٤٪ من العينة المدروسة لا تفصل بين الوظيفتين و ٤٤٪ لا يعترفون الا بالتسلية

---

1. Claude — Jean BERTRAND.— **Les mass media aux Etats-Unis.** PUF, Collection Que sais-je ? Paris, 1974, p. 97.
2. Idem.

(٣) جيهان رشتى « هل يعرقل أسلوب تقديم التليفزيون أخبـاره نمو الديمقـراطية ويؤدى الى مزيد من السلبية ؟ » ص ٦٠ — ٧١ ، **مجلة الفن الاذاعى** — القاهرة — العدد ٧٠ ، يناير عام ١٩٧٦ .

بينما ٧٪ فقط يهمهم الاعلام) ، وتأكدت هذه النتائج فى بحث آخر أجرى فى يونية عام ١٩٧٢ (١) •

٣ ـــ التثقيـــــف :

بمقارنة النتائج السابق ذكرها بنتائج الابحاث التى أجرتهـــا L'ORTF فى سنوات سابقة (١٩٥٧ و ١٩٥٨ و ١٩٦٠) (٢) نلاحظ أن أذواق الجماهير وميولهم فى فرنسا قد دخل عليها بعض التعديل ، فهناك اتجاه متزايد نحو البرامج الجـــادة • ولكن ، تبقى البرامج الثقافية « مثـــل المواد الموســـيقية الكلاسيكية ، والادب ، والفن ••• » أقل البرامج جـــذبا للمشاهدين ، والتى لوحظ من الدراسات السابقة أن جمهورها يغلب عليه الانتماء الى الطبقـــات الاجتمـــاعية العليا ، وغالبا ما يكون من الرجال (٣) • وقد يفسر ذلك بأن الجمهور العريض للتليفزيون ، الذى يتشكل من العمـــال والفلاحين ، من الصعب أن يتذوق هذه المواد ، كما تواجهه أيضـــا صعوبة فى فهمها (٤) • فقـــد أقر ٨٩٪ من هؤلاء بأنهم يجـــدون صعوبة فى تتبع وفهم محتوى هذه البرامج ، وصعوبة فى فهم ما يقال •• وقد انتهى الامر بهم الى القول بأن هذه الثقـــافة ليست لهم ولكن للآخرين ، للأغنياء والمحظوظين (٥) • ويرى المشاهد العادى للتليفزيون الفرنسى أن هذه البرامج لا تسليه ، وان التسلية بالنسبة له هى الشىء الوحيد الذى ينشده من التليفزيون (٦) ، ولذلك يتهم البعض البرامج

(1) Jacques MOUSSEAU et als.— **Les communications**. op. cit. p. 183.

(2) Louis PORCHER.— **Vers la dictature des media?** Profil Actualité, Hatier, 1976, p. 38.

(3) E. MELON—MARTNEZ. — **La télévision**. op. cit. p. 94—109.

(٤) وهو ما لمسناه عند دراستنا لنشرات الاخبار عام ١٩٧٦ •

(5) **E. M.** — MARTINEZ. idem. p. 91.

(6) idem.

الثقافية بأنها السبب فى هروب الجمهور العريض من أمام الشاشة الصغيرة (١) .

كل ما سبق يؤكد على الدور الوظيفى للتليفزيون وخاصة فى الدول التى يغلب على شعوبها صفة الأمية ، وينصح البعض ، ونؤيدهم فى ذلك ، بالحد من البرامج السياسية والادبية ذات المستوى الرفيع (٢) ، والتى يمكن أن تقابل بموقف عدائى من قبل الذين لا يفهمونها والذين يشكلون الغالبية العظمى من المشاهدين « فمن عدم الفهم يتولد الاحباط الذى يسبب الثورة » (٣) . وعدم الفهم ليس على المستوى اللغوى فقط ، فاننا عند الحديث عن التليفزيون ، نشير أيضا الى فهم الصورة ومضمونها . فليس من السهل أن يفهم البعض أو يتخيل البعد الزمنى والبعد المكانى للصورة (٤) .

ولذلك يشير تقرير ماكبرايد الى أن التليفزيون لا يمكن أن نعتبره وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير الا بالنسبة للدول التى وصلت الى مستوى معين فى مجالات التنمية (٥) ، وخاصة على المستوى الثقافى .

---

(1) M. MERIN, paraphrasé in Jacques THIBAU.— **Une télévision pour tous les français.** Editions du Seuil. Paris, 1970, p. 45.

(2) Assadollah NAWROOZI. — **Mass - media et développement national en Iran.** th. cit., p. 222 — 223.

— Robert WANGERMEE.—«Public et culture en télévision», **in, Communication,** no 14, Paris, 1969.

(3) Pierre LAFARGE.— «La création d'un schéma généralogique», **in, Schéma et Schématisation,** no 5, 3e trimestre, 1975, p. 45 — 75.

(4) M. McLUHAN.— **Pour comprendre les media.** op. cit. p. 313-314.

(5) Sean MacBRIDE. — op. cit. p. 157.

* دور المعيبة للفقر الثقافي
ثم تطلع إلى دور التليفزيون في تثقيف المثقفين وترك الآخرين في مستواهم .

ومن السهل أن نستخلص من ذلك أن استخدام التليفزيون في عملية التنمية يتطلب حدا أدنى من الثقافة (١) • ويمكننا أن نطرح هنا فرضا جديرا بالدراسة الجادة ، بأن التليفزيون يثقف المثقفين ويترك الآخرين في مستواهم ، وهو ما يسميه الاقتصاديون « الحلقة المعيبة للفقر الثقافي » (٢) •

فاذا أردنا الحديث عن الدور الثقافي للتليفزيون ، فان الحديث سوف ينصب اذن على دوره في محو الامية والبرامج التعليمية ، والتعليم الوظيفي ، وذلك لأن التليفزيون سيظل دائما وسيلة من وسائل الترفيه ، لذلك ، يجب أن تكون التسلية هي المدخل الاساسي لما نريده من التليفزيون ، ولكن قد يكون ذلك صعب التحقيق بالنسبة للبرامج الثقافية والتعليمية ، الا أن هذا لا يجب أن يجعلنا نقف عاجزين • فمن خلال برامج التسلية يمكننا أن نقدم الثقافة أيضا ، وهو ما لمسناه في برامج التسلية على شاشة التليفزيون الفرنسي ، وخاصة في البرنامج الجماهيري « أرقام وحروف » (٣) • ولقد أشرنا فيما سبق الى أن البرامج الاخبارية — أو الاعلامية تحاول أن تكون أكثر « مرحا » كي « تسلي » المشاهدين ، الذين يتطلعون دائما الى التسلية من خلال التليفزيون •

---

(1) J. K. GALBRAITH. — «The Causes of Poverty : A Classification» in, A. MACK, D. PLANT U. DOYLE.— **Imperialism, Intervention and Development,** Croom Helm, London 1979, p. 222 — 232.

(2) R. CLAUDE, J. GRITTI.—**Les chemins de la télévision.** op. cit. p. 164 — 165.

(3) Des chiffres et des lettres.

الذي يقدم على شاشة القناة الثانية (A2) بفرنسا .

هذه البرامج وان كانت تهدف الى الاعلام ، الا أن هـــذا لا يمنع أن يكون ذلك فى قالب « مسلى » لجذب المشـــاهد مع عدم الابتذال ، كما أنها يمكن أن تثقف المشاهد أيضا • أى أننا يمكن أن ننسب الى التليفزيون وظيفة التثقيف أيضا ، حتى لو كان ذلك من خلال البرامج الترفيهية أو البرامج الاعلامية ، التى يقبل عليهـــا الاميون أكثر من اقبالهم على البرامج الثقافية ، مما جعل واحـــدا من المثقفين الفرنسيين يقـــول مداعبا « بعد عشر سنوات يصـــبح العامل أكثر ثقافة منا فهو يقضى لياليه يتثقف أمام الشاشـــة بينما نحن نضيع الوقت فى تناول العشاء فى مطاعم المدينة (١) » ،وذلك يؤكد مقولة جورج فريدمان الشـــهيرة بأن التليفزيون مدرســـة موازية Ecole parallèle يمكنها أن تقـــدم الثقافة للجماهير • وفى مقـــابل وجهة النظر هذه وفى عصر ازدهار التليفزيون ، نجد مستشار جامعة شيكاجو يتعجب فى احدى خطبه ويقول « فى السنوات القادمة سيفقد الشعب الامريكى القدرة على القـــراءة والكتابة بسبب التليفزيون وستصبح حياته أشبه بحياة الحيوانات » (٢) •

ثقـــافة التليفزيون :

كل ما سبق لا يمنعنا من القول ان التليفزيون يمكن أن يقـــوم بدور ثقافى بالنسبة للأطفال • ونذكر هنا جملة قالها ماكلوهان تؤكد هذا الدور الذى قد لا نشعر به من الوهلة الاولى :

ماكلوهان « ••• الطفل فى الثالثة من عمره يتابع على الشـــاشة المؤتمر

---

(1) Paul RAYMOND, paraphrasé in, R. CLAUDE.— **Les chemins de la télévision.** op. cit. p. 167.

(2) Paraphrasé in Jean CAZENEUVE.— **L'homme téléspectateur** op. cit. p. 157.
— Olivier BURGELIN.— **La Communication de masse.** Collection Encyclopédique, par la S.G.P.G., Paris, 1970 p. 256.

الصحفى للرئيس وهو بجوار جده ... » (١) ومن حسن الحظ لدينا نتائج عدة بحوث تؤكد هذا الدور الثقـــاف للتليفـــزيون ، وأهمهـــا الدراســـات التى قامت بهـــا هيملويت وزملاؤها (٢) ، وولبرشرام وزملاؤه (٣) وجيمس هالوران واليوت (٤) ، وسلطان وساتر (٥) وغيرهم وهو موضوع جاد يحتاج الى دراسات متعمقة ، ســـواء بالنسبة للطفل أو الفـــرد العادى وهو ما نحـــاول التركيز عليه فى أبحاثنا (٦) .

ويمكننـــا أن نميز بين ثلاثة أنواع من البرامج الثقـــافية الدرسية والتعليمية ، والثقافية بالمفهوم الواسع لكلمة ثقافة والذى يمكن أن يحدث من خلال البرامج الترفيهية والاعلامية أيضـــا .

والسؤال الذى سنحاول الاجابة عنه الآن يتعلق بمكانة البرامج الثقافية فى التليفزيون ، وما هو رأى الاعلاميين العاملين فى هـــذا الجهاز بخصوص هذا الموضوع ؟ لاحظنا مثلا أنه فى عام ١٩٧٧ ظهر من خلال احدى الدراسات فى فرنسا (٧) أن :

— البرامج الفنية والوثائقية تبث بنسبة ١ر١٢٪ من وقت البرامج

(1) **Pour comprendre les media.** op. cit. p. 362.

(2) HEMMELWEIT.— op. cit.

(3) W. SCHRAMM.— op. cit.

(4) J.D. HALLORAN, P.R.C. ELLIOT.— **La télévision pour L'enfance et la jeunesse.** UER, Suisse, 1970.

(5) J. SULTAN, J.—P. SATRE.— **la télévision a la porte de l'école.** Les instituteurs et la télévision, enquête de l'Institut National de Recherche Pédagogique. La Documentation Française INA, Paris, 1981.

(٦) انشراح الشال . — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيـــديو والغزو الثقافى** مرجع سابق .

(7) Michel SOUCHON.— «La place de la fiction dans la télévision» **art. cit. in, La Fiction,** UER, Suisse, 139.

فى التليفــــزيون الفرنسى (٦ر١٥٪ فى ١٩٧٤) وتســـتقبل بنسبة ٥٪ من العينة المدروسة (٤ر٥٪ عام ١٩٧٤) .

— البرامج الاعلامية تحتل نسبة ٨ر٣٥٪ من اجمالى وقت البث ســنة ١٩٧٧ (٣ر٢٩٪ سنة ١٩٧٤) وتستقبل بنسبة ١ر٢٧٪ (٥ر٢٥٪ سنة ١٩٧٤) .

— البرامج الدينيـة التى تحتـل ٥ر١٪ من اجمـالى زمن البث سنة ١٩٧٧ (— ر٢٪ سنة ١٩٧٤) (١) لا تستقبل الا بنسبة ٤ر٠٪ من العينة المدروســـة سنة ١٩٧٧ (٦ر٠٪ سنة ١٩٧٤) والارقام السابقة بالنسبة لعامى ١٩٧٤ و ١٩٧٧ تشـــير الى تعديل فى ميول المشاهدين فى فرنسا ، الا أننا لا يمكننا أن نؤكد ذلك لعدم معرفتنا حجم العينتين بالتحديد .

ونفتح الاقواس هنا لكى نقول اننا نتفق مع هؤلاء الذين يرون أن زيادة نسبة عدد المشاهدين لبعض البرامج ، وانخفاضها بالنسبة لبرامج آخرى لا يعنى بالضرورة ، وليس مقياسا أو محكا رئيســيا لجودة الفئة الاولى من البرامج أو لســوء البرامج الاخرى (٢) . ونرى أن البرنامج قد تتغير نسبة الاقبال على مشاهدته مع تغيير موعد بثه على خريطة البرامج (٣) ، وهو فرض نطرحه للبحث الجاد . وبعد غلق الاقواس نشير أيضا الى النتائج التى توصل اليها كوربو والتى لا تبتعد كثيرا عن النتائج السابقة (٤) . فقد توصـل هذا الباحث الى النتائج التالية بالنسبة للفئة الخاصة بأصحاب الوظائف العليا والمثقفين الذين يشاهدون التليفزيون للأسباب التالية :

(١) يقدم التليفزيون الفرنسى برنامجا دينيا صباح كل يوم احـــد يشمل فترة خاصة للدين الاسلامى ويشرف على اعـــداده المســئولون فى مكتب رابطة العالم الاسلامى فى باريس ، وفترة خاصة للدين اليهودى ، وفترة خاصة للدين المسيحى .

(2) René BERGER. — **La télé—fission.** Alterte a la télévision. Casterman, Belgique, 1976, p. 145 — 146.

(3) G. THOVERON.— **Radio et télévision.** op. cit. p. 792.

(4) J.— P. CORBEAU.— **L'impact.** th. cit. p. 196 — 319.

— ١٧ الاخبار

— ١٨ التسلية

— ٧ الثقـــافة

أما بالنسبة للعمال فى نفس عينتـــه فهم يشاهدون التليفزيون للأسباب التالية :

— ٢٢ معرفة الاحداث الجارية •

— ٤ الانفتاح على العالم •

— ١١ حب الاستطلاع والفضول •

— ١٨ الترويح وعدم التفكير فى أى شىء آخر •

— ٨ التسلية •

— ٥ الثقـــافة •

واذا عقدنا مقارنة بين معطيات البحث السابق بين فئة المثقفين والعمال ، نلاحظ أن ٤ر٦٪ من العمال فى هذه العينة مقابل ٢٣٪ من المثقفين يشاهدون التليفزيون بغرض الثقـــافة (١) • وقد يفسر ذلك ما سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن الاختلافات الفردية وعمليات الانتقاء وخاصـــة « انتقـــاء التعرض » ، كذلك يجب أن ننظر بعين الحذر الى هذه النسبة (٤ر٦٪) لدى العمال التى تشاهد التليفزيون بغرض الثقافة ، لان مصداقية الاجابات فى البحوث الميدانية ستظل دائما موضع شك ، خاصـــة أن الباحث هنا لم يذكر أنه استخدم المقاييس التى تحدد مستوى الثقـــة فى نتائجه • ولكن ، يمكننـــا أن نؤكد فقط على أن نتائج البحث تشير الى أن هذا الدور الوظيفى للتليفزيون — الدور الثقافى — دور محدود جدا ، وخاصة لدى العمال فى العينة المدروسة فى فرنسا •

---

(١) عمدنا اعطاء هذه النسب لكى نوضح الفارق بين الفئتين على الرغم من أن الارقام لا تصلح لذلك من وجهة نظر بعض الاحصائيين .

والنتيجة السابقة لا تبتعد كثيرا عن النتائج التى توصلوا اليها أيضا فى الولايات المتحدة ، ويعرفها جيدا القائمون بالعمل فى التليفزيون هناك الذين يفهمون تماما أن المشاهد يبحث عن التسلية فى برامج التليفزيون ، ولذلك يرون أنه من العبث أن يحاولوا تثقيفه من خلال الشاشة الصغيرة (١) ولذلك يتعامل المسئولون هناك مع هذا الجهاز على أنه وسيلة للتسلية وشغل وقت الفراغ (٢) .

ولكن هذا لا يمنع من أننا قد نفاجأ بتغيير لدى المشاهدين . فقد يجد البعض بعد فترة فى هذا الجهاز وسيلة للانفتاح على العالم ، لتوسيع مداركه ، ولم لا للثقافة ، والذى يمكن أن نعتبره التأثير النائم للتليفزيون ، اذ يبدو من الابحاث التى أجريت فى مصر والخارج أن التليفزيون يحمل بين طياته المعرفة والثقافة (٣) . أى أن التليفزيون

---

(1) AUDIGIER, F. LATAPIE. — **Télévision et télécommunication aux Etats-Unis.** PUF, Collection SUP, Paris, 1976, p. 126.

(٢) بالنسبة للتليفزيون الامريكى أنظر : انشراح الشال . — **الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية** . مرجع سابق ، الفصل الخاص بالشبكات الامريكية .

(٣) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية** . مرجع سابق .
— THOVERON.— **Radio et télévision**. . ., op. cit. p. 813.
— ISFAHANI.— **La télévision**. . , th. cit. p. 294 et 363.
— Paul ALMASY.— «Le choix et la lecture de l'image d'information», in, **Communication et langages**, no. 22, 1973 p. 57.
— GRYSPEERDT.— **Télévision et participation**. . , op. cit. p. 94.
— S.M. BARGHOUTI.—«The Role of Communication in Jordan's Rural Development», p. 418 — 424 in, Journalism Quarterly No. 51, 1974.
— G.K. HARABAUYASHI and M.F. EL KHATIB.—«Communication and Political Awarness in the Villages of Egypt» p. 357 — 363, in, **Public Opinion Quarterly**, no. 22, 1958.
— A. — M. THIBAULT — LAULAN.— **L'image dans la société contemporaine. Ed. Denoël**, Coll. Le Point de la Question, Paris, 1971, p. 230 — 231. وفيه تعطى أمثلة أخرى :

على الرغم من أنه وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية والترويح يمكنه أن يقوم بوظائف أخرى • ولقد صرح أحد علماء البيولوجيا الفرنسيين ، أنه يفضل برامج المنوعات والاغانى ، وأنه « يسره أن يتعرف من خلال التليفزيون على شيلا وجاك بريل ••• » ويبحث أمام الشاشة عن الترويح عن النفس ، ويتمنى أن تساعد برامج التليفزيون الثقافية التى يصفها بأنها (ثقافة سطحية) (ويصفها بعض علماء الاجتماع بأنها (متنوعة) «Mosaïque» (١)) وتختلف عن الثقافة التقليدية (٢) : أن تساعد هذه الثقافة ، على الرغم من سطحيتها ، فى رفع المستوى الثقافى (٣) ، والتى يتصورها البعض ثقافة للطبقات الدنيا ، ثقافة للدهماء (٤) • كذلك يرى المخرجون التليفزيون

---

(١) لمزيد من المعلومات ارجع الى كتابات جون كازناف :

— Jean CAZENEUVE.— **L'homme téléspectateur.** Denoël—Gonthier, Paris, 1974.

— Jean CAZENEUVE.— **Sociologie de la radio — télévision,** PUF, Collection : Que sais-je? Paris, 1974.

— Jean CAZENEUVE.— **la Société de l'ubiquité, Communication et diffusion,** Denoël—Gonthier, Paris 1972.

— Jean CAZENEUVE. — **Les pouvoirs de la télévision,** Gallimard, Collection: «Idées», Paris, 1970.

2. BacBRIDE.— op. cit. p. 32.

3. «La télévision, une affaire de psychiatre» une interview de Jean ROSTLAND, in Pierre DESCAVES, A.V.J. MARTIN. — **Un siècle de radio et de télévision,** ORTF et les producteurs de Paris, 1965, p. 340.

4. Richard HOGGART.—**La culture du pauvre. Le sens commun.** Minuit Paris, 1970. 1957, by CHATTO and WINDUS. Titre originale : **The Uses of Literacy.**

على أنه وسيلة من وسائل المعرفة (١) .

وكما هــو الحال فى مصر ، هنــاك عدم توازن بين البرامج فى التليفزيون الفرنسى على مستوى عدد ساعات البث حيث تحتل البرامج الجادة (الثقافية والاخبــارية معــا) نسبة ٤ر٤٩٪ من زمن البث (١٩٧٧) وتستقبل بنســبة ٥ر٣٢٪ بينما البرامج الترفيهيــة تبث بنسبة ٨ر٣٨٪ من اجمالى زمن البث ، وتستقبل بنسبة ٢ر٧٠٪ (٢)، وهذا يعنى أن المسئولين والمشاهدين يعيش كل منهم فى واد . الا أن هذا لا يعنى بالضرورة أن المسئولين لا يعلمون جيدا رغبات المشاهدين أو أن حلقة الاتصال مفقودة بينهم ، والدليل على ذلك الاجابة التى خرجت بها احدى الباحثات عن السؤال الذى وجهته الى العــاملين فى قسم الاخبار بالتليفزيون الفرنسى — « هل تشعر بأن ما تقــدمه يهم الجمهور الفرنسى ؟ » (٣) والاجابة :

— ١٦ اجابة بأن ما يقدمونه لا يهم المشاهدين .
— ٦ يهم المشاهدين الى حد ما .
— ٤ يهم المشاهدين .

وعلى الرغم من هذه الاجابات ، الا أن هؤلاء يستمرون فى تقديم ما لا يهم الجمهور من مواد لانه : « ... لا يجب أن نلبى حاجات

1. Guy MILLIARD. — «Récits documentaires et fictions documentées á la télévision», in, **La Fiction**, op. cit. p. 78.

2. Michel SOUCHON.— «La place de la fiction», art. cit., p. 139.

3. Denise BOMBARDIER. — **Le traitement de la politique étrangère dans les journaux télévisés de l'ORTF**. Thèse de 3e Cycle, Université de Paris II. Parue sous forme de livre portant le titre : **La voix de la France**. Robert Laffont S.A., Paris 1975, (p. 317 — 318).

الجماهير ... ويجب أن يتثقفوا رغم أنفهم ... » (١) كما يقول أحد المسئولين عن هذا الجهاز فى فرنسا .. ونحن وان كنا نختلف مع هذا المسئول فى هذا الرأى ، الا أننا لا نطالب بالغوغائية فى العمل الاعلامى بصفة عامة ، ولا فى التليفزيون بوجه خاص . ونتفق مع روستاند دوردان المدير السابق للقناة الاولى فى فرنسا ، عند الحديث عن الدور الوظيفى للتليفزيون ، بأن ذلك يتوقف على التوقيت : (فما بين الساعة الثامنة والعاشرة مساء للحكايات السعيدة (٢) امتدادا لدور الجدة وشهر زاد) . والموضوع ، نطرحه أمام الباحثين لمعرفة رأى المسئولين المصريين فى هذا الشأن ، بعد أن أثير على مستوى العالم ، وانقسم الجميع الى فريقين : الفريق الاول ومن أهم أفراده كلابر) (٣) الذى يرى صلاحية كل ما يعجب الجمهور ، أما الفريق الآخر الذى يهتم بالكيف أكثر من اهتمامه بالكم فانه يرى أن هناك مسئولية ثقافية وتعليمية للتليفزيون يجب أن تراعى قبل مراعاة رغبات وأذواق الجماهير . وقد نحى هذا الاتجاه كل من سولا بول ، وليوبوجار وهربر جانز (٤) ، وصاحبة هذه الكلمات (٥) .

---

1. Louis FOCHER.— «!Le rôle culturel de la radiodiffusion sonore et de la télévision», in, p. DESCAVES.— **Un siècle**.., op. cit, p. 101 — 102.

2. Cité in, Jacques THIBAU.— **La télévision, le pouvoir et l'argent. Calmann**— lévy, Paris 1973, P. 51.

3. KLAPPER.

4, Ethiel de SOLA — POOL, Leo BOGARD, Herbert GANS.

5. Enshirah EL SHAL.— **La responsabilité sociale de la télévision** .., th. d'Etat cit.

المبحث الخامس

تمهيـــــــــد :

فى هذا المبحث ، نتحـدث عن التليفـزيون المصرى فى اطاره العام ، الذى يستوجب معرفة ما يحدث فى الدول المجاورة ، وفى الدول المتقدمة ، وفى العالم الذى تنتمى اليه مصر : الدول النامية ، لقياس ما يحدث فيها بما يحدث عندنا .

لذلك خصصنا الصفحات الاولى من هذا المبحث للحديث عن التليفزيون فى الدول النامية بصفة عامة ، قبل أن نتكلم عن التليفزيون المصرى ، الذى نقارنه أيضا بالتليفزيون فى العالم العربى ، والدول الاسلامية ، وفى القارة الافريقية ... التى الى كل منهـــا تنتمى مصر .

أولا : التليفزيون فى الدول النامية :

عرفنا مما سبق أن التليفزيون بدأ ينتشر فى الدول النامية منـــذ عام ١٩٦٠ ، الا أن هذا لا يمنع من أن هناك دائما فجوة كبيرة بين توزيع أجهزة التليفزيون بين الدول المتقدمة والدول النـــامية ... فبينما يوجد ٣٥٣ جهازا لكل ألف شخص فى الدول الصناعية لا يوجـــد سوى ٢٩ جهازا فقط لكل ألف نسمة فى العالم الثالث .

والجدير بالذكر ، اننا نلمس تحسنا ملحوظا فى توزيع أجهـــزة التليفزيون بين العالمين فى احصائيات عام ١٩٧٩ ، فقد ضاقت الفجوة بينهما فى مجال حيازة أجهزة التليفزيون بنسبة ١٢٫١٧ الى واحـــد بعـــد أن كانت هذه النسبة عام ١٩٦٥ ، ٢٣ : ١ مما يجعلنا نتفـــاءل بامكان زوال هذه الفجوة فى يوم ما .

ولكن ، فى مجال عقد المقارنة بين عدد أجهزة التليفزيون فى العالم

النامى والعالم المتقــدم ، يجب أن نضع فى اعتبارنا عدة عوامل قد تؤثر فى تحديد نسبة التعرض لهذا الجهاز اذا نظرنا الى النقـــاط التالية :

— عدد الافراد فى الاسرة الواحدة يختلف اختلافا كبيرا فى الدول المتقدمة عنه فى الدول النامية (١)٠

— لم يصبح التليفــزيون حتى الآن جهازا شخصيا — وخاصــة فى الدول النامية حيث لا تسمح الدخول المتواضعة بأن نتصــور أن المشاهدة يمكن أن تتم بصورة فردية ٠

— فى الدول النامية لا تنحصر مشاهدة برامج التليفزيون على أفراد الاسرة الواحدة ، فان الاسر التى تقتنى جهاز اســـتقبال تفتح أبوابها لاستقبال الاقارب والجيران والاصدقاء والزملاء ممن ليس لديهم التليفزيون ، ويرغبون فى مشاهدة البرامج ٠٠ بل ان الأسر التى لديها جهاز قد تستضيف هؤلاء لمشاهدة سهرة تليفزيونية ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن الموقف الحـــالى بالنسبة للدول العربية أفضل بكثير بالنسبة للوضع فى دول ناميـــة أخرى لاننـــا يجب ألا ننسى أن من بين الدول العـــربية توجد دول البـــترول الغنية ٠

١ — خصائص التليفزيون ووسائل الاعلام الاخرى فى الدول النامية :

بدخول الدول النامية عصر التليفزيون منذ سنة ١٩٦٠ ظهرت بوادر حرب خفية ٠ ففى هذا التاريخ كانت كثير من الدول الناميـــة

---

(١) انشراح الشال ٠ — « دراسة مورفولوجية للأسرة المصرية » **الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقـــافى** ٠ مكتبة نهضـــة الشرق ٠ ١٩٨٥ ٠

اما مستعمرة ، أو تحت سيطرة أجنبية ، أو خرجت توها من تحت نير الاستعمار ، مما يشير الى عدم استقرار هذه الدول والى ضـــعفها بالقياس بالدول المتقدمة •

ويمكن القول ان « الغــزو » الاجنبى عن طريق البرامج : من مسلسلات وحلقات — على الاقل من وجهـــة نظرنا الخاصـــة — دليـــل على عجـــز هذه الدول ، كما يشير أيضا الى تبعيتها لقـــوى أجنبية وهو استعمار « ثقاف » جديد قادم من بلاد العم ســـام اذا أردنا التعبير عن أفكارنا بصراحة ودون أى مواربة •

فاذا كانت أمريكا لم « تسعد » يوما باستعمار سياسى كبعض الدول الاوربية ، وفشلت ف الاحتلال العسكرى ف فيتنـــام ، فانها عن طريق التليفزيون والسينما استطاعت أن تثبت وجـــودها كقـــوة مستعمرة • صورة جديدة من صور الاستعمار ، وهو ما أطلقنا عليه اسم استعمار عن طريق « الكوكا » : Coca-colo..nise (١) •

٢ — التفـــوق الامريكى ف مجال التليفزيون :

يمكن تفسير التفوق الامريكى ف مجال التليفزيون وفنـــــونه (عدد الشبكات وعدد قنوات التليفزيون وعدد ساعات البث والخبراء والباحثين والبرامج •••) تحت ضوء عدة عوامل أهمها :

— قدم ظـــــاهرة السينما الامريكية التى وضعت استوديوهاتها وكوادرها تحت تصرف التليفزيون •

— استقرار الولايات المتحدة ف بداية عهد التليفزيون • فقـــــد اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعيدا عن أراضيها (ونحن نقصد هنا ميدان المعركة نفسه) •

---

1. Enshirah EL SHAL.— **La responsabilité**.. th. cit. p. 283.

— ازدهرت البحوث الخاصة بالعلوم الانسانية فى أمريكا لتوافر الامكانيات •

— ساعدت الحكومة الامريكية وشجعت تطوير البحوث الخاصة بالتليفزيون وقامت بالانفاق عليها (١) •

وهكذا ، ساعدت البحوث ، مع استقرار الدولة ، والخبرة الطويلة فى مجال السينما ، فى أن تتقدم أمريكا فى مجال البرامج التى امتازت بالوفرة وبالجودة ، فى استوديوهات مجهزة ومتطورة ، بالاضافة الى وجود ممثلين وفنيين وخبراء لهم خبرتهم وشهرتهم العالمية (٢) • وقد أدت وفرة الانتاج الامريكى الى تقديم مواد بأسعار متهاودة مما يسمح بتوزيع هذه البرامج فى كل مكان فى العالم ، ويتم ذلك أحيانا فى شكل هبات • وتقوم حاليا ١٦١ شركة انتاج لبرامج التليفزيون فى أمريكا بتوزيع ٢٠٠٠٠٠ ساعة من البرامج سنويا على مستوى العالم كله (٣) ،وتحتل أمريكا بذلك المرتبة الاولى فى توزيع برامج التليفزيون تليها انجلترا التى توزع ٣٠٠٠٠ ساعة ثم فرنسا ، ثم ألمانيا الاتحادية ثم اليابان •

ويظهر التفوق الامريكى أيضا فى مجال الاخبار حيث يشير المسئولون والمتخصصون الى أن نسبة التدفق الاخبارى من الدول الرأسمالية بصفة عامة ، ومن أمريكا بصفة خاصة ، الى الدول النامية تزيد ١٢ مرة أكثر من الاتجاه العكسى (من الدول النامية الى الدول الرأسمالية) (٤) •

---

1. Jacques MOUSSEAU.— «Les enfants et la télévision», in, **Communication et languages**, No. 30, 1976 p. 100.

(٢) انشراح الشال . — **الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية** دراسة فى شبكات التليفزيون . دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ .

3. **Les mass media en URSS**. Principes, expérience, 1979, p. 39.

4. idem.

ووفقا لتقرير لجنة ماكبرايد MacBRIDE يؤثر هـذا التدفق « اللامتكافىء » على الثقـافة الوطنية فى الدول النامية ، فان الادباء فى هذه الدول والموسيقيين ، وكاتبى السيناريو وغيرهم من فنـانى الشاشة الصغيرة سوف يعانون من هـذه البرامج المستوردة التى تحتل المركز الاول ليكونوا هم فى الصف الثانى • واذا حاول هـؤلاء الوطنيون تقليد البرامج الاجنبية ، فان ذلك لن يغير من الوضـع فى أى شىء ، لانهم سيقومون عنـدئذ بتقـديم القيم الاجنبيـة وبصورة مشوهة (١) •

وتواجه الدول النامية (عند اعـداد برامج التليفزيون) عـدة مشاكل من نوعيات مختلفة : مادية وتقنيـة وفنية •• وقد يفسر ذلك رجوع هذه الدول الى المصدر الاجنبى للاستعانة بالبرامج الجاهزة المستوردة لبثها على جماهيرها •

وهذه المشكلة — البحث عن البرامج الجاهزة — ليست خاصـة بالدول النامية فقط ، بل هى على المستوى الدولى •• فأينما نذهب ، يمكننا أن نتابع المرأة الحـديدية ، وآنسـات شارلى والرجل الذى يساوى المليار ••• وكلها تعكس صورة (كليشيه) «Stéréotype» لشخصية البطل فى نهاية النصف الثانى من القرن العشرين •

كذلك تقدم لنا حلقات دالاس وبيتون بليس وبيرى ماسـون وغيرها من الحلقات الامريكية — فى أى مكان على سطح الارض — نماذج من الحياة الامريكية المادية سواء كان المشـاهد تحت خيمـة فى الصحراء العربية ، أو فى كوخ على مياه نهر فى جنوب شرق آسيا أو بين أشجار الغابات فى مجاهل أفريقيا •• ولقد قدر عدد المشـاهدين

---

1. MacBRIDE, op. cit. p. 203.

للمسلسل الامريكى Bonanza الذى تم توزيعه عالميا بحوالى ٣٥٠ مليون مشاهد فى ٥٩ دولة (١) •

وعندما تنتهى الدراسة التى تجرى حاليا على مسلسل دالاس ، سوف لا نفاجأ اذا فاق عدد المشاهدين هذا الرقم بعشرات الملايين • فقد احتلت مشاهدة جى آر J.R. EWING أعلى معدل للمشـــاهدة فى نوفمبر سنة ١٩٨٠ • وتشير مؤسسة نيلسون للأبحاث أن هنـــاك أكثر من ٤١٫٤ مليون منزل تشاهد هذه الحلقات التى تســـوقها محطـــة CBS (٢) بحوالى ٥٠٠٠٠٠ دولار للدقيقة الواحدة (٣) •

ومن المعروف اقتصاديا أن ما يمكن الحصول عليه دون مقـــابل كبير وبسهولة تامة ، ليس دائما هو أفضـــل الموجود • الا أن الدول النـــامية التى تضطر لشراء أو لاستئجار البرامج بأســـعار متهاودة تجد نفسها أحيانا مضطرة لبث بعض البرامج التى تقدم لها فى صورة « هدايا » ، والتى لا تكون صالحة للعرض لاسباب متعـــددة ، اللهم الا فى ملء الفراغ على خريطة البرامج دون أى نفقات مادية تذكر (٤) •

وغنى عن البيان طبعا أن الدول الناميـــة تلجأ الى أمريكا لكى تحصـــل على البرامج ، كما أنها أحيـــانا تلجـــأ الى اليابان التى يقال

---

1. Wilson DIZARD ___ «Television, A World Views» Syracuse University Press, New York, 1966, paraphrasé in W. SCHRAMM and D. LERNER (ed.).— **Communication and Change.** 1976, op. cit. p. 231.

2. Culumbia Broadcasting System.

3. Warren AGEE, Philip AULT, EDWIN EMERY. ___ **Introduction to Mass Communication.** Seventh Edition. Harper & Row

4. Fredrick T.C. YU ___ « Research Priorities in Development Communication», in, SCHRAMM & LERNER, p. 231.

عنرا انها مستعده لتقديم كل التسهيلات الممكنة للدول النامية فى مجال التليفزيون (١) •

هذا « الغـزو » الاجنبى ، اذا كان من الممكن استخدام هذه الكلمـة الآن دون حرج ، لا يتوقف عند هذا الحد بالنسبة للدول الناميـة — فبالاضـافة الى هـذه البرامج المحلية ، يتصـور انتـونى سميث Anthony SMITH أن الغزو يمكن أن يحدث دون أن نشـعر عندما يتم تدريب الفنيين فى أمريكا وفى الدول المتقـدمة صناعيا ، بل وعندما تمد هذه الدول العـالم النامى بالمعدات اللازمة لمثـل هذه الصناعة (٢) •

ويهمنا العامل البشرى فى هذا الموضـوع ، حيث يؤكد تانستول Jeremy Tunstall ما قاله سميث ويضيف ان هؤلاء الاشـخاص الدين يدربون فى الدول المتقدمة يواجهون أبناء جلدتهم فى أوطـانهم بكل ثقل ثقافتهم الاجنبية التى يحملونها • فاذا كان على هؤلاء أن يقـودوا بلادهم فى طريق التنميـة ، فانهم — بثقافتهم الاجنبية — سيسلكون دروبا خاطئة • فان الافكار التى أصبحوا يؤمنون بهـا تتعـارض مع ما هو سائد بين جماهيرهم ، ويؤثر تكوينهم الفكرى والثقافى على ما يقدمونه من برامج يدعون أنها « وطنيـة » هـذا اذا لم يستمروا فى تقديم المواد الاجنبية صراحة (٣) •

---

1. Koto HIDETOSHI. — «Global Instantaneousness and Instant Globalism, The Signification of Popular Culture in Developing Countries», in, SCHRAMM and LERNER, ibid p. 253 — 258.

2. Anthony SMITH.— **The Geopolitics of Information. How Western Culture Dominate the World.** Faber and Faber Limited, Great-Britain, 1980, p. 148.

3. Jeremy TUNSTALL.— **The Media are American. Anglo-American Media in the World.** Constable, London, 2d edition, 1978, p. 212.

— Anthony SMITH.— **The Geopolitics of Information..** op cit., p. 148.

وتأصيلا على ما سبق ، يمكننا أن نطرح الفرض التـــالى : التليفزيون فى الدول النامية يعرض دائما قيما أجنبية فى برامجـه ، سواء كان ذلك عن طريق البرامج المستوردة أو من خلال تلك البرامج التى تسمى بالبرامج الوطنية أو المحلية ، وخاصة البرامج ذات المضمون الترويحى • ولقد استندنا فى صياغة هذا الفرض ، كما لمس القارىء ، على ما كتبه بعض المهتمين بهذا الموضوع ، بالاضافة الى ما شاهدناه خلال زيارتنا لبعض الدول ومتابعتنا لبرامجها على الشاشة الصغيرة • وعند فحص برامج التليفزيون المصرى فى عام ١٩٨١ أثبت التحليـل الذى قمنا به صحة هذا الفرض مؤيدا بذلك عدة محاولات قمنـا بها خـلال عشر سنوات من البحوث المستمرة ، وهذا يجعلنا نرفع اصبع التحـذير لكى ننبـه المسئولين الى ضرورة وضع حـد لهذا الموضوع لخطورته •

والخطورة التى تكمن هنا ترجع الى أن الفرد فى الدول النامية — وهو فى الغالب انسان أمى ريفى •• اذا ما حاولنا تقـديم صـورة « كليشـــيه » Stéréotype له — هذا الانسان سوف يشـعر فى يوم ما بأن التليفزيون قد أهمله ، وأنه لا يهتم بمشاكله ، ويعتقد هذا الانســان البسيط أن هذا الجهـاز يمثل السلطة فى بلاده ، وهو يضفى مكانة على الاشخاص وعلى الاشياء التى تظهـر على الشاشة (وقد استغلت الاعلانات التجارية فى الخارج هذه النقطة وأصبحنا نقـرأ على منتجاتها جمـلة « شـوهد على الشـاشة » (Vu á la télé)) وأن هذا المجتمع يتجاهل ، ولا يشعر به أى أنه يعيش على هامش الحياة فى هذا المجتمع مما يجعله يفقد الدافـع للمساهمة فيه Participation ، فلا يتعايش معه ولا يندمج فيه • وهذا يعنى أننا سوف نجد أنفسنا فى يوم ما أمام مجتمع فقد أهم خصـائصه (أو أهم مقـوماته) وهى الانسـجام والتجـانس «Integration» وقد يدعونا هذا الى طرح عدة قضـــايا جديرة بالدراسة الواعية المتعمقة عن التأثير السلبى لوسـائل الاعلام على مستوى المشاركة السياسية •

٣ — التأثير السلبى لوسائل الاعلام : الوظائف غير المرغوبة على المستوى السياسى بالنسبة للبرامج :

(أ) الشــك الســياسى : «Cynisme»

ويظهر هذا العامل فى احتقار العرف والتقاليد والرأى العــام والاخلاق الشائعة ، وتسفيه العمــل السياسى وعدم الثقة فى رجال الحركة السياسية وفى أولى الامر ..

(ب) اللامبالاة أو الخمــول : «Apathie»

ويتمثل فى عدم الاهتمام بالافراد أو المواقف أو الظواهر وعدم الاعتراف بالمسئولية الشخصية وتحملها ، وفقدان الشعور والحساسية بعواطف الآخرين ..

(جـ) الاغــتراب : «Anomie»

وهو شعور الفــرد بأن المجتمع والســلطة لا يحســان بــه ولا يعنيهما أمره ، وبأنه لا قيمة له فى هذا المجتمع ، ويؤدى ذلك الى فقدان الفرد الحماس والدافع للمشاركة الفعالة .. وقد ربط بعض الباحثين بين الاغتراب وبين الشخصية المتسلطة (١) مما قد يفسر ظهور بعض الجماعات المتطرفة على مستوى العالم فى النصف الثانى من هذا القرن ...

---

1. Leo SROLE.—«Social Integration and Certain Corrollaries: An Exploratory Study», p. 709 — 716, in, American Sociological Review, 21, 1956.

(د) التبعيــــة : «Alienation»

وهذا المفهوم يعنى فقدان الفرد لحريته ، لذاته ، بسبب عوامل خارجية (اقتصادية — سياسية ..) ، فهو بذلك رد فعــل لحــالة الاغتراب الســابقة عندما يعتقــد الفرد أن السياسة أو الحكومة فى مجتمعه يسيرهما آخــرون لصالح بعض على أسس وقواعد غير عادلة ، فتكون النتيجة أن يصبح الفرد أسيرا وعبدا لبعض الافكار الخاطئة ، هذا اذا لم تأسره التيارات المعادية لقيم المجتمع والتى يمكن أن يتبناها الفرد ويتبعها دون وعى ..

٤ — مجابهة الغزو الاجنبى فى تليفزيون الدول النامية :

اذا كنا تكلمنا هنا عن السيطرة الاجنبيــة — وخاصة الامريكية على ســــوق البرامج الترويحية مثل المسلسلات والافلام وغيرها ، فلقد أكد مؤلف كتاب **The Media are American** أنه يكفى لتأكيد سيطرة القيم الامريكية على الاخبار أيضــا أن نعــرف كيف تعمل وكالات الانباء العالمية . فعلى الرغم من وجــود وكالات وهيئات يمكنها أن توفر تبادل الاخبار بصورة متوازنة ومتكافئة بين الدول ، الا أن تدفق الاخبار — كما سبق أن أشرنا — يتم فى اتجاه واحد (١) .

وقد شغلت ظاهرة تدفق الاعلام فى اتجاه واحد باحثين فى دول كثيرة ، وأكدت مجموعة من الباحثين فى فنلندا وجود هذه الظاهرة (٢) التى اهتمت بدراستها أيضــا سيمون كورتكس فى فرنســا ، والتى تطالب بأن يبقى التليفزيون نافذة مفتوحة على العالم ، لان ذلك — كما تقول — يساعد على تدعيم التفاهم العالمى (٣) .

---

1. J. TUNSTALL.— op. cit., p. 219.
2. K. NORDENSTRENG, VARIS.— **La télévision circule-t-elle a sens unique ?** Etudes et Documents d'Information, No. 70, UNESCO, Paris, 1974.
3. Simone COURTEIX.— **Télévision sans frontières.** op. cit.

ولكننا نرى أن هذا التفاهم العالمى — وكم هى أمنية جميلة — والذى تنادى به سيمون ، لا يمكن أن يتم عن طريق التليفـزيون ، ما دام التدفق الاعلامى يسير فى اتجاه واحد • بل ان هذه البرامج الاجنبية — اذا افترضنا صحة الفرض الذى طرحناه سابقا — لا تساعد على تدعيم التفاهم بين أفراد الوطن الواحد ، وهو الذى يجب أن يشغل علماء الاجتماع بالدرجة الاولى فى الدول النامية •

وهنا نطرح فرضا يقوم على أن التليفزيون فى دول العالم الثالث يخدم الصـفوة التى تعيش فى المدن ، وهـو فرض أثبتت صـحته الدراسات السابقة التى قمنا بها (١) • وسوف يستمر هذا الوضـع طويلا حتى تستطيع هذه الدول أن يكون لها جهـازها الكامل الذى ينطلق من مفاهيم وطنية •

واذا كنا نطـالب بحاجة هـذه الدول الى وكالاتها الخاصـة للأنباء ، وفريق متمرس فى هذا المجال ، فان الدول النامية فى حاجة الى الوقت الكافى لاعداد المؤلفين والممثلين والفنيين والكوادر •••• وكل ذلك يتطلب تقنية عالية متطورة تتوقف على توافر حـد أدنى من المواد الطبيعية والمالية والكفاءات Infrastructure التى لا تتوافر فى بلاد كثيرة من دول العالم الثالث •

وفى حالة نجاح احدى الدول النامية فى تطوير خدماتها التليفزيونية فانها لن تصل الى مستوى منافسة الدول المتقدمة صناعيا ، التى تتقدم هى أيضا ولكن بخطى أوسع وأسرع — أى أن الفجـوة ستستمر ان لم تتسع بين العالمين ، لان كل خطـوة تتقدمها الدول النامية تقـابلها خطوات من قبل الدول الصناعية التى تتوافر فيهـا كل المقومات اللازمة للتقدم فى الطريق الصحيح ابتداء من الاسـتقرار

---

(١) ويؤكد ذلك افتتاح القنـاة الثالثة فى مصر فى ٦ اكتوبر ١٩٨٥ لكى تخدم سكان العاصمة وضواحيها أولا حتى تتم التغطية الجغـرافية على مراحل .

السياسى الى المستوى التقنى المتطور • الا أن هذا يجب ألا يجعلنا نيـــأس من مقاومة الطوفان • وما نقصـــده من ذكر هذه الحقيقة هو أن نعرف تماما الجهد الذى يجب أن نبذله اذا كنا فعـــلا ننشد التقدم والتطور • والحل موجود بين أيدينا ، وسنضرب لذلك مثالا يمكن الاستعانة به فى شتى المجالات المتعلقة بالتنمية ، والمثال الذى نطرحه هنا ، نابع من الموضوع الذى نناقشه والخاص بالغزو الثقافى الاجنبى فى برامج التليفزيون •

فلكى تستطيع الدول النامية مجابهة هذا الغزو الثقافى من قبل الدول الصناعية — وخاصة أمريكا — والذى يهدد الثقافة الوطنية ، كان على هذه الدول أن توحد جهودها • ولقد ظهرت البادرة الاولى فعلا عام ١٩٧٦ عندما أصبح لدول عدم الانحياز وكالة للأنباء خاصة بها بهدف توسيع حجم تبادل الاخبار • ولكن ، مؤلف كتاب وسائل الاعلام فى روسيا (والذى أصدرته وكالة نوفستى للأنباء) يقول ان العمل فى هذه الوكالة الجديدة لدول عدم الانحياز تواجهه صـــعاب كثيرة على المستوى التقنى والسياسى (١) •

والمشاهد ، أن وكالات الانبـــاء لا تنتشر فى الدول النامية • فحتى الآن يمكننا حصر الدول الافريقية التى تمتلك وكالة للأنبـــاء • الا أن هذه الوكالات ذات نشاط محدود جدا • فليس لهذه الوكالات الافريقية مندوبون خارج الحدود الاقليمية • أى أنها تعتمد تماما — كما يقول سميث — على وكالات الانباء الغربية (٢) ، وهذا يعنى أن الانباء المتبادلة بين الدول النامية تمر من خلال الوكالات العالمية « الامبريالية » التى تترك بصماتها على المواد المتبادلة • ونحن نتفق فى هذا الرأى مع بعض الباحثين الذين يفترضون أن وكالات الانباء

---

1. **Mass media en URSS.** op. cit. p. 40.
2. Anthony SMITH.— **The Geopolitics of Information.** op. cit., p. 87.

العالمية ، التى تتخذ مقرها الرئيسى فى احدى الدول الكبرى ، تصبغ الاخبار التى تقـوم بتوزيعها باللون السياسى للدولة التى تعمـل داخلها ، والتى تساندها بدرجة أو بأخرى (١) •

وقد تسنح الظروف لاحـدى وكالات الانبـاء بتغطية بعض الاحداث كما هو الحال مثلا بالنسبة لمحاولة الاعتداء على بابا الكنيسة الكاثوليكية فى عام ١٩٨١ ، وعندئذ تضطر أجهزة الاعلام المختلفة — محطات التليفزيون والراديو والصـحافة — الى تبنى الاخبار التى تصلها بواسطة هذه الوكالة مباشرة فى حالة ما اذا كانت هذه الاجهزة مشتركة فى خدماتها ، أو بطريق غير مباشر بواسطة وكالة أخـرى ينتمون اليها ، على الرغم من رغبـة هذه الاجهزة وحسن نيتها فى البقاء على الحياد الذى نفترضـه بالنسبة للاذاعة والصـحافة ووكالات الانباء فى الدول النامية •

ويربط مؤلف كتاب Mass media en URSS بين انشـاء وكالة أنباء دول عدم الانحياز وبين ظهور « لجنة حرية الصحافة العـالمية » التى يتشكك الكاتب فى نواياها ، خاصة أن مقـرها الرئيسى فى أمريكا حيث توجد المؤسسات الصحفية الكبرى والشبكات التليفزيونية (٢) •

أما عن وكالات دول عدم الانحياز فانها تحاول دائما أن تجمع جهودها من أجل تعاون أفضل وخاصة فى مجال الاخبار • والدليل على ذلك ، اللقاء الذى تم بين رؤسـاء هذه الوكالات فى دمشق فى الفترة من ١٤ — ١٦ ابريل عام ١٩٨٠ وكانوا يمثلون ٢٢ دولة : ١٥ دولة عربية وسبع دول من أمريكا اللاتينية ، واشترك فى هذه الندوة

---

1. Henri AMBLES et als.—**Information et animation socio—culturelle.** Editions Universitaires collection : Citoyens, Paris, 1972, p. 42 — 43.

2. **Mass media en URSS.** op. cit., p. 41.

بعض المراقبين من الجامعة العربية ووكالات الانباء (١) •

وقد أوصى المجتمعون فى هذه الندوة بضرورة التعاون الثنائى بين وكالات الانباء فى الدول العربية وفى أمريكا اللاتينية ، كما طالبوا أيضا بالاهتمام بانشاء وكالات وطنية فى الدول التى ليس لديها وكالات رسمية • ويبدو أن دول العالم الثالث قد فهمت أهمية الاعلام وبدأت تطالب بتحقيق تبادل عادل ومتكافىء فى هذا المجال ، وهذا من حقها ، كما أن من واجبهـــا الآن أن تضع حـــدا لمـــا أطلق عليه الرئيس الفنلندى ايرهوكيكونين Eurho KEKKONEN اسم « امبريالية الاعلام »(٢) والذى يعنى هنا سيطرة وكالات الانباء وشركات الراديو والتليفزيون العالميـــة على الحيـــاة الثقافيـــة فى الدول النـــامية • ونحن نتفق تماما مع أعضاء ندوة دمشق فى أن وسائل الاعلام من الصعب أن تتصف بالموضوعية وبالحياد حتى لو ادعى أصـــحابها والعاملون بها ذلك •

ويقوم مؤلف كتاب « وســـائل الاعلام فى روسيا » ان الدول الامبريالية قد انتهزت فرصـــة ضعف وســـائل الاعـــلام فى الدول النامية لكى تتغلغل فى هذه البلاد وتحقق بذلك نصرا أيديولوجيـــا بفرض اعلامها على دول أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا • ويتهم مؤلف الكتاب المذكور اعلام الدول الغربية بأنه يتسبب فى افســـاد الحياة العالمية ، وبأنه يعطى صورة مشوهة للأحـــداث التى تقع فى الدول الاشتراكية وفى دول العالم الثالث • ويعطى الكاتب مثالا على ذلك ما تقوم به وكالات الانباء الاربع : رويتر ووكالة الانبـــاء الفرنسية واليونيتدبرس والاسوشيتدبرس التى تقوم وحدها بنقل

---

1. **Decision and Recommandations of the First Arab-Latin American Symposium for News Agencies Directors.**— April 14—16, Damascus 1980. Ed. Beirut, 1980, p. 5 — 9.
2. **Mass media en URSS.** op. cit., p. 37.

٤٥ مليون كلمة يوميا فى ١١٠ دولة فى العالم (١) (والغريب هنا أن المؤلف لم يشر لا من قريب ولا من بعيد الى دور وكالة تاس السوفيتية للانباء فى مجال تبادل الاخبار) والمشاهد أن ٧٠٪ من الاخبار التى تنشرها الصحف فى أمريكا اللاتينية مصدرها وكالات الانباء الامريكية وخاصة اليونيتدبرس والاسوشيتدبرس •

ولا يختلف الوضع بالنسبة للتليفزيون عن الصحافة المكتوبة • فتشير احدى الدراسات الى أنه فى عام ١٩٧٠ كانت الولايات المتحدة مصدرا لثلاثة أرباع التليفزيون فى العالم • وتشكل الولايات المتحدة مع أوربا المصدر لتسعة أعشار (٩/١٠) هذه المواد • وقد ساعد استخدام الاقمار الصناعية فى مجال التليفزيون فى زيادة حدة التدفق الاعلامى فى اتجاه واحد (٢) •

وتشير الاحصائيات كذلك الى أن هناك حوالى أربعين دولة من الدول النامية تفتقد وجود وكالة وطنية للانباء بها • كما أن هناك ثلاثين دولة لا تستطيع انتاج مواد تليفزيونية ، ولا أن تقوم ببثها ، لان ذلك يتطلب مستوى تقنيا لا يتوافر فى هذه الدول ، كما يتطلب أيضا حدا أدنى من « الموارد البشرية والمادية » ودرجة من الاستقرار داخل الدولة •

وفى البلاد العربية ، تشير الدراسات الى وجود حوالى عشر وكالات للانباء ، يمكن أن نقول ان خمسا منها فقط تقوم بنشاط عالمى • ومن بين وكالات الانباء العربية النشطة يمكننا أن نذكر وكالة أنباء الشرق الاوسط ومقرها الرئيسى فى القاهرة • ولوكالة أنباء الشرق الاوسط مندوبون فى حوالى احدى عشرة دولة عربية فى العواصم الاوربية •

1. **Mass media en URSS**, op. cit. p. 37 — 39.
2. HULTEN, paraphrase in BOURGES. **Décoloniser l'information**. op. cit., p. 46 — 47.

وهناك اتحاد يضم الدول العربية وينظم عملية تبادل البرامج بين الدول الاعضاء • ويرجع ميلاد اتحاد الاذاعات العربية الى ٩ فبراير عام ١٩٦٩ عندما أعلن ممثلو هيئات الاذاعة والتليفزيون المجتمعـون فى مدينة الخرطوم عن « أمانيهم فى أن تلتقى بلدان العالم العربى لما فيه خير العمل الاذاعى وأن تتوحد جهودها فى تنسيق هـذا العمل بما يكفل الارتبـاط الوثيق بين كل اذاعة وأخرى بما يحقق الوحدة الاذاعية المنشودة على صعيد الوطن العربى » •

وقد اتخذ اتحاد الاذاعات العربية مقره الرسمى فى القـاهرة حتى زيارة الرئيس السادات للقدس • ويمكن تفسير ذلك ، اذا عرفنا أن هذا الاتحـاد يتبع جامعة الدول العـربية التى تتباه وتشرف عليه •

وبعض الدول الاعضاء فى اتحاد الاذاعات العربية A.S.B.U. (Arab States Broadeasting Union) أعضاء فى منظمات وهيئات عالمية واقليمية ، مثل اتحاد الاذاعات الافريقية ، واتحـاد الاذاعات الآسيوية ، واتحاد الاذاعات الاوربيـة •• ويشاركون من خـلال الخـدمات التليفزيونية فى نشـاطات هذه الاتحـادات ، كما هو الحال بالنسبة للتليفزيون مع شبكة اليوروفيزيون التابعـة لاتحاد الاذاعات الاوربية • كما تشترك بعض هيئات الاذاعة فى دول أخرى غير عربية فى اتحاد الاذاعات العربية كأعضاء منتسبين (١) • ويضم الاتحاد حاليا عضوية كل من :

— المملكة الاردنية الهاشمية •

---

(١) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبـارية فى التليفزيون المصرى لدى سكان القاهرة** . مع دراسة ميدانية على عينة مختـارة من السكان . رسالة ماجستير غير منشـورة ، كلية الاعلام جامعـة القاهرة عام ١٩٧٦ .

— دولة الامارات العربية المتحدة •

— دولة البحـــرين •

— الجمهـــورية التونسية •

— جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية •

— المملكة العربية السعودية •

— الجمهورية العربية السورية •

— جمهورية السودان الديمقراطية •

— جمهورية الصومال الديمقراطية •

— الجمهورية العـــــراقية •

— سلطنة عمــــان •

— فلسطين •

— دولة قطـــر •

— دولة الكويت •

— الجمهورية اللبنـــانية •

— الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية •

— جمهورية مصر العربية •

— المملكة المغــــربية •

— جمهورية موريتانيا الاسلامية •

— الجمهورية العربية اليمنية •

— جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية •

وكاعضـــــاء منتســــبين :

— **هيئة الاذاعة والتليفزيون الاسبانية .**

— **هيئة الاذاعة الباكستانية .**

— **هيئة التليفزيون الباكستانية .**

— **هيئة الاذاعة والتليفزيون الفرنسية .**

— **هيئة الاذاعة والتليفزيون اليوغسلافية .**

ثانيــا : التليفــزيون فى مصر :

سبق أن ذكرنا أن التليفزيون المصرى قد بدأت برامجه بصفة منتظمة مع أعياد ثورة يوليـــو عام ١٩٦٠ (١) وفيما يلى أهم المؤشرات المورفولوجية الدالة على انتشـــار التليفزيون فى مصر نبدؤها بالحديث عن محطات الارسال ، ثم نتناول بالدراســة أجهــزة الاستقبال . وسوف نعتمد فى جزء من هذا الموضوع على آخر تقـــرير أصـــدرته يونسكو فى بداية الثمانينيات وضمنته احصـــاءات عام ١٩٧٧ . ونعترف هنـــا بأن الارقام التى سنذكرها قديمة وقد لحقها تغييـــر كبير ، فنحن فى عام ١٩٨٥ ، وسبع ســـنوات من عمر التليفزيون يحدث فيها الكثير ، ولكن لنا العـــذر فى ذلك عند تقديم دراســـة مقارنة لواقع التليفزيون المصرى بالنسبة لغيره فى بلاد أخرى حيث نضطر والحالة هذه الى الرجوع الى الاحصاءات المعتمدة التى يمكن الارتكاز عليها ، والتى توافينا بها يونسكو .

١ ــ محطـــات الارســـال والتقـــوية :

تشـــير احصائيات يونسكو الى أنه فى عام ١٩٧٧ كان فى مصر

---

(١) بدأت التجارب فى ٣ مايو سنة ١٩٥١ وقد بدأ التليفـــزيون ارساله المنتظم على قناة واحدة فى ١٩٦٠/٧/٢١ ، وبعد ســـنة بدأ الارسال على القناة الثالثة فى ٦١/٧/٢١ ، ثم قناة ثالثة الغيت بعد ذلك وقد تم تشغيلها من جديد فى ٦ أكتوبر ١٩٨٥ .

٢٧ محطة ارســـال تليفزيونى (١) تخدم مساحة ١٠٠١٫٤٤٩ كيلو متر مربع • بينما كان فى اسرائيل ٤٠ محطة لتغطى مساحة ٢٠٧٧٠ كيلو متر مربع (٢) (دائما وفقا لاحصاءات يونسكو ولنفس عام ١٩٧٧) • وفى دولة آخرى مثل ايطـــاليا ، كان هناك ١٣٧٩ (٣) محطة ارســـال لخدمة ٣٠١٣٢٥ كيلومتر مربع بينما لم يتعـــد عدد محطات الارسال فى كل الوطن العربى عام ١٩٧٩ مائة وتسعين محطة ، وفى كل قارة أفريقيـــا لم يكن يوجد ســـوى ٢٥٠ محطـــة (عام ١٩٧٧) (٤) ، والجدول التالى يقارن بين المحطات السابق ذكرها :

جدول رقم (٩)

انتشار محطات الارســـال التليفزيونى
فى بعض الدول عام ١٩٧٧

الدولة	عدد محطات الارسال التليفزيونى لكل ١٠٠٠كم مربع(٥)
مصـــــر	٠٫٠٢٧
اسرائيل	١٫٩٣
ايطـــاليا	٤٫٥٨

---

(١) وصل عدد مراكز الارسال حاليا الى ٣٠ محطة (المصدر : الادارة العـــامة لانتشـــار الموجات ، اتحاد الاذاعة والتليفـــزيون) انظر : انشراح الشال . — **الاعـــلام الدولى عبر الاقمـــار الصناعية** . مرجع سابق . الملحق الخاص بمحطات الارسال .

(٢) تجدر الاشارة مرة اخرى الى اننا اعتمدنا تماما على الارقام التى ذكرتها يونسكو **لعام ١٩٧٧** .

(٣) من بينها ٣١ محطة للموجات المترية وتســـع محطات لموجات ديسيمترية (انظر انشراح الشال . — **تكنولوجيا الاتصـــال** الجزء الاول : **موجات الراديو** ، مذكرات غير منشورة ، كلية الاعلام جامعة القـــاهرة ١٩٨٤/١٩٨٥ .

(٤) من بينها ٨٥٥ محطة لموجات مترية و ٥٢٤ لموجات ديسيمترية .

(٥) انظر الاحصاءات الخاصة التى تنشرها يونسكو .

يشير الجدول السابق الى أن المساحة التى تغطيها محطـــات الارسال التليفزيونى فى مصر مساحة محدودة بالمقـارنة بما يحــدث فى دولة مجاورة مثل اسرائيل والتى لم يدخلها التليفزيون الا فى عام ١٩٦٧ بعــد سبع سنوات من دخوله الى مصر ، ومن الصعب أن نقارن الواقع فى مصر بما يحــدث فى دولة مثل ايطاليــا ، وأرقام الجدول الســابق أن هناك أماكن عديدة على خريطــة القطر المصرى لم يكن عن ركب بعض الدول المجــاورة ، وان كان هذا الوضع فى ســبيله الى التحسن •

فاذا عرفنا أيضا أن موجات التليفزيون موجات متناهية القصر ، لا يتعدى مداها ٥٠ كيلومترا (١) ، يمكن أن نستنبط من أرقام الجدول السابق أن هناك أماكن عديدة على خريطة القطر المصرى لم يكــن يصلها البث التليفــزيونى حتى عام ١٩٧٧ ، بل ونحن فى نهـــاية عام ١٩٨٥ ، يمكننا أن نستخلص عند تحليل مضمون تصريحــات المسئولين عن هذا الجهاز فى مصر ، بالاضافة الى ما ينشر فى الصحف فى بريد القــراء ، وما يذكره بعض سكان المناطق النائية من الدارسين فى كليــة الاعلام فى العام الدراسى ٨٤/١٩٨٥ ، أن الحال لم يتغير كثيرا ، أن هناك أماكن متفرقة على خريطة مصر لم يصلها ارســال التليفزيون المصرى حتى الآن ، وأن هنــاك مناطق لا يصلها البث التليفزيونى أيا كان مصدره ، ومناطق أخــرى لا يصلها الا برامج التليفزيون لدول مجاورة (٢) •• وخطورة ذلك نعرفها من دراســتنا للدور الوظيفى لوسائل الاعلام •

---

(١) وهى المشكلة التى نعيشها الآن مع القناة الثالثة الجديدة •

(٢) فقد اثبتت الدراسات أن فى امكان المشاهد المصرى أن يتابع على أرضه برامج التليفزيون التى تبثها كل من اسرائيل ولبنان والاردن، واليونان ، والمملكة العربية السعودية واليمن الشمالية وتركيا والكويت وعمان وايطاليا وقبرص ودولة الامارات العربية •

٢ — عدد أجهزة الا ستقبال وعدد الاجهزة لكل ١٠٠٠ نسمة فى مصر :

ذكرنا فيما سبق أننا سنعتمد على الارقام التى نشرتها يونسكو عام ١٩٨١ لاحصـــاءات عام ١٩٧٧ (١) ولكن نرانا هنـــا مضطرين أيضا الى ذكر الارقام الخاصة بتقديرات الحيازة التى نشرها قسم البحوث فى التليفزيون المصرى لعدة اعتبارات نشير اليها فيما بعد .

(أ) تقـــــديرات يونســـكو :

تشير احصاءات يونسكو الى أن عدد أجهزة الاستقبال التلفزيونى فى مصر عام ١٩٦٠ كان بمعـــدل جهـــــازين لكل ١٠٠٠ شخص . والجدول التالى يلخص انتشار التليفزيون وتطوره فى مصر منـــذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٧٩ وفقا لتقديرات يونسكو .

جدول رقم (١٠)

انتشار التليفزيون فى مصر

فى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٩ (١)

عدد اجهزة التليفزيون (بالآلاف)				عدد اجهزة التليفزيون لكل ١٠٠٠ شخص			
١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٨	١٣٠٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٨	١٩٧٩
٣٢٣	٥٢٩	١١٠٠	١٩٧٩	١١	١٦	٢٨	٣٢

(١) قد نرى فيما يلى أن يونسكو قد أعطت احصاءات اســنوات أخرى بعد ١٩٧٧ .. وفى هذه الحالة سيتم الاشارة الى ذلك .

(٢) يجب أن يتذكر القارىء أن الضريبة التى كانت مفروضـــة على تشغيل أجهزة التليفزيون (الرخصة) قد الغيت فى عام ١٩٧٢ وهذا يعنى أن الارقام التى وردت فى احصـــاءات يونسكو ما هى الا أرقام تقديرية تخضـع للصواب أو للخطأ . (صدر قرار جمهورى بفرض رسم سنوى قدره خمسة جنيهات على كل جهاز تليفزيونى فى الاقليم الجنوبى ، و ٥٠ ليرة على كل جهاز تليفزيونى فى الاقليم الشمالى .. ويضاعف هذا الرسم اذا أعد الجهاز لمشاهدة الجمهور بأجر أو بالمجـــان . انظر **جريدة الجمهورية** الاربعاء ٢٠ يولية ١٩٦٠ .

ولكى نفهم وضع أجهزة استقبال التليفزيون فى مصر تجــدر مقارنته بما هو قائم فى دول أخرى ، كما فعلنا بالنسبة لمحطـــــات الارسال والتقوية •

ولكننا سوف نتوسع فى مجال المقارنة هنا لكى يشمل ما يحدث فى أقاليم — أو مناطق بأكملها — والجدول التالى يلخص ما نــود الاشارة اليه •

جدول رقم (١١)

عدد أجهزة التليفزيون وعدد الاجهزة لكل ١٠٠٠ نسمة فى بعض الدول وبعض المنـــــاطق وفى قارة افريقيــا عام ١٩٧٩

المنطقة أو الدولة	عدد الأجهزة (بالمليون)	عدد الأجهزة لــكل ١٠٠٠ شخص
مصر	١,٣	٣٢
أفريقيا	٦,٧	١٥
أفريقيا بدون الدول العربية	٣,٣	٩(١)
الدول النامية	٦٤,٠	٢٩
فى الدول العربية (بمافيهادول البترول)	٦,٤	٤٢
الـكويت	٠,٥٤٠	٤٢٥
إسرائيل	٠,٥٨٠	١٥٣

تشـــير أرقام العمود الرأسى الخاص بعدد أجهزة الاســتقبال لكل ١٠٠٠ نسمة الى أن وضـــع التليفـــزيون فى مصر أحسن حالا

(١) بعض الدول الافريقية لم يدخلها البث التليفزيونى حتى منتصف عام ١٩٨٥ ، وفقـــا لمـــا يقوله أبناء هذه الدول العاملون فى مجـــال الاذاعة الذين حضروا دورة تدريبية فى معهد التدريب الاذاعى •

بمقارنته بما هو قائم فى القارة الافريقية التى تنتمى اليها مصر ، وفى الدول النامية •

ولكن ، يشير الجدول السابق أيضا الى أن انتشار أجهزة التليفزيون بين السكان فى مصر أقل من انتشاره بالنسبة لمجموع الدول العربية : (٣٢ لكل الف نسمة فى مصر مقابل ٤٢ لكل ألف نسمة فى مجموع الدول العربية) • وقد فسر ذلك بأن هذه الدول تضم دول البترول الغنية الذى وصل انتشار التليفزيون فى احداها — فى الكويت — الى ٤٢٥ جهازا لكل ألف نسمة ، بينما لم تصل هذه النسبة فى دولة أخرى فى المنطقة وهى اسرائيل الا الى ١٥٣ جهازا لكل ١٠٠٠ نسمة، وهى أيضا نسبة تفوق نسبة انتشار التليفزيون فى مصر : ٣٢ جهازا لكل ١٠٠٠ نسمة (وفقا لتقديرات يونسكو لعام ١٩٧٩) •

(ب) عدد أجهزة التليفزيون فى مصر وفقا لتقديرات قسم البحوث فى اتحاد الاذاعة والتليفزيون :

يشير البحث الذى أجراه قسم البحوث عام ١٩٨٠ (١) على عينة ممثلة قوامها ٥٢٥٠ مفردة تم اختيارها بأسلوب عشوائى من بين سكان المدن الى أن ٩٢٫٢٪ من العينة تقتنى جهاز تليفزيون •

(جـ) بعض الاعتبارات الخاصة بتقدير عدد أجهزة الاستقبال التليفزيونى فى مصر :

تشير نتائج الدراسات التى يقوم بها قسم البحوث فى التليفزيون المصرى الى أن عدد أجهزة الاستقبال فى مصر يتراوح

---

(١) رجعنا الى هذا البحث دون البحث الذى نشر عام ١٩٨٣ لكى نكون قريبين من تاريخ الاحصاءات التى نشرتها يونسكو ليسهل عقد المقارنة وسلامتها .

ما بين ١٫٩٧١٫٥٤٥ و ٣٫٠١٧٫٠١١ جهاز (١) ، بينما تشير احصاءات يونسكو الى أن عدد أجهزة التليفزيون فى مصر يقدر بحوالى ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جهاز عام ١٩٧٩ .

وبما أن الارقام التى تقدمها يونسكو أو تلك التى يطرحها قسم البحوث ما هى الا أرقام تقديرية لغياب الضابط أو المحك الاساسى لمعرفة العدد الفعلى لهذه الاجهزة (عدد رخص التشغيل مثلا) ، فاننا نميل مع جانب قسم البحوث ، ونعتبر الارقام التى أدلى بها أقرب الى الحقيقة . ومما يؤكد ذلك أن هناك بحثا آخر كان قد أجرى فى عام ١٩٧٨ عن الاعلان التليفزيونى وأشار فى نتائجه الى أن عدد أجهزة التليفزيون فى مصر يمكن أن يتراوح ما بين ٢٫٩٢٨٫٠٢٧ و ٣٫٠٠٨٫٤٨٠ جهاز .

ولكى نتحقق من صحة هذا الفرض الخاص بأن عدد أجهزة التليفزيون فى مصر كان يتراوح ما بين ٢٫٩٧١٫٥٤٥ و ٣٫٠١٧٫٠١١ جهاز وليس كما قدرته يونسكو بأنه ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جهاز فقط عام ١٩٧٩ يمكننا أن نرجع الى الجدول الذى يوزع عدد أجهزة التليفزيون فى العالم وفى المناطق والدول المختلفة والذى يوزع أيضا عدد أجهزة التليفزيون لكل ١٠٠٠ نسمة فى هذه المناطق التى سبق أن عرضناه .

بدراسة أرقام الجدول المذكور يمكن ملاحظة اختلاف وفرق بين عدد الاجهزة لكل ١٠٠٠ شخص عام ١٩٦٥ بين كل من مصر وبين الدول العربية والدول النامية . وهذا الجدول نعتمد فيه على احصاءات يونسكو الا أن الارقام الخاصة بمصر لعامى ١٩٦٥ و ١٩٧٠ تعتمد على الرخص وليست أرقاما تقديرية . ويشير الجدول

(١) ٥ر١٪ من العينة لديها جهاز ملون و٤ر٣٪ لديها جهازان أحدهما ملون . وقد أشرنا فيما سبق الى الاسرة التى قابلناها فى طنطا والتى تمتلك خمسة أجهزة منها ثلاثة بالالوان .

الى أن نسبة عدد أجهزة التليفزيون فى مصر عام ١٩٦٥ كانت ١١ جهازا لكل ١٠٠٠ نسمة بينما كانت نسبة الحيازة فى الدول العربية (بما فيها مصر) ٤ر٨ جهاز لكل ألف نسمة ولم تزد هذه النسبة فى الدول النامية عن ٣ر٧ جهاز فقط (لكل ١٠٠٠ شخص) ٠

ولقد استمر هذا الفـارق بين وضع التليفزيون فى مصر وبين وضعه فى الدول العربية والدول النامية قائما بالنسبة لاحصاءات عام ١٩٧٠ وكذلك عام ١٩٧٥ ٠ أما بالنسبة لعام ١٩٧٩ فقد لاحظنا فى الارقام التى تقدمها يونسكو أن نسبة عدد الاجهزة لكل ١٠٠٠ شخص فى الدول العربية قد فاقت نسبتها فى مصر ٠

والجدول التالى يوضح ذلك :

جدول رقم (١٢)
عدد أجهزة الاستقبال التليفزيونى لكل ١٠٠٠ نسمة فى مصر وفى الدول العربيـــة والدول الناميـــة

السنة / الدولة/المنطقة	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٩
فى مصر	١١	١٦	٢٨	٣٢
فى الدول العربية	٨,٤	١٥	٢٤	٤٢
فى الدول النامية	٧,٣	١٣	٢١	٢٩

وعلى الرغم من أن البعض قد يعتقد صحة هذه الارقام ، وأن هذا الفارق الذى ظهر فى أرقام عام ١٩٧٩ بين الدول العربيـــة وبين مصر فى نسبة عدد أجهزة التليفزيون لكل ١٠٠٠ نسمة راجع الى أن الدول العربية تضم دول البترول الغنية ، مما قد يكون له أثره فى

ظهور هذا الاختـــلاف فى أرقام يونسكو ، الا أننا نأخذ بتقديرات قسم البحوث فى التليفزيون المصرى ٠ وتشير هذه البحوث الى أن هناك حوالى ٢٫٩٩٤٫٢٧٨ جهاز فى المناطق المدنية وحدها فى مصر ٠ فاذا رجعنـــا الى التقديرات الخاصـــة بعدد الســـكان فى منتصف عام ١٩٨٠ فى مصر — وهى حوالى ٤١٫٩٩ مليون نسمة ، يمكننا أن نقول ان فى مصر ٧١٫٣ جهـــازا تليفزيونيا لكل ١٠٠٠ نسمة ٠ وفى هذا التقـــدير افترضـــنا جدلا عدم وجود أى جهاز تليفزيونى فى المناطق الريفيـــة — وهو فرض خاطىء ٠٠ وهذا يعنى أننا يمكن أن نقدر عدد أجهزة التليفزيون فى مصر لعـــام ١٩٨٠ بأكثر من ٧١٫٣ جهاز لكل ألف شخص ٠

وباتخاذ نفس الاسلوب الســـابق يمكننا أن نقدر عدد أجهزة الاستقبال فى مصر لعام ١٩٧٨ بحوالى ٤٠٫٧٣ جهازا لكل ١٠٠٠ نسمة عندما كان عدد السكان يقدر بحوالى ٣٩٫٦٣٦ مليون نسمة وكانت البحوث تشـــير الى أن عـــدد أجهزة التليفـــزيون يتراوح ما بين ٢٫٩٢٨٫٠٢٧ و ٣٫٠٠٨٫٤٧٠ جهاز ٠

واذا أخذنا فى الاعتبـــار عدد الاسر التى يمكن أن يكون لديها جهاز تليفزيونى ، فان تعداد عام ١٩٧٦ يشـــير الى أن عدد الاسر التى تسكن المدن يقدر بحوالى ٣٫٢٤٧٫٥٩٠ أسرة ٠ وهذا يعنى أن فى المناطق الحضرية — أو المدنيـــة — فى مصر ، أكثر من نصف الاسر تقتنى جهازا للتليفزيون (١٫٦١٤٫٤٣٧ جهاز بالنسبة لعدد الاسر : ٣٫٠١٧٫٠١١ أسرة) وهذه النســـبة ترضينا فى الوقت الحـــالى حتى تتم كهربة الريف تماما ، والتى يتوقف عليها حتى الآن انتشـــار التليفزيون فى المناطق الريفية (١) فقد لاحظت احدى باحثاتنـــا فى

(١) يقول بعض الباحثين فى كلية الاعلام أن هناك فى الريف من يستخدم البطارية الســـائلة فى تشغيل أجهزة التليفزيون وفى ذلك خطورة كبيرة . وعند زيارتنا الشخصية لاحدى الاسر فى قرية من قرى محافظة الغربية عام ١٩٨٥ شـــاهدنا بأنفسنا بطارية تستخدم فى تشـــغيل التليفزيون عند انقطاع التيار الكهربائى ٠

زيارة لها فى احدى قرى محافظـــة المنوفية التى دخلتهـــا الكهرباء انتشار جهاز التليفزيون داخل منازل القرية عام ١٩٨٥ . بالاضـــافة الى كل ما سبق نستطيع أن نقول أن التعرض لوســـائل الاعلام فى بلد نام مثل مصر لا يتم بنفس الاســـلوب فى دولة متقدمة مثل أمريكا أو فرنســـا . أى أن الحد الادنى لوســـائل الاعلام الذى يجب أن يتوافر فى الدول النامية — وفقا لما أقرته يونسكو — قد عنى بعامل « الكم » فى تحـــديده لعدد نسخ الصحيفة أو أجهزة الراديو أو أجهزة التليفزيون أو عدد مقاعد السينما .. بالنسبة لكل ١٠٠٠ نسمة فى الدول النامية . ولكننا — كما سبق أن أشرنا — نأخذ أيضا بعامل « الكيف » الذى يجب أن يؤخذ فى الاعتبـــار عندما نتحدث عن استخدام وســـائل البث ، أو ما اصطلح على تسميتها بوســـائل الاعلام الجماهيرية .

فنحن نعرف مثلا ، أن الصحيفة اليومية فى بعض الاوســـاط الاجتماعية لا تبقى لدى من يقوم بشرائها — وخاصـــة فى القرية المصرية . فبعد أن يقرأ صـــاحبها ما يهمه من أخبـــار ، يتداول كثيرون هذه الصحيفة ، اذ تنتقل من يد الى يد بين أفراد الاسرة الواحدة ، ثم يتداولها بعد ذلك الاصـــدقاء والجيران قبل أن تعـــود فى النهاية — وغالبا ما يحـــدث ذلك — لكى تستقر لدى من قام بشرائها .

والى جانب ذلك ، لاحظنا فى فترة ما ،أن التعرض للصحافة المكتوبة يمكن أن يتم لدى موزع الصحف الذى يأخذ مكانه المفضل بجوار موقف ســـيارات النقل العام داخل المدن ، مما يسمح للأفراد بالاطلاع على أهم أخبـــار الصفحة الاولى بل وغيرها أحيـــانا . كذلك اكتشفنا أن هنـــاك « أشتراكا » شـــهريا تحدد قيمته بصفة ودية يمكن الفرد من أن يلقى نظرة سريعة — وأحيانا متأنية — على محتوى الصحف . ويمكن التعرض للصحافة المكتوبة أيضا فى المقهى ، ولدى الحلاق ، وفى مكان العمل ، وفى المكتبات العـــامة .. كما يمكن

التعرض لهذه الرسـائل المكتوبه من خلال الاطر الزجاجية أمام بعض دور الصحف وفى دور الثقافة ... الخ .

أما بالنسبة لجهاز الراديو فان الحـد الادنى الذى أقرته يونسكو ، وهو ٥٠ جهـازا لكل ألف نسمة ، هذا العـامل الكمى لا يمثل — من وجهـة نظرنا — أى أهمية فى دولة مثل مصر .. فقبل انتشـار هذا الجهاز على الصـورة التى نراها عليها الآن فى القرية المصرية ، لم يكن الاستماع الى برامج الراديو حكرا على صاحب الجهاز . فطريقة استخدامه تتضمن « الاستخدام الجمعى » بمعنى ، أننا تعودنا الاستماع الى صـوت الراديو أينما كنا : فى السـيارات العامة ، فى الحدائق ، فى سـوق القرية .. ، أصبح لا يوجد أى مكان يخلو من مذياع يصـل صـوته الى عشرات الامتار — وان كنا لا نستطيع أن نتحكم فى اختيـار المواد التى نرغب الاستماع اليها .

أما فيما يتعلق بالتليفزيون ، فاننا يمكن أن نتعرض لرسـائله فى المقهى ، فى نادى القرية .. وفى بداية عهـده ، كانت هنـاك أجهزة استقبال لبرامج التليفزيون فى الميادين العامة أيضـا . ويمكن للفرد الذى لم يقتن التليفزيون حتى الآن أن يتابع برامجـه المفضلة بصفة منتظمة بطرق متعددة : اما فى المقهى أو فى النادى كما قلنا أو لدى الاقارب أو الاصـدقاء أو عند الجيران . وفى بعض القرى المصرية توجد نواد خاصـة بمشـاهدة التليفزيون حيث تتم المشاهدة بالنسبة لبرامج معينة تحت اشراف شخص مسـئول يتولى ادارة الحديث حول مضمون البرنامج بعد البث .

ويجب أن نعترف هنا أن الراديو هو الوسيلة أكثر انتشـارا فى مصر حيث نسمع صوته فى كل مكان نهارا وليلا مما يشير الى أنه أكثر ديمقراطية من حيث التغطية الجغرافية ، بل وفى سعره أيضا ، من أخيه الاصغر التليفزيون .

٣ — مورفولوجية البث التليفزيونى :

سوف نقتصر الحديث عن البث التليفزيونى على برامج التليفزيون المصرى ونترك الحديث عن برامج تليفزيون الدول المجاورة لدراسة أخرى باذن الله ، الا اذا رأينا ضرورة لعقد مقارنة بين واقع التليفزيون فى مصر وفى دول أخرى تتشابه معها فى خصائص معينة .

(أ) عدد القنوات :

المعروف أن التليفزيون المصرى — الذى يطلق عليه البعض اسم التليفزيون العربى — قد بدأ برامجه بصفة منتظمة عام ١٩٦٠ على قناة واحدة لمدة عام ثم بدأ فى البث من خلال قناتين ثم ثلاث قنوات وألغيت قناة وأصبح يبث برامجه على قناتين ، ثم أعيد افتتاح القناة الثالثة من جديد فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٨٥ ، بعد أن دار النقاش حول نوعية البرامج التى يمكن أن تقدمها هذه القناة . ونفتح هنا قوسين لكى نتساءل عن ضرورة هذه القناة الثالثة . فاذا كان المسئولون حتى الآن لم يستقروا على نوعية البرامج التى يمكن أن تخصص لها هذه القناة المستخدمة : برامج تعليمية أو برامج ثقافية أو هل هى قناة لتليفزيون تجارى أو لبرامج خدمات ... الخ فهذا يعنى — من وجهة نظرنا على الاقل — أن انشاء هذه القناة لا يقوم لسد حاجة ضرورية وانما هى الرغبة فى انشاء قناة ثالثة ، أيا كانت بعد ذلك نوعية البرامج التى يمكن أن تملأ ساعات البث ، تماما مثل المطالبة بأن يبدأ التليفزيون ارساله منذ السادسة أو السابعة صباحا (١) . نفهم أن هذا ممكن اذا كانت لدينا القدرة على

---

(١) يتعارض ذلك مع سياسة الدولة التى ترمى الى ترشيد الاستهلاك .

انتاج برامج يمكن أن تملأ ساعات البث التليفزيونى مثلما هى الحال بالنسبة للتليفزيون الامريكى (١) . اما أن نحشو خريطة الارسال ببرامج مستوردة ، قد يكون خطرها أكثر من الفائدة المرجوة من بثها ، فنحن نقف هنا معترضين ومحذرين (٢) .

(ب) عدد ساعات البث :

لمعرفة عدد ساعات البث بالنسبة للتليفزيون المصرى قمنا بمتابعة الارسال خلال أسبوع صناعى لكل قناة من القناتين وكانت النتيجة كما يعرضها الجدول التالى :

---

(١) وان كان ذلك لا يوفر الديمقراطية اللازمة فى اختيار المشاهد للبرامج بعكس ما يتصوره البعض .

(٢) انظر فيما سبق : التأثير السلبى لوسائل الاعلام .

جـــدول رقم (١٣)

ساعات الارسال فى التليفزيون المصرى

	القنـاة الأولى		القناة الثانية		عدد دقائق الإرسال على القناتين
	وقت الإرسال من — إلى	عدد الدقائق	وقت الإرسال من — إلى	عدد الدقائق	
الإثنين	١١ — ١٤[1] ١٦ — ٢٣,٣٦	٦٣٦	١٤ — ٠,٢٥	٦٢٥	١٢٦١
الثلاثاء	١١ — ١٤ ١٦ — ١	٧٣٠	١٤ — ٠,١٢	٦١٢	١٣٤٢
الأربعاء	١١ — ١٤ ١٦ — ٠,٢٨	٦٨٨	١٤ — ٠,٥٤	٦٥٤	١٣٤٢
الخميس	١١ — ١,٣٨	٨٧٨	١٤ — ١,٢٠	٦٨٠	١٥٥٨
الجمعة	١٠ — ١,٢١	٨٦١	١٠ — ٠,٩	٨٤٩	١٧١٠
السبت	١١ — ١٤ ١٦ — ٢٣,٣٠	٦٣٠	١٤ — ١,٢٠	٦٦٢	١٢٩٢
الأحد	١١ — ٢,٦	٩٠٦	١٠,١٥ — ٠,٣	٨٤٣	١٧٤٩
المجموع		٥٣٢٩		٤٩٢٥	١٠٢٥٤ دقيقة

من هذا الجدول يتضح أن عدد ســـاعات البث على القناة الاولى فى فترة البحث كانت ٨٨ ســـاعة و ٤٩ دقيقة وعلى القناة الثانيــة ٨٣ ساعة وخمس دقائق ، أى أن التليفزيون المصرى يبث برامجه

---

(١) استخدمنا هنا التوقيت تبعـــا للنظام المستخدم فى الســـكة الحديد منعا لاى لبس .

خلال ١٧٠ ساعة و ٥٤ دقيقة فى الاسبوع أى بمتوسط ٢٤ ساعة و ٢٣ دقيقة .وهذا الرقم قريب جدا من معطيات الاحصائيات الرسمية الخاصة بالبث التليفزيونى ، حيث نجد أن المتوسط اليومى لعام ١٩٨٠/١٩٨١ يصل الى ٢٤ ساعة ودقيقة واحدة ومتوسط عام ١٩٨١/١٩٨٢ يصل الى ٢٤ ساعة و٤٤ دقيقة (١) ، أى أن المتوسط هنا ٢٤ ساعة و ٢٧ دقيقة تقريبا والذى لا يختلف مع المتوسط الحسابى للارسال اليومى فى الاسبوع الصناعى الذى درسناه سوى فى ثلاث دقائق فقط .

والرسم التالى يوضح ساعات البث التليفزيونى على القناتين فى الفترة التى درسناها .

---

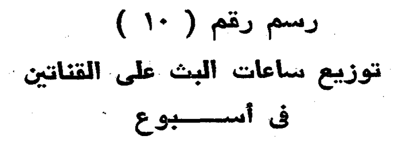
١ — كان متوسط ساعات الارسال اليومى للتليفزيون فى الفترة من ١٩٧٧ الى ١٩٨٢ على النحو التالى :

جدول رقم (١٤)

متوسط ساعات الارسال اليومى للتليفزيون

البرنامج	تاريخ بدء التشغيل	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	٨١/٨٠	٨٢/٨١
		ق س	ق س	ق س	ق س	ق س	ق س
الأول	١٩٦٠/٧/٢١	١١,٣٠	١٠,٣٥	١٠,٣٩	١١,٥	١٣, ٣	١٣,٠٥
الثانى	١٩٦١/٧/٢١	٧,٥٢	٧,٣٨	٧,٢٦	٩,٨	١٠,٥٨	١١,٣٩
الجملة		١٩,٢٣	١٨,١٣	١٨,٠٥	٢٠,١٣	٢٤,٠١	٢٤,٤٤

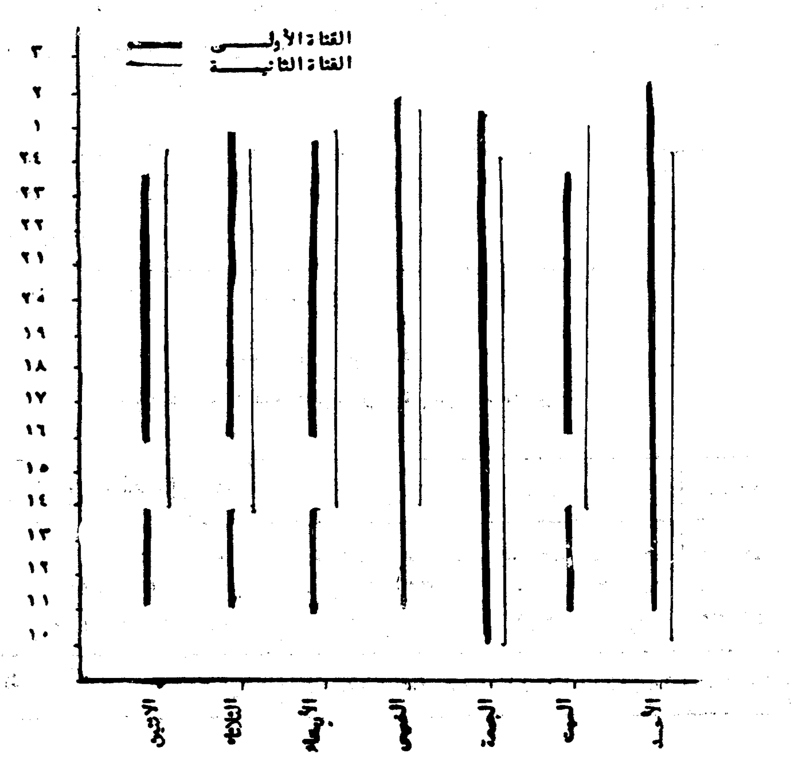
(المصدر : الكتاب الاحصائى السنوى لجمهورية مصر العربية ، ١٩٥٢ — ١٩٨٢، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، اغسطس سنة ١٩٨٣) .



رسم رقم (١٠)

توزيع ساعات البث على القناتين

فى أســـــبوع



من خلال الجدول والرسم السابقين يمكننا أن نتبين أن القناة الثانية تبث برامجها خلال فترة واحدة يوميا تبدأ فى المعتاد فى الساعة الثانية بعد الظهر فيما عدا يومى الاحد والجمعة — وهما يومى عطلة رسمية لبعض العاملين فى مصر — حيث نبدأ ارسالها فى الساعة العاشرة صباحا .

أما القناة الأولى فهى تبث برامجها خلال فترة صباحية تبدأ من الساعة الحادية عشرة وتنتهى فى الثانية بعد الظهر — موعد بداية القناة الثانية — وفترة أخرى مسائية تبدأ فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، فيما عدا أيام الخميس والجمعة والأحد والتى تبث فيها القناة الأولى برامجها خلال فترة واحدة تمتد من الحادية عشرة صباحا بالنسبة ليومى الخميس والأحد ، والعاشرة صباحا يوم الجمعة وحتى نهاية السهرة بعد منتصف الليل غالبا .

والمشاهد على ارسال القناتين أن هناك ارتباطا بين أيام العطلة الرسمية وبين فترة البث على كل قناة ، بل ان القناة الأولى تهتم أيضا بيوم الخميس ، وهو اليوم الذى يسبق العطلة الرسمية للمدارس الحكومية ، فتتعامل معه كما تتعامل مع أيام الاجازة الرسمية وقد يكون ذلك راجعا الى أنها تضع فى الاعتبار أنه نهاية الأسبوع ، وأن العمل فى المدارس ينتهى فيه مبكرا عن باقى أيام أسبوع الدراسة الأخرى .

كما يلاحظ أيضا فى الرسم والجدول السابقين أن القناة الأولى بصفة خاصة تنهى برامجها فى ساعة متأخرة فى أيام الأحد والخميس حيث يمتد الارسال الى ما بعد الساعة الواحدة صباحا .

واذا كان التليفزيون المصرى يبث برامجه طوال ١٧٠ ساعة و٥٤ دقيقة فى الأسبوع المدروس كما ذكرنا من قبل فان الاحصائيات الأخيرة لدولة الكويت تشير الى أن التليفزيون هناك قد بث برامجه خلال ٨٦ ساعة فقط فى عام ١٩٨٢ موزعة على النحو التالى :

٥٨ ساعة بث على القناة الاولى (البرنامج الاول) •
و ٣٨ ساعة على القناة الثانية (البرنامج الثانى) •

والجدول التالى يوزع ساعات البث التليفزيونى فى عدة دول :

جدول رقم (١٥)

عدد ساعات البث فى تليفزيون بعض الدول (١)

الدولة	السنة	عدد ساعات البث فى الأسبوع
مصر	١٩٧٤	١٢٢
	١٩٧٧	١١٧
	١٩٨١	١٧١
فرنسا	١٩٧٧	١٨١
العراق	١٩٧٧	٥١ (٢)
سوريا	١٩٧٩	١٧ (٢)
أندونيسيا	١٩٧٧	٢٦٨
السودان	١٩٧٧	٢٣ (٢)

ويلاحظ من الجدول السابق أن عدد ساعات الارسال التليفزيونى يختلف من دولة الى أخرى • فبينما تشير احصائيات يونسكو الى أن سوريا لا تبث برامج تليفزيون سوى لمدة ١٧ ساعة فى الاسبوع فان اندونيسيا تبث طوال ٢٦٨ ساعة اسبوعيا على النحو التالى :

---

(١) المصدر : **الاحصائيات التى تصدرها يونسكو الا بالنسبة لمصر سنة ١٩٨١ •**

(٢) وان كنا غير واثقين من هذه الارقام ونرجح انها لعدد ساعات الارسال اليومى وليس الارسال الاسبوعى ، على الرغم من ان الجدول الذى يوزع مواد برامج التليفزيون يؤكد صدق هذه الارقام .

جدول رقم (١٦)
توزيع ساعات البث فى التليفزيون الاندونيسى
عام ١٩٧٧

البرامج	النسبة	المجموع
أخبار إعلانات	٢٢,٠	٣٠,١
برامج ثقافية برامج تعليمية برامج دينية	١٩,٣ ٢٤,٩ ٣,٦	٤٧,٨
برامج ترويحية أخرى	٢٠,٠ ٢,١	٢٢,١
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪

من هذا الجدول يتضح أن التليفزيون فى اندونيسيا يخصص جزءا كبيرا من ساعات الارسال لبث البرامج الثقافية والتعليمية والدينية أكثر مما يتم ببث برامج ترفيهية • ولذلك قد ينسب البعض لهذا التليفزيون الوظيفة الثقافية أكثر من كونه تليفزيون ترويحى كما هو الحال بالنسبة لمعظم تليفزيونات العالم •

دراسة فسيولوجية للتليفزيون المصرى :

رأينا فيما سبق أن التليفزيون فى اندونيسيا يخصص ٤٧ر٨٪ من وقت الارسال لبرامج ذات طابع ثقافى وتعليمى ، كما يعطى للبرامج الاخبارية والاعلانات ٣٠ر١٪ من وقت البث و ٢٠٪ لبرامج ترويحية •

فلقد أجمعت الآراء على أن محتوى وسائل الاعلام يمكن أن يصنف وفقا للفئات الثلاث :

(١) التثقيف .

(٢) الاعـــلام .

(٣) الترويح .

ويجب أن نؤكد هنـــا أن الفصل بين هذه الفئات الثلاث لمحتوى وسائل الاعلام هو فصـــل تعسفى . فمن الصعب عند تحليل برنامج تليفزيونى أن نقول أن هذا برنامجا اعلاميا مائة فى المائة ، فقد يتخلل هذا البرنامج مواد ترويحيـــة ... وهكذا .

وعند تحليلنا لبرامج القناتين فى التليفزيون المصرى فى الفترة التى اخترناها للدراســـة لمعرفة الاتجـــاه العام لمحتـــوى البرامج حصلنا على النتائج التالية :

قدم التليفزيون المصرى على قنـــاتيه برامج متنوعة (١) يمكن تصنيفها تبعا للوظائف الكلاسيكية الثلاث على النحو التالى :

جـــدول رقم (١٧)

محتوى التليفزيون المصرى خـــلال أسبوع

البرنامج	القناة الأولى	القناة الثانية	القناتان معاً
تسلية	٥١,٣	٦٢,٤٦	٥٦,٦٦
ثقافة وتعليم	٢٦,٠	٢٢,١٩	٢٤,١٨
أخبار وإعلانات	٢٢,٧	١٥,٣٥	١٩,١٦
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

---

(١) والتى يمكن دراستها مورفولوجيا أيضا .

الجدول السابق يشير الى أن التليفزيون المصرى يهتم أكثر ببث البرامج ذات المحتوى الترويحى يلى ذلك البرامج الثقافية والتعليمية ثم البرامج الاعلامية (التى تضم البرامج الاخبارية والاعلانات) • ويستوى فى ذلك محتوى القناة الاولى وما تقدمه القناة الثانية • بل أن القناة الثانية التى يقـال أنها قناة ذات طابع ثقافى تهتم بالبرامج الترفيهية (٤٦ر٦٢٪ من وقت البث) أكثر من اهتمـام القناة الاولى بهذا النوع من البرامج (٣ر٥١٪ من وقت بث القناة الأولى) (١) •

وفيما يلى دراســة مقارنة لبرامج التليفزيون فى تسع دول من أربع قارات • وسوف نحاول فى هذا العرض أن نذكر تفاصيل هذه البرامج وعدد الســاعات لكى نستطيع تقـدير حجم البث التليفزيونى فى كل دولة منها •

---

(١) كان المتوسط اليومى لارسال المواد المختلفة فى الفترة من سنة ١٩٧٧ الى سنة ١٩٨٢ على النحو الذى يعرضه الجدول التالى :

جـدول رقم (١٨)

المتوسط اليومى لساعات ارسال التليفزيون موزعة حسب مواد البرامج

البرامج	١٩٧٧		١٩٧٨		١٩٧٩		١٩٨٠		٨١/٨٠		٨٢/٨١	
	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
درامية	٣٥	٤	٤٠	٥	٢٧	٥	٢٦	٦	١٥	٧	٣٨	٧
ترفيهية	٥١	٣	٣٤	٣	٠٨	٣	١٨	٣	٤٦	٢	٢٨	٢
إعلامية	٠٣	٣	٤٣	٢	٤٤	٢	٤٤	٢	٠٦	٣	٠١	٣
ثقافية	٤٤	٢	١٣	٢	١٤	٢	٤٠	٢	٠٣	٤	٣٢	٤
دينية	٣٦	١	٣٨	١	٤٤	١	٠٥	٢	٣٨	٢	٣٦	٢
تعليمية	٣١	١	٤٤	٠	٤٤	٠	١٩	٠	٥٤	٠	٠١	١
طوائف	٢٩	١	١٤	١	٣٠	١	٠١	٢	٣٤	٢	٤٣	٢
إعلانات	٣٣	٠	٢٧	٠	٣٤	٠	٤٠	٠	٤٥	٠	٤٥	٠
الجملة	٢٢	١٩	١٣	١٨	٠٥	١٨	١٣	٢٠	٠١	٢٤	٤٤	٢٤

(المصدر : الكتاب الاحصائى السنوى لجمهورية مصر العربية • مرجع سابق) •

جدول رقم (١٩)
مواد برامج التليفزيون فى مجموعة من الدول

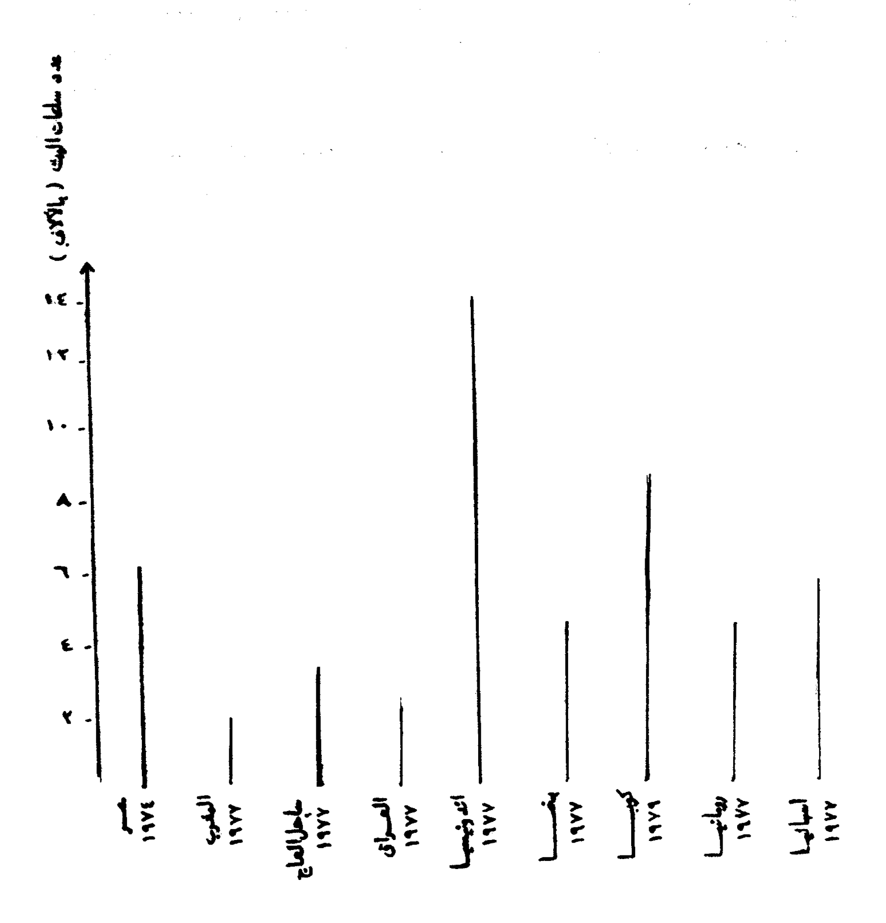
البرنامج	مصر (١) ١٩٧٤	المغرب ١٩٧٧	ساحل العاج ١٩٧٧	العراق ١٩٧٧	أندونيسيا ١٩٧٧	بنما ١٩٧٧	كوبا ١٩٧٧	رومانيا ١٩٧٧	أسبانيا ١٩٧٧
أخبار	٩٦٥	٤٣٠	٥٦٥	٤٠٢	٣٠٧٣	١٠١٢	١٦٢٧	٣٧١٥	١٨٥٠
تعليم	٥٧٣	١٦٢	١٨٢٠	—	٢٦٩٩	—	٦٨٤	٤٣٨	٦٦
ثقافة	٥٩٦	٢١٦	٢٢٨	٢٠٥	٣٤٩٣	—	—	١٨٨	٩٣١
دين	٤٩١	١٠٧	١١٢	١١٤	٥١٤	٧٨	—	—	٧٠
أعلانات	١٣	٨٣	—	—	١١١٨	—	٥١٣	٦٣	١٩٩
تسلية	٢٩٨٩	٩٢٦	٥٣١	١٣٤٦	٣٧٩٤	٢٥٣٦	٥٩٧٠	٢١٧١	٢٤١٢
أخرى	٥٥٠	—	٧٦	—	٢٧٩	—	٩٢	٢٤	٤٦٩
مجموع ساعات البث	٦٣٤٦	١٩٢٤	٣٢٢٢	٢٦٥٣	١٣٩٧٠	٤٦٢٦	٨٨٨٦	٤٥٩٩	٥٩٩٧

(١) لعقد مقارنة صحيحة اعتمدنا هنا على احصائيات يونسكو التى صدرت عام ١٩٨١ .

يشير هذا الجـدول الى أن هناك اختلافا فى الوقت المخصص للارسال التليفزيونى فى هذه المجموعة من الدول والذى يتراوح ما بين ١٩٢٤ ســاعة عام ١٩٧٧ بالنسبة للتليفزيون المغربى و ١٣٩٧٠ ساعة بالنسبة للتليفزيون التونسى • وهذا يعنى أن اندونيسيا تبث برامج تليفزيونية سبع مرات أكثر من الوقت المخصص للارسال بالنسبة للتليفزيون فى دولة المغرب •

والرسم التالى يوضح الفارق بين ســاعات الارسال التليفزيونى فى الدول التسع •

رسم رقم (١١)
مورفولوجية التليفزيون
فى تسع دول



وما يهمنا معرفته من الجـدول السابق هو مورفولوجية البرامج على وجـه التحـديد ، لكى نعـرف الوظيفـة التى يتميز بها كل تليفزيون عن الآخر ، وسوف نحـاول هنا تصنيف هذه البرامج فى فئات أربع لكى تسهل المقارنة :

- برامج ترويحية .
- برامج اعلامية .
- برامج ثقافيـة .
- برامج أخـرى .

والجدول التالى يوضح كيف تختلف مورفولوجية البرامج من بلد لآخر . وما دمنا نعتمد هنـا على احصائيات يونسكو الصادرة فى عام ١٩٨١ ، يجب أن نلفت نظر القـارىء الى أننا سـنذكر بالنسبة لمصر الارقام التى وردت فى الاحصـائيات وكانت لعـام ١٩٧٤ ، أى منذ أكثر من عشر سـنوات ، مما يجعلنا مضـطرين لاضافة نتائج تحليلنا للبرامج عام ١٩٨١ . وذلك من شـأنه توضيح صـورة التليفزيون المصرى بالمقارنة ببـاقى الامثلة التى نقدمها للتليفزيون فى دول أخرى والتى هى فى معظمها لسـنة ١٩٧٧ فيما عدا تليفزيون كوبا فالبيـانات التى أعطتها يونسكو كانت تخص عام ١٩٧٩ .

جـــدول رقم (٢٠)
النسب المئوية لنوعيات برامج التليفزيون
فى نسع دول

الدولة	السنة	فئات البرامج				المجموع
		ترويحية	اعلامية	ثقافية	اخرى	
		٪	٪	٪	٪	٪
مصر	١٩٧٤	٤٧,١	١٧,٩٤	٢٦,١٦	٨,٨	١٠٠
	١٩٨١	٥٦,٦٦	١٩,١٦	٢٤,١٨	—	١٠٠
المغرب	١٩٧٧	٤٨,١٢	٢٦,٦٦	٢٥,٢١	—	١٠٠
ساحل العاج (١)	١٩٧٧	١٥,٩	١٧,٠	٦٤,٨	٢,٣	١٠٠
العراق	١٩٧٧	٥٠,٧٣	١٥,١٥	١٢,٠٣	٢٢,٠٩	١٠٠
أندونيسيا	١٩٧٧	٢٠,٠٠	٣٠,٠٠	٤٨,٠٠	٢,٠٠	١٠٠
بنما	١٩٧٧	٧٦,٤	٢١,٩	١,٧	—	١٠٠
كوبا	١٩٧٩	٦٧,٢	٢٤,٠	٧,٧	١,١	١٠٠
رومانيا	١٩٧٧	٤٧,٢	٣٨,٧	١٣,٦	٠,٥	١٠٠
أسبانيا	١٩٧٧	٤٠,٢	٣٤,٢	١٨,٨	٧,٨	١٠٠

والبيانات التى يقدمها هذا الجـــدول تجعلنا نفكر فى ظاهرة جديرة بالدراسة المتأنية الواعية :

(١) تشير بعض الدراسات الى أن التليفزيون فى ساحل العاج قد استخدم فى البرامج التعليمية بنجاح . انظر :

— Dominique DESOUCHES.— **Information et développement en côte d'Ivoire.** Thèse cit.

ولكن دراسة احدث اشارت الى فشـــل تجربة التليفزيون التعليمى فى ساحل العاج . انظر :

— Eloi OULAI. — **L'information radiodiffusée en Côte d'Ivoire.** Mémoire pour Le diplôme Universitaire et Technologie option Communication, Université de Bordeaux III, 1982 I.U.T, note p. 19.

بالنسبة لتليفزيون كل من بنما وكوبا نلاحظ أن الزمن المخصص للبرامج الترويحيـة يتخطى بكثير ٥٠٪ من وقت الارســال ، حيث يقدم تليفزيون بنما من المواد الترفيهيــة ما يستغرق ٧٦٫٤٪ من زمن البث ، وفى كوبا تصــل هذه النسبة الى ٦٧٫٣٪ بينما فى تليفزيون ســاحل العاج لم تتعد نســبة زمن المــواد الترويحيــة ١٦٪ من الوقت الكلى للارســال ، وتصل هذه النسبة للمواد الترويحية فى تليفزيون اندونيسيا الى ٢٠٪ فقط ٠٠٠

والســؤال الذى نطرحه النقــاش هنا هو : من الذى يقرر ويحدد ما يجب أن يبث على شاشة التليفزيون ؟ ولماذا ؟

هل هى قاعدة « الجمهــور عايز كده » ؟ أو ما يقوله بعض المســئولين « نحن نعرف مصلحة الجماهير ونقــدم لها ما ينبغى بصرف النظر عن رغباتهم » ؟

سنترك الرد على هذه الاسئلة بطبيعة الحــال كنقاط للمناقشة وحتى نعرف رأى أصحاب الشــأن ومن يهمهم أمر هذا الجهــاز ، بل ، ورأى الجماهير أيضا ٠٠ ولنحــاول هنا أن نضع بعض الفروض التى يمكن أن تقودنا اليها بيانات الجــدول السابق وخاصــة تلك التى تتعلق بما سبق أن أشرنا اليه وهو تفرق البرامج الترويحيــة فى دولتى كوبا وبنما عنها بالنسبة لدولتى ســاحل العاج واندونيسيا ٠

اذا أخذنا فى الاعتبــار الموقع الجغرافى لكل من دولتى بنما وكوبا ، فهل يمكن أن نفسر زيادة نسبة المواد الترويحيــة فيها الى قربها من ســوق هذا النوع من البرامج فى أمريكا الشمالية ؟ هل هى تدور اذن فى فلك الشبكات الامريكية التى يغلب على برامجهــا الطابع الترفيهى ؟ أم هل هذا يرجع الى ســهولة الحصــول على هذه البرامج من مصــدرها بسعر متهاود ومعلبة وجاهزة للعرض ؟ هل يمكن تفسير ذلك بأن هذه الاجهزة — فى كل من كوبا وبنما فى هذا

المثال — تحـاول الاحتفاظ بجماهيرها التى يزيد اقبالها على البرامج الترويحيـة ،التى يمكنها متابعتها على شاشـات التليفزيون التى تلتقط بسهولة برامج الدول المجاورة التى تتخطى الحدود ؟ (١) •

أيا ما كانت الاجابة على هذه الاسـئلة ، فاننا نشير الى أهمية دراسـة العلاقة بين موقع الدولة بالنسـبة لقربها أو لبعدها من الولايات المتحدة الامريكية — سـوق برامج التليفزيون الترويحية بدون منافس حتى الآن — وبين زيادة أو قلة نسـبة الوقت المخصص لهذه الفئة فى برامج التليفزيون •

وقبل أن نترك هذه النقطـة يهمنا أن نقدم مثالا لتليفزيون شيلى (الذى يبث برامجـه على ثلاث قنوات) • والجدول التالى يوزع البرامج المستوردة فى هذا التليفزيون من حيث البلد المصـدر لهذه البرامج • ولكن يجب أن نشير أولا الى أن نسـبة البرامج المحلية الى البرامج المستوردة على القنوات الثلاث فى تليفزيون شيلى عام ١٩٧٤ كانت على النحو التالى :

(القناة ٧)	٢٦	:	٧٤
(القناة ٩)	٣٢ر٣	:	٥٧ر٧
(القناة ١٣)	٣٥	:	٦٥

---

(١) تشير احصائيات يونسكو الى أن التليفزيون فى الولايات المتحدة قد بث موادا ترويحية عام ١٩٧٧ بنسـبة ٦٩٪ من الزمن الاجمـالى للارسـال .

جـــدول رقم (٢١)
مصدر البرامج المستوردة فى تليفزيون شيلى (١)
(عام ١٩٧٤)

الدولة المصدر	القنـــــاة		
	٧	٩	١٣
	٪	٪	٪
أمريكا الشمالية :			
— نسبتها من بين البرامج المستوردة	٤٣	٤٤	٤٩
— نسبتها فى الوقت المخصص للارسال	٥٧	٧٧	٧٤
الارجنتين والمكسيك :			
— بالنسبة للبرامج المستوردة	٢٦	٦	١٥
— بالنسبة للوقت المخصص للارسال	٣٤,٩	١٠	٢٤

وتشير الارقام فى هذا الجـــدول الى أن المواد المستوردة من أمريكا الشمالية لكى تبث فى تليفزيون شيلى تشـــغل حيزا هاما من وقت الارســـال التليفزيونى وتشير هذه المعطيات أيضـــا الى أن برامج أمريكا الشمالية تحتـــل أكثر من نصف زمن البث على القنوات الثـــلاث (٧ — ٩ — ١٣) فى شـــيلى (وهى ٥٧٪ — ٧٧٪ — ٧٤٪ بترتيب القنـــوات) أما البرامج التى مصـــدرها الارجنتين والمكسيك — وهما من دول أمريكا اللاتينية — فانها لا تشغل سوى وقت محدود بالنسبة لكل المواد المستوردة للبث فهى لا تتجـــاوز نسبة ٢٦٪ — ٦٪ — ١٥٪ بالنسبة للقنوات ٧ و ٩ و ١٣ على التوالى ، ولا تشغل على خريطـــة البرامج ســـوى ٣٤,٩٪ — ١٠٪ — ٢٤٪ من زمن البث على القنوات الثلاث .

وهنا تجدر الاشارة الى أن تليفزيون شيلى لا يعتبر حالة فريدة من نوعه : فالمعروف أن معظم البلاد تستورد من الخارج غالبيـــة

1. John CAUGHIE.— **Television and Exchange.** British Film Institute, 1978, p. 45.

المسلسلات والافلام التى تبث على شاشات التليفزيون فيها — ان لم يكن كلها — وتخرج عن هذه القاعدة بطبيعة الحال الولايات المتحدة الأمريكية • كما أن روسيا ، حتى وقت قريب ، لم تكن تهتم بهـذا النوع من برامج التليفزيون • الا أنه فى عام ١٩٨٢ بدأ التليفزيون الروسى يذيع المسلسل الامريكى دالاس ، مثله فى ذلك مثل بقية الدول الاشتراكية ودول العالم أجمع • ومن الطريف حقا أن التليفزيون فى روسيا كان يقدم لكل حلقة من دالاس بأن « هذا المسلسل يصور جانبا من الحياة فى أسرة أمريكية وهى مثال واقعى لنمط الحياة فى دولـة رأسمالية » (١) •

ومن الجدير بالذكر أيضا أن كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يشكلان المصدر الرئيسى للبرامج بالنسبة للدول التى تدور فى فلك كل منهما • وقد يرجع ذلك الى أن تكاليف انتاج البرامج تفوق تأجيرها بل شراءها (٢) ، فتشير الارقام فى فرنسا مثلا أن اعـداد المادة الدرامية التى تستغرق ساعة واحدة يتكلف ما بين مليون ومليون ونصف من الفرنكات الفرنسية • بينما يتراوح شراء البرنامج (الذى يستغرق ساعة دائما) ما بين ٥٠٠٠٠ و ٧٥٠٠٠ فرنك (٣) • ولهذا لاحظنا أن التليفزيون الفرنسى هو أيضا يقدم مسلسلات وحلقـات وافلاما أمريكية بالاضافة الى مواد من مصادر أخرى بجانب برامجه القومية • ولكن ، وحتى وقت قريب ، كان التليفزيون الفرنسى يحرص على أن تكون نسبة البرامج المستوردة فى زمن البث الاجمـالى أقل من ١٠٪ (٤) ، وان كنا نشير الى أن هذا الرقم يجب أن ينظر اليه بحذر وبتحفظ شديد ونحن فى عام ١٩٨٥ ، وخلال هذه السنوات قد يكون الموقف قد تغير فى التليفزيون الفرنسى •

1. France Culture, 18.9. 1982.
2. Jacques MOUSSEAU. — «La structure des programmes de télévision,» in **communication et langages,** No. 24, 1974, p. 91.
3. **Presse Actualité.** No. 124, Janvier 1978.
4. Jacques MOUSSEAU.— «La structure des programmes ...» art. cit.

ولكن هناك من الدول من لا تزال تتحفظ بالنسبة للاقبـال على المواد المستوردة ، وخاصة الصين ، حيث يحدد المسئولون نوعيـة المواد التى يمكن استيرادها من الخارج والدول التى يمكن أن تكـون « سوقا » مصدرا لهذه المواد . فقد أشارت احدى الدراسات التى أجريت الى أن الصين لا تبث موادا مستوردة الا اذا كانت من الكتلة الشرقية (١) ، كذلك الأمر بالنسبة لليابان التى لا تتعدى فيها المواد المستوردة نسبة ٣٪ من الخريطة الزمنية لبرامج التليفزيون (٢) . ولكن ، مازلنا نؤكد أن هذه الارقام يجب أن تؤخذ بتحفظ شديد ، نظرا لأنها قديمة نسبيا ، ما دمنا نتحدث عن التليفزيون الذى يتطور دوما .

العلاقة بين المشاهد المصرى والتليفزيون :

عرفنا مما سبق أن التليفزيون المصرى يقدم موادا متنوعة تدخل فى تصنيفها تحت فئات ثلاث رئيسية هى :

— الترويح
— التثقيف
— الاعلام

ويهمنا أن نعرف ما اذا كان هذا التليفزيون يشـبع رغبـات مشاهديه ، ويلبى حاجاتهم ، أم أن هناك تعارضـا بين ما ينتظره المشاهد المصرى من التليفزيون وما يقدمه له هذا الأخير .

1. KOTO HIDETOSHI. — «Global Instantaneousness and Instant Globalism. The Significance of Popular Culture in Developing Countries», p. 253 — 258, in, SCHRAMM & LERNER (ed.).— **Communication and Change. The Last Ten Years-and The Next.** op. cit.
2. Jacques MOUSSEAU. — «La structure des programmes de télévision». art. cit.

والجدول التالى يعرض رغبات الجماهير (١) وما يقدمه التليفزيون على القناتين (٢) :

جـــدول رقم (٢٢)

العرض والطلب بالنسبة لبرامج التليفزيون

المواد	القناة الأولى		القناة الثانية		القناتان	
	الطلب	العرض	الطلب	العرض	الطلب	العرض
تسلية	٥٥	٥١,٣	٦٨,٨	٦٢,٤٦	٦٠,٠٧	٦٥,٦٦
تثقيف(٣)	٢٢,٥	٢٦,—	١٨,٨	٢٢,١٩	٢١,١٩	٢٤,١٨
أعلام	٢٢,٥	٢٢,٧	١٢,٤	١٥,٣٥	١٨,٧٤	١٩,١٦
المجموع ٪	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تشير الارقام فى الجدول الســـابق الى أن هنـــاك توافقا بين ما يعرضه التليفزيون وما يطلبه ويرغب فيه المشاهدون . فقد احتلت التسلية المرتبة الاولى بالنسبة لجميع الحالات فى الجدول السابق ، مما يؤكد ما سبق أن أشرنا اليه فى صفحات ســـابقة بأن التليفزيون يعتبر بالدرجة الاولى وسيلة من وسائل التسلية والترويح . ويلى ذلك فى الاهمية المواد الثقافية ، وخاصة المواد الدينية التى وصلت نسبتها الى ٤ر٤٥٪ من رغبات المشاهدين فى الفئة الخاصة بالثقافة . ولكن قراءة الارقام التى يعرضها الجدول السابق أفقيا لا تشير الى توافق تام بين العرض والطلب والذى يظهر على ســـبيل المثال بين

(١) اعتمدنا على نتائج البحث الميدانى الذى اجراه اتحاد الاذاعة والتليفزيون عام ١٩٨١ (والذى تم على عينة من سكان المدن) .

(٢) اعتمدنا هنا على نتائج تحليلنا لبرامج التليفزيون سنة ١٩٨١ بالنسبة لاسبوع صناعى خلال شهور الصيف .

(٣) قد تختلف مورفولوجية هذه الفئة عند اختيار فترة تواكب العام الدراسى الذى يهتم فيه التليفزيون بتقديم برامج تعليمية لا يقدمها فى العادة خلال الاجازة الصيفية التى تم تحليل البرامج فيها .

ما تقدمه القناة الثانية من مواد فى فئة التسلية وبين رغبات المشاهدين انفس هذه الفئة حيث نجد فرقا يصل الى ٦٪ ٠

وبالبحث احصائيا عن التوافق بين العرض والطلب وجدنا أن قيمة التوافق بالنسبة القناة الاولى ٩٩٤ر٠ وهذا الرقم يشـــير الى ارتباط ايجابى وقوى بين العرض والطلب ، كــذلك بالنســبة للقناة الثانية حيث وصلت قيمة التوافق الى ٩٩٩ر٠ وهو ما يقرب من الواحد الصحيح ، كذلك بلغت نسبة التوافق بالنسبة للقناتين معا الى ٩٩٧ر٠

والسؤال الذى نطرحه فى النهاية وكبداية هو :

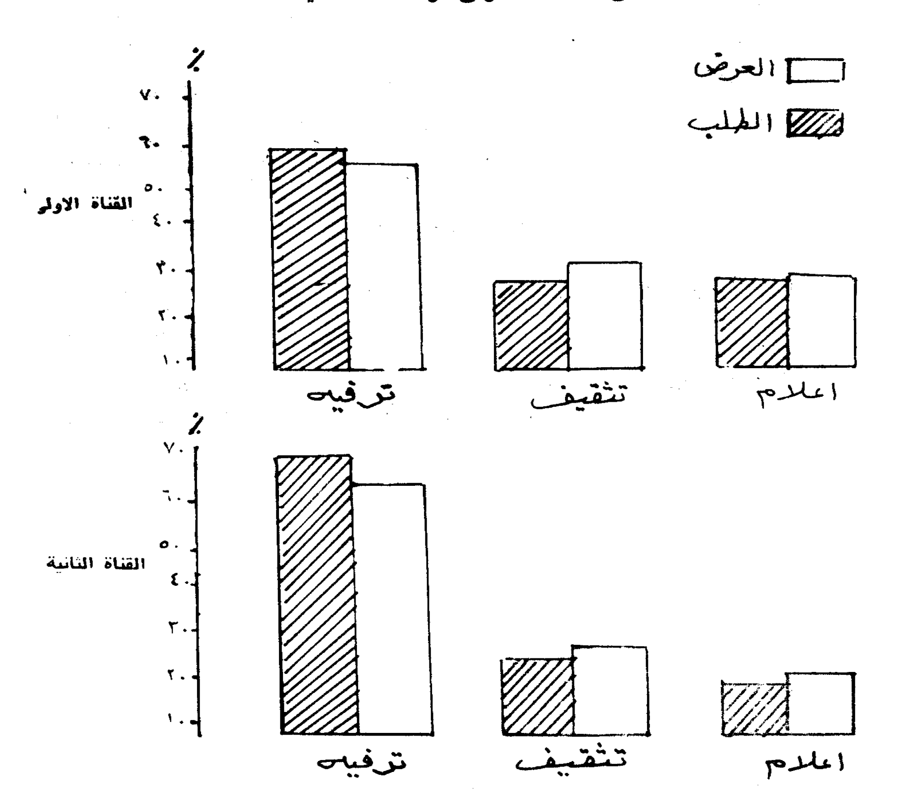
هل يمكن أن يكون للتليفزيون دور فى توجيه ذوق المشاهد تجاه مواد بعينها ؟

والرسم التالى يوضح معطيات جدول رقم (٢٢) ويصلح منطلقا لدراسة جديدة للرد على السؤال الذى طرحناه ٠

رسم رقم (١٢)

العرض والطلب بالنسبة للبرامج

فى القناة الاولى والقناة الثانية



خاتمة

رأينا أن نكتفى فى هذا الكتاب بالقاء بعض الضوء على طبيعة الدراسة فى علم الاجتماع الاعلامى بدراسة تطبيقية على جانب واحد بالنسبة للتليفزيون • وفى الكتاب الثانى من هذه السلسلة سوف نعرض نتائج عـدة دراسـات تحليلية وميدانيـة تتعلق بالـدور الوظيفى للتليفزيون (١) ، أما الكتـاب الثالث فى نفس السلسلة باذن الله ، فستنشر فيه نتائج الدراسة الخاصة بنشرات الأخبار فى التليفزيون المصرى (٢) ، والتى كنا قد تقدمنا بها للحصول على درجة الماجستير فى الاعلام من جامعة القاهرة(٣)•• وندعو الله أن يوفقنا لما فيه الخير ، انه نعم المولى ونعم النصير •

---

(١) انشراح الشال . — **الطفل المصرى بـين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى** (الكتاب الثـانى) سلسلة دراسـات فى علم الاجتمـاع الاعلامى . دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ .

(٢) انشراح الشال . — **علاقة سكان القـاهرة بنشـرات أخبـار التليفزيون** . (تحت الطبع) نهضة الشرق ، ١٩٨٦ .

(٣) انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية فى التليفزيون المصرى لدى سكان القاهرة** • مع دراسة ميدانية على عينة مختارة من السكان . كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

المراجــع

أولا : المراجع العربية :

— ابراهيم امام . — **الاعلام والاتصال بالجماهير** . مكتبة الانجلو . القاهرة ١٩٦٩ م .

— ابراهيم امام . — **الاعلام الاذاعى والتليفزيون** . دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٩ م .

— ابراهيم امام . — « بحوث تحليل المضمون وتطبيقاته فى الاعلام » . **مجلة الفن الاذاعى** ، القاهرة ، ابريل ١٩٧٤ .

— أحمد الخشاب ومحمد طلعت عيسى . — **علم الاجتماع** ، أصوله ومفاهيمه . مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ .

— أحمد الخشاب وآخرون . — **مبادىء علم الاجتماع** . مكتبة مصر الطبعة الثانية ١٩٥٥ .

— انشراح الشال . — « الاثار النفسية للتليفزيون المصرى » ص ٩٦ — ١٠٣ **مجلة الفن الاذاعى** ، العدد ١٠٦ ، عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضى التليفزيون ، يوليو ١٩٨٥ .

— انشراح الشال . — **دلالة النشرات الاخبارية فى التليفزيون المصرى لدى سكان القاهرة** ، مع دراسة ميدانية على عينة مختارة من السكان . رسالة ماجستير ، كلية الاعلام جامعة القاهرة ، ابريل ١٩٧٦ .

— انشراح الشال • — **الطفل المصرى بين التليفزيون والفديو والغزو الثقافى** • سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى ، الكتاب الثانى • مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٥ •

— جيهان رشتى • — **الاسس العلمية لنظريات الاعلام** • دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٥ •

— جيهان رشتى • — « هل يعرقل اسلوب تقديم التليفزيون أخباره نمو الديمقراطية ويؤدى الى مزيد من السلبية » ؟ ص ٦٠ — ٧١، **مجلة الفن الاذاعى** ، العدد ٧٠ ، القاهرة ، يناير ١٩٧٦ •

— حسن الساعاتى • — **علم الاجتماع الخلدونى** • دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٣ •

— دوروين كارتريت وليون فستنجر وآخرون (ترجمة محمد طلعت عيسى) • — **تنظيم وقيادة الجماعات** • أساليب البحث والاصول النظرية • سلسلة الانسان والمجتمع ، دار ومطابع الشعب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

— زيدان عبد الباقى • — **ركائز علم الاجتماع** • دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ •

— زيدان عبد الباقى • — **علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية** • مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٤ •

— زيدان عبد الباقى • — **علم الاجتماع الريفى والقرى المصرية** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٤ •

— زيدان عبد الباقى • — **علم النفس الاجتماعى فى المجالات الاعلامية** • مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٨ •

— عبد الحليم محمود السيد • — **علم النفس الاجتماعى والاعلام •** (١) المفاهيم الاساسية • دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٩ •

— فتحى يونس • — **الكلمات الشائعة فى كلام تلاميذ الصفوف الأولى من المرحلة الاولى** • رسالة دكتوراة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧٤ •

— مالك بن بنى (ترجمة عمر كامل مقاوى وعبد الصبور شاهين) • — **شروط النهضة** • سلسلة مشكلات الحضارة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ •

— محمد مصطفى الفولى • — **السيبرنية فى الانسان والمجتمع** والتكنولوجيا • الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر • المكتبة الثقافية ، العدد ٢٧٥ ، القاهرة ١٩٧١ •

— محمود عودة • — **أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى** •دراسة ميدانية فى قرية مصرية • دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ •

— محمود عودة • — «نشأة علم الاجتماع•دراسة فى سوسيولوجيا المعرفة » • ص ٤٣ — ٦٣ • **دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا** ، دار المعارف بمصر الطبعة الاولى ١٩٧٥ •

— مصطفى الخشاب • — **علم الاجتماع ومدارسه** • الكتاب الثانى وموضوعه دعائم الاجتماع وحقائقه • مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثالثة ١٩٥٨ •

— مليحة عونى القصير ومعن خليل عمر • — **المدخل الى علم الاجتماع** • وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، جامعة بغداد ، ١٩٨١ •

— نيقولا تيماشيف (ترجمة محمود عودة وآخرين) • ــ **نظريــة علم الاجتماع** • طبيعتها وتطورها • دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ •

— ولبور شرام وآخرين (ترجمة زكريا سيد حسن) • ــ **التليفزيون وأثره فى حيــاة اطفالنا** • الــدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة (بدون تاريخ) •

— **الكتاب الاحصائى الســنوى لجمهورية مصر العربية ١٩٥٢ — ١٩٨١** ، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصــاء ، أغسطس ١٩٨٢ •

— **مجلة الفن الاذاعى** التى يصدرها اتحاد الاذاعة والتليفزيون فى مصر •

— **وسائل الاعلام** : صحافة واذاعة وتليفزيون ••

ثانيا — المراجع الاجنبية :

— Warren K. AGEE, Phillip H. AULT, Edwin EMERY.— **Introduction to Mass Communication.** Seventh Edition, Harper&ROW Pullishers, New York, 1982.

— Paul ALMASY.— «Le choix et la lecture de l'image d'information,» in, **Communication et Langages** No. 22, 1974.

— L'Annuaire Statistique de L'UNESCO, Paris 1981.

— AUDIGIEH F. LATAPIE.— **Télévision et communication aux Etats-Unis**. P.U.F. collection SUP Paris, 1976.

— **L'Avenir de l'Actualité,** les histoires de l'année 1982, Ed. Libération Gamma, numéro Hors-Série, décembre 1982.

— Théophile-Serge BALIMA.— **La radiodiffusion en Haute-Volta.** Thèse de 3e Cycle, UPTEC, Bordeaux III, Janvier 1980.

— Francis BALLE et Jean J. BADIOLEAU. (Préface de Jean CAZENEUVE).— **Sociologie de l'information.** Texte fondamentaux. Larousse Université, Collection Sciences Humaines et Sociales, Paris, 1973.

— S.M. BARGHOUTI.—«The Role of Communication in Jordan's Rural Development» in, **Journalism Quarterly,** No. 51, 1974.

— Y. BATICLE.— **Message, media, communication,** de Lascaux á l'ordinateur. Magnard Université, Paris, 1973.

— Bernard BERELSON, P. LAZARSFELD & W. Mc FEE. — **Voting** : A Study of Opinion Formation in a Presidential Campaign, University of Chicago Press Chicago, 1954.

— E.E. BERGEL.— **Urban Sociology.** The Mac Graw Hill Book Co., Inc, New York, 1955.

— René BERGER. — **La télévision. Alerte a la télévision**, Casterman, Belgigue, 1976.

— David BERLO.—**The process of Communication** : An Introduction to Theory and Practice. Ed. Holt, Rinehart and Winton, New York, 1963.

— Claude — Jean BERTRAND.— **Les mass media aux Etats-Unis.** PUF, Collection. Que sais-je ? Paris 1974.

— Leo BOGARD. — «The Growth of Television», in Wilbur SCHRAMM. — **Mass Communication.** University of Illinois Press, Second Edition, 1960.

— Denise BOMBARDIER.—**La voix de la France.** Editions Robert Laffont, S.A., Paris, 1976.

— Denise BOMBARDIER— **Le traitement de la politique étrangère dans les journaux télévisés de L'ORTF**. Thèse de 3e Cycle, Université de Paris II, 1973.

— H. BOURGES.— **Décoloniser l'information.** Ed. Cana, Paris 1978.

— Partick BOYER. — **Les journalistes sont-ils des assassins ?** Hachette-litérature, Paris, 1980.

— Olivier BURGELIN. — **La communication de masse.** Collection Encyclopédique : le Point de la Question, Publiée par la S.G.P.G. Paris 1970.

— Sean MACBRIDE.— **Voix multiples, un seul monde.** Communication et société, aujourd'hui et demain. Rapport collectif. Documentation Française.
Nouvelles Editions Africaines, UNESCO, Paris, 1980.

— Roland CAYROL. — **La presse écrite et audiovisuelle.** PUF. collection : Sciences Politiques 1ère édition, Paris, 1973.

— Jean CAZENEUVE.— **l'homme téléspectateur.** Denoël-Gonthier, Paris, 1974.

— Jean CAZENEUVE.— **Sociologie de la radio-télévision.** PUF, collection : Que sais-je?, Paris, 1974.

— Jean CAZENEUVE.— **La société de l'ubiquité,** communication et diffusion. Denoël-Gonthïer, Paris, 1972.

— Jean CAZENEUVE.— **Les pouvoirs de la télévision Gallimard.** Collection : Idées, Paris, 1970.

— Jean CAZENEUVE. — **Sociologie de Marcel MAUSS.** PUF Collection : Le Sociologue, Paris, 1968.

— R. CLAUDE et J. GRITTI. — **Les chemins de la télévision,** Casterman, Belgique, 1969.

— Jean CLOUTIER.— «l'audio-visuel remis en question», in, **Communication et Languages,** No. 41—42, 1er trimestre 1979. **p. 39 — 51.**

— Jean CLOUTIER.— **La communication audio scripto visuelle a l'heure des self media. Les presses de l'université de Montréal,** 1973.

— Jean — Pierre CORBEAU.— **l'impact de certains canaux de communication de masse sur la vie quotidienne d'une population urbaine.** Thèse de 3e Cycle, Université Française Rabelais, Tours, U E R des Seienes de l'Homme, 1972.

— Jean — Pierre C O T et Jean-Pierre MOUNIER. — **Pour une sociologie politique.** Deux Tomes. Collection : Politique, Editions du Seuil, Paris, 1974.

— Nicole DELRUELLE. — VOSSWINKEL. — «Télévision et Famille en milieu urbain», in, **Etudes de raio-télévision,** R.T.B. No. 13, Bruxelles.

— Pierre DESCAVES et A.V.J. MARTIN.—**Un Siècle de radio et télévision.** ORTF et les Producteurs de Paris, 1965.

— J. DUMAZEDIER. — **Sociologie empirique du loisir** Editions du Seuil, Paris, 1974.

— Emile DURKHEIM. — **les règles de la méthode sociologique.** 10e édition, 1947.

— Jean DUVIGNAUD (études réunies par) et als.— **Sociologie de la connaissance.** Payot, Paris, 1979.

— Gunter EISERMANN.— «Fondements d'une sociologie de la connaissance empirico-systématique». p. 85 — 111 in, Jean DUVIGNAUD. — **Sociologie de la connaissance,** Paris, 1979,

— Robert ESCARPIT.— **l'écrit et la communication.** PUF, Paris, **1973.**

— Robert ESECAPRIT.— **La théorie de l'information et pratique politique.** Editions du Seuil, Paris 1981.

— Robert ESCAPRIT.— **Théorie générale de l'information et de la communication.** Hachette Université, Paris, 1976.

— Gloria D. FELICIANO.— «Communication and Development in Southeast Asia» 1964 — 1974. p. 191 — 203, in Wilbur SCHRAMM and Daniel LERNER (ed.) **Communication and Change. The Last Ten Years—and the Next.** The University of Hawaii, U.S.A., 1976.

— Joseph FOLLIET.—**l'information moderne** et le droit a l'infor-

mation, Chronique Sociale de France. la diffusion Gamma. Paris, 1969.

— Louis FOUCHER. — «le Role culturel de la radiodiffusion sonore et de la télévision», in P. DESCAVES et A.V.J. MARTIN.— **Un siècle de radio et de télévision.** Paris, 1965.

— Philippe GAILLARD.— **Technique du journalisme.** PUF, collection : **Que sais-je** ? 2e édition 1957.

— T. K GALBRAITH.— «The Causes of Poverty : A Classification» in, A. MACK, D. PLANT, U. DOYLE. — **Imperialism Intervention and Development.** Croom Helm, London, 1979.

— G. GAUTIER, Ph. PILARD.— **télévision passive, télévision active,** Téma Editions, Paris, 1972.

— Elisabeth GERIN. — **Télévision notre amie.** Editions du Centurion, Paris, 1961.

— J. E. GOLTHORPE.— **The Sociology of the Third-World,** Disparity and Involvement. Cambridge University Press London, 1975.

— Axel GRYSPEERDT.— **Télévision et participation á la culture.** Editions Vie Ouvrière, Bruxelles 1972.

— Maurice GUERNIER – **Tiers-Monde : Trois quarts du monde.** Bordas. Dossier/Demain, Rapport du Club de Rome, 1980.

— Jean GUILLARD.— **Information et développement en Afrique Noire Francophone.** Thèse pour le Doctorat de Spécialité en Sciences Economiques. Université de Paris I, Panthéon-Sorbonne 1974.

— J.D. HALLORAN et P.R.C. ELLIOT.—**La télévision pour l'enfance et la jeunesse.** Revue de l'UER. Suisse, 1970.

— G. k. HARABUYASHI, M.F. EL KHATIB.— «Communication and Political Awarness in the Villages of Egypt». in, **Public Opinion Quarterly,** No. 22, 1958, p. 357 — 363.

— Koto HIDETOSHI. — «Global Instaneousness and Instant Globalism, The Signification of Popular Culture in Developing Countries», in, SCHRAMM and LERNER (ed.)—**Communication and Change.** 1976.

— Hilda T. HIMMELWEIT, A. N. OPENHEIM. Pamela VINCE. — **Television and Child.** Oxford University Press, London and New York, 1958.

— Richard HOGGART.—**La culture du pauvre. Le sens commun.** Minuit, Paris, 1970. (1957), by CHATTO and WINDUS. Traduction de François Jean-Claude GARCIAS et Jean-Claude PASSERON. Titre de l'édition originale : **The Uses of Literacy.**

— Forough Orolzi ISFAHANI.— **La T.V. et la famille a Isfahan. Thèse de 3e** Cycle, Université de Paris V, 1977.

— KINGSBOURG.—«L'animation Culturelle a la télévision : Ses espoirs», in, **Communication et Langages,** No. 19, 1973.

— J.T. KLAPPER.—**The Effects of Mass Communication.** Glencoe. Illinois. The Free Press, 1960.

— J.T. KLAPPER.— «What we know About the Effects of Mass Communication» in, **Public Opinion Quarterly,** 1951.

— Pierre LAFARGE.— «La création d'un schéma généralogique». p. 45 — 75, **in Schéma et Schématisation,** No. 5, 3e trimestre. **1975.**

— André LANGEVIN.— **La télévision du noir a la couleur.**— Edition la Faranol, Paris, 1966.

— Harold LASSWELL.— «The Structure and Function of Communication in Society,» in, W. SCHRAMM.—**Mass Communication.** 1960.

— Anne — Marie LAULAN. — **Cinéma, presse et public.** Retz C.E.P.L., Paris, 1978.

— Anne — Marie LAULAN.— **L'image dans la société contemporaine.** Ed. Denoël Collection : Le Point de la Question, Paris, 1971.

— Daniel LERNER.— «Toward a New Paradigm», in W. SCHRAMM and Daniel LERNER (ed.). — **Communication and Change. 1976.**

— Marshal McLUHAN et Quentin FIORE, Coordonnés par Jérôme NAGEL.— **Guerre et paix dans le village planétaire,** (1968). Publié avec l'accord de Bautran Books inc. Traduction Française Editions Robert Laffont, S.A., Paris, 197.

— Marshal McLUHAN.— **Pour comprendre les media.** Les prolongements techniques de l'homme. Traduit de l'anglais par Jean PARE, 1968. Tours : Mame, Paris : Seul. Copyright original : **Understanding Media.** Mc Graw Hill. New York Book Company.

— A. MACK, D. PLANT, U. DOYLE.— **Imperialism, Intervention and Development.** Croom Helm, London, 199.

— Azar Mahouti MAHDAVI.— **La télévision a Téhéran.** Contribution a la sociologie du loisir. Thèse de 3e Cycle, Université de Paris VII, 1977.

— Michel MAFFESOLI.— «Coflits, dynamique collective et sociologie de la connaissance» p. 153—170 in Jean DUVIGNAUD et als.— **Sociologie de la connaissance.** Payot, Paris, 1979.

— MALINOWSKI.— **The Dynamics of Culture Change.**— Yale University Press, New Haven and London, 1961, traduction en français sous le titre : **Les dynamiques de l'évolution culturelle.** Recherche sur les relations sociales en Afrique. Payot, Bibliothèque Scientifique, Paris, 1970.

— Jerry MANDER. — **Four Arguments for the Elimination of Televison.** Morrow, New York, 1978.

— **Les mass media en U.R.S.S., principes, expériences.** Editions de l'Agence de Presse NOVOSTI, Moscou, 1979.

— Enrique MELON — MARTINEZ.— **La télévision dans la famille et la société moderne.** Marabout, Université Gérard & Co. 1970.

— Robert MERTON, «Patterns of influence : A Study of Interpersonal Influence and Communication Behaviour in Local Community», in, P. LASARSFELD and STANTON (ed.) **Communications Research** 1946 — 1949. Harper New York, 1949.

— MERTON.—**Mass Persuation,** The social Psychology of War. Bond Drive, Harper, 1945.

— Guy MILLIARD.— «Récits documentaires et fictions documentées a la télévision», in, **La fiction,** Revue de l'U.E.R., Suisse.

— Jacques MOUSSEAU.— «Les enfants et la télévision : nouvelles conclusion», in, **Communication et langages,** No. 30, 2e Triemestre 1976.

— Jacques MOUSSEAU. — **Les Communications de masse** (ouvrage collectif). L'Univers des mass media. Hachette, Paris, 1972.

— Raymond NIXON.— «Changes in Reader Attitudes Toward Daily News papers», in, **Journalism** Quarterly, Feb. 1948.

— Assadollah NOWROOZI. — **Mass media et développement national en Iran.** Etude prospective. Thèse de Doctorat d'Etat en Lettres et Sciences Humaines, Université René Descartes, Sorbonne, Paris V, Juin 1977.

— Louis PORCHER.— **Vers la dictature des media ?** Profil Actualité, Hatier, 1976.

— **Rapport de la Commission d'Etude du Statut de l'ORTF.** Paris, 1970.

— Everett M. ROGERS.— **Communication and Development, Critical Perspectives.** Sage Contemporary Social Science, Issue No. 32, Sage Publications, California, 1971.

— Jean ROSTLAND.— «La télévision, une affaire de psychiatre» inteview in, Pierre DESCAVES et A.V.J. MARTIN.— **Un siècle de radio et de télévision,** Paris, 1965.

— Pierre SCHAEFFER.— **Machines a communiquer,** Volume 2 : **Pouvoir et communication.** Ed. du Seuil. Paris, 1972.

— Wilbur SCHRAMM and Daniel LERNER (ed).— **Communica-** tion and Change. The Last Ten years-and The Next. The University Press of Hawaii, U S A, 1976.

— Wilbur SCHRAMM.— **Mass — Media and National Development.** The Role of Information in the Developing Countries. Stanford University Press, Stanford, California, UNESCO, Paris, 1974.

— Wilbur SCHRAMM. — **Men Messages and Media,** A look at Human Communication. Harper & Row, New York 1973.

— Wilbur SCHRAMM.— **Mass Communication.** University of Illinois Press, Second edition, 1960.

— Roger — Gérard SCHWARTZENBERG.—**Sociologie Politique.** Collection Université Nouvelle, Editions Montchrestien, Paris, 1974.

— Enshirah El SHAL.— **La responsabilité sociale de la télévision dans un pays en développement.** Thèse de Doctorat d'Etat. Université de Bordeaux, 1983. Publiée par l'Atelier des thèses, Université de Lille, France, 1984.

— Enshirah El SHAL.— **Les loisirs et la communication dans un village égyptien. Paper presented at the** Prague Conference. AIERI, August 1984.

— Enshirah EL SHAL.—**Regards sur le journal télévisé en Egypte.** Paper presented at the Paris Conference. August, 1982.

— Claude SHANNON & Warren WEAVER. — **The Mathematical Theory of Communication.** Urbana University of Illinois Press, USA, 1964.

— Antony SMITH. — **The Geopolitics of Information.** How Western Culture Dominate the World. Faber and Faber Limited, Great — Britain, 1980.

— Michel SOUCHON.— **«La place de la fiction dans la télévision»**, in, **La fiction, Revue de 'U.E.R.' Suisse**, 1974.

— **Statistics on Radio and Television,** 1960 — 1976. UNESCO. Paris, 1979.

— J. SULTAN, Jean-Paul SATRE.— **La télévision a la portée de l'école,** enquête de l'Institut National de Recherche Pédagogique. La Documentation Française, I.N.A., Paris, 1981.

— Roger SUE.— **Le loisir.** PUF, Collection : Que sais-je ? No. 1871, Paris, 1980.

— Gabriel TARDE. — **Les lois sociales.** PUF, Paris, 1921.

— S. TCHAKHOTINE. — **Le viol des foules par la propagande politique.** Ed. N.R.F. Gallimard, Paris, 1952.

— **Les télé-clubs en France.** UNESCO, Paris, 1955.

— Fernand TERROU.— **L'information.** — PUF, Collection Que sais.je? 4e édition, 1974.

— Jacques THIBAU. — **Une télévision pour tous les français.** Editions du Seuil, Paris, 1970.

— Jacques THIBAU. — **La télévision, le pouvoir et l'argent.**— Calmann — Lévy, Paris, 1973.

— A.— M. THIBAULT — LAULAN. — **L'image dans la société contemporaine.** Ed. Denoël, Collection : Le point de la question, Paris, 1971.

— Gabriel THOVERON.— **Radio et télévision dans la vie quotidienne.** — Centre d'Etudes des techniques de Diffusion Collective, Editions de l'Institut de Sociologie, Université Libre de Bruxelles, 1971.

— Jeremy TUNSTALL. — The American Media in the World. Constable, London, 2d edition, 1978.

— Merino UTRERAS. — «La investigation cientifica de la communication in America Latina», Chasqui Ecudor, 1974, in E.M. ROGERS. **Communication and Development,** Critical Perspective. California, 1976.

— Robert WANGERMEE.— «Public et culture en télévision,» in **Communications,** No. 14, Paris, 1969.

— Charles WRIGHT.— «Functional Analysis in Mass Communication», p. 605 — 620, in, **Public Opinion Quarterly,** Vol. 24, **1960.**

— Frederick T.C. YU. — «Research Priorities in Development Communication», in, SCHRAMM and LERNER (ed.) **Communication and Change.** 1976.

Périodiques :

— Comunications.

— Communication et Langages.

— Education 2000.

— Etudes de Radio — télévision.

— Journalism Quarterly.

— Presse Actualité.

— Public Opinion Quarterly.

— Revue de l'UER.

— Schéma et Schématisation.

ملحق رقم (١)

قصة الفيلم التليفزيونى

« اليوم التالى » (١)

استغرق اعداد فيلم « اليوم التالى » (٢) اكثر من ثلاث سنوات وعرضته محطة American Broadcasting Company (ABC) فى ساعتين وخمس عشرة دقيقة (٣) ، وشاهده أكثر من ٧٥ مليون مشاهد فى أمريكا .

وقد بدأ الفيلم مصورا للحياة العادية لعائلات تعيش فى مدينة لورانس ، الموجودة فعلا على خريطة الولايات المتحدة بالقرب من كنساس سيتى ، بمشاكلهم اليومية العادية . وفجأة يعلن التليفزيون فى نشرته الاخبارية أن المانيا الشرقية قد أغلقت الحدود بينها وبين المانيا الغربية .

ولما كان الناس قد اعتادوا الاثارة — حتى فى نشرات الاخبار — التى لم تعد تثيرهم ، واعتادوا الاعلانات عن سلع متنوعة ، فقد تصور المستمعون لهذا الخبر فى الفيلم ان شبكات التليفزيون — التى يمكن أن تقدم وتقول أى شىء (١) — تروج لحبوب مهدئة من نوع

---

(١) أرجع الى الصحافة العربية والاجنبية فى الفترة من ٢١ نوفمبر ١٩٨٣ الى فبراير ١٩٨٤ .

(٢) الفيلم من اخراج نيكولاس ماير وكتب حواره ادوارد هيوم وتكلف حوالى سبعة ملايين من الدولارات .

(٣) كان ذلك فى الساعات الاولى من يوم الاثنين الموافق ٢١/١١/١٩٨٣ .

(١) كما حدث مثلا فى الفيلم التليفزيونى NETWORK الذى يصور الحياة داخل احدى الشبكات .

جديد ، أو لرحلة سياحية لتهدئة الاعصاب ، لدرجـــة أن الجنـــود أنفسهم لم يصدقوا ما اذيع ، حتى بعد أن أعلنت الشبكة النبأ الخاص بقطع العلاقات مع روسيا ، الى أن انطلقت الصـــواريخ الامريكية تجاه الاتحاد السوفيتى ، ووقف سكان مدينة لورانس يرقبونها • وعندئذ بدأوا يعون ما يحدث ، ويتوقعون الرد السوفيتى المماثل ، فهرعوا يجمعون ما يمكن الحصول عليه من « الســـوبر ماركت » ، وعاش الجميع فى حالة جنونية من الفزع ، بعد أن عرفوا أن روســـيا تحتاج الى ٢٢ دقيقة فقط للرد على الصواريخ الامريكية بالمثل ، مما جعل الجميع يتصرفون دون مراعاة للاخرين ، يدوس بعضهم على بعض •

واكتسحت الاشعاعات النووية التى حملتها الصواريخ الروسية كل شىء ، وحولته الى رماد فى هذه المدينة ، الا بالنسبة لمن استطاع اللجوء الى المخابىء التى اعدت خصيصا لذلك تحت الارض • وعاش هؤلاء « اليوم التالى » أشلاء تتحرك وسط الدمار ، ونلتقط صـــوت الرئيس الامريكى هادئا قويا من خلال موجات الراديو يعترف للشعب الامريكى انها تجربة قاسية ولكن أمريكا قد انتصرت ، وأن مدينـــة واحدة قد تهدمت ، ولكن الولايات المتحدة ما تزال قوية قادرة على مواصلة الكفاح من أجل الرفاهية الامريكية والديمقراطية الغربية ، ولكن كل ذلك لا يهم هذه الاشلاء المتحركة ، فلا يعنيهم كثيرا أن تبقى الولايات المتحدة أو تنتصر ، أو ان يبقى العالم كله ، اذا كانوا فى عداد الموتى • والفيلم كما نرى مطالبة صريحة للمسئولين وللشعوب باتخاذ اللازم للحد من التسليح النووى ، ووقف التسابق بينها لانقاذ البشرية من الفناء •

وعلى الرغم من أن هذا الفيلم غير سياسى كما تقول محطة (ABC) التى اذاعته ، الا انه أثار جدلا واسعا فى الدوائر السياسية الامريكية• وهاجم المؤيدون لسياسات الرئيس ريجان الفيلم ووصفه احدهم بأنه

يدمر سياسة الرئيس ريجان العسكرية وعد الفيلم هجوما مباشرا على مفهوم السلام من خلال القوة •

وقد أعرب اثنان من زعماء حركات السلام التى تدعـوا الى تجميد الاسلحة النووية ، عن اعتقادهما بأن الفيلم سيكون بمثابـة دعم لمعارضى انتشار السلاح النووى والحركات المنادية بتجميده •

وقد تلقى البيت الابيض مكالمات تليفونية بعد عرض الفيلـم مباشرة ، وحتى قبل عرضه ، تسأل عن مدى صحة احـداث الفيلم ، وعما اذا كان هذا ما سيحدث عند نشوب الحرب أم أنه مبالغ فيه •

ومن الاشياء الجديرة بالذكر هنا ، ما قاله طفل فى الثالثة عشرة من عمره : « تصورت أن الفيلم خيالى فى بادىء الامر ، ولكننى حين نظرت الى والدى ، ورأيت مدى القلق المرتسم على وجهه ، فطنت الى الحقيقة ، وهى أن الفيلم بما فيه من أحداث يصور ما سيحدث فى حالة الحرب » ، وهو ما يؤكد للقارىء أن المناخ الذى يتم فيـه استقبال الرسالة الاعلامية يتدخل فى تحديد نوع التأثير الذى يمكن أن ينجم عنها •

ومما نسب الى هذا الفيلم من تأثير ، أن بعض الفتيات قـد أغمى عليهن ، واختنقت انفاس بعض الرجال أثنـاء عرض الفيلم ، وصرخت بعض النساء رعبا من الاهوال التى يصورها الفيلم (١) ، كذلك أعرب بعض المختصين عن قلقهم من ظهور أعراض غير صحية على بعض الاطفال ، مثل التلعثم والتبول اللاارادى ، والخوف •• والذى يفسره ما قاله أحد الافراد بعد مشاهدته للفيلم يصف المشاعر

---

(١) والتى يقول المتخصصون انها أضعف واقل كثيرا مما قـد يترتب من القاء قنبلة نووية •

التى انتابته اثناء متابعته للفيلم ، انه شــعر بجسده لا يقوى على الحراك ، وزاد نبضه ، وتصبب عرقه ، وتملكه احساس باليأس .

والمشاهد هنا ، أن ما حــدث من تأثير قد حــدث لدى بعض المشاهدين ، وليس لدى جميــع المشــاهدين ، كما حدث لســكان مدينة لورانس لانهم توحدوا مع أحداث الفيلم الذى صور فى مدينتهم واشترك بعضهم فى اداء بعض ادواره أكثر مما حدث بالنســبة للمدن الامريكية الاخرى التى كانت بعيدة عن الانفجار الذرى الذى وقع على مدينة لورانس فى احداث الفيلم والتى عاش أهلها ما يمكن أن يحدث لهم ولمواطنيهم عند قذف مدينتهم برأس نووى .

ولكى نعرف أهمية تأثير هذا الفيلم على الشعب الامريكى يكفى أن نعرف أن الحكومة الامريكية قد شنت حملة مضادة لاحتواء الاثارة التى سببها الفيلم . وقد اشترك فى هذه الحملــة وزير الخارجيــة الامريكية جورج شولتز ، وكينيث أولمان رئيس لجنة الرقابة على الاسلحة النووية ، وعدد من المسئولين الذين أكدوا على مساندة البيت الابيض لسياسات الرئيس ريجان القائمة على السلام من خلال القوة. وحاول الجميع فى هذه الحملة اظهار السوفيت على أنهم المعارضون لجهود ريجان الخاصة .

ومن النتائج التى تهمنا فى دراستنا نتائج المسح الذى شــمل الدولة بأكملها ، والذى أثبت أن الفيلم قد غير بعض الآراء حــول احتمال قيام حرب نووية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحــاد السوفيتى . فقد ارتفعت نسبة الذين يعتقدون أن الحرب النوويــة لن تقع قبل عام ٢٠٠٠ من ٣٢٪ قبل الفيلم الى ٣٥٪ بعد عرضه فى الاستفتاء الذى أجرته مجلة « تايم » الامريكية .

كذلك ارتفعت النسبة التى ترى أن الولايات المتحدة الامريكيــة تفعل ما فى وسعها لتجنب مثل هذه الحرب من ٣٧٪ الى ٤١٪ الا أن

شعبية الرئيس الامريكى رونالد ريجان قد انخفضت الى ٢٣٫٦٪ بعد عرض الفيلم بعد أن كانت ٧٤٪ قبل العرض • وفى استفتاء آخر ، انخفضت نسبة المعتقدين بامكانية النجاة من الحرب النووية اذا حدثت من ٧٪ قبل عرض الفيلم الى ٥٪ بعد العرض • فكيف يمكننا تفسير هذه النتائج وتحليلها ؟

كانت نفوس المشاهدين مهيأة ومستعدة لتصديق أحداث الفيلم لاسباب متنوعة نذكر منها :

— القاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ يجعل الانسان يعتقد أن من الممكن حدوث هجوم نووى فى أى لحظة من قبل القوة العظمى الاخرى « الاتحاد السوفيتى » ضد الولايات المتحدة الامريكية •

— قد تشتعل هذه الحرب بطريق الخطأ وهذا أمر محتمل الحدوث — بين لحظة واخرى — اذا عرفنا انه فى عامى ١٩٧٨ و١٩٧٩ ذكر فى التقرير الرسمى المقدم للكونجرس الامريكى ان اجهزة الانذار التى تراقب أى هجوم نووى من قبل الاتحادالسوفيتىقد سجلت حوالى ١٤٧ انذارا كاذبا ولكن كان هناك من الوقت ما يسمح بتحليلها ومراجعتها على أجهزة أخرى قبل اتخاذ اى اجراء مضاد • وهذا يعنى أنه حتى فى حالة ضبط الاعصاب والرغبة التى يمكن أن تكون اكيدة لدى القوتين العظمتين فى عدم استخدام الرؤوس النووية فى أى حرب يدخلان فيها ، فان أى بلاغ أو انذار كاذب لا يسمح الوقت بالتحقق من صدقه ، أو يصعب تحليله لكشف زيفه ، كفيل باطلاق صاروخ يحمل رأسا نووية •

— يمكن ان ينطلق هذا الصاروخ بطريق الخطأ أيضا من المسئول عن ازرار التحكم فى قاعدة اطلاق الصواريخ •

— كذلك يمكن ان تقوم هذه الحرب النووية بقرار متهور ينفرد به واحد من صانعي القرارات .

— أى أن الردع النووى — خط الدفاع الاخير لحماية الانسانية من الحرب النووية — لا يمنع من وقوع هذه الحرب عن طريق الصدفة .

— واكب عرض الفيلم فشل المفاوضات الامريكية الروسية للحد من الاسلحة النووية ، وزيادة الخوف من خطر قيام حرب نووية .

— ازدادت فى هذه الفترة وارتفعت اصوات الحركات المناهضة للسلاح النووى ، والدعوة الى تجميد الاسلحة النووية ، وقامت المظاهرات المطالبة بانقاذ البشرية من هذا السباق المخيف لهلاك الحياة .

— انتشرت الحروب الاقليمية فى جنوب شرقى آسيا وافغانستان ، ولبنان ، وجزر الفوكلاند « جرينادا » ، واسقاط الطائرة الكورية ..

— انتشرت الصواريخ المتوسطة المدى الامريكية على مستوى أوربا .

— جو الاثارة الذى واكب واعقب ، بل وسبق عرض الفيلم ، الذى وصل الى حد اعلان حالة الطوارىء فى المستشفيات الامريكية قبل عرض الفيلم بدقائق لكى تستقبل حالات الاغماء .. التى سوف تترتب على عرض الفيلم . واعقب عرض الفيلم عقد ندوة ناقشت احتمالات وآثار وقوع حرب نووية ، لتخفيف الاثر الذى قد يكون الفيلم قد تركه لدى المشاهدين ، مع تخصيص عدة دوائر تليفونية للرد على أسئلة المشاهدين بعد مشاهدة الفيلم .

— نصائح علماء النفس والاجتماع والتربية بعدم مشاهدة الفيلم لمن هم أقل من الثانية عشرة دون مرافق ، بل امتدت هذه النصيحة لتحذر من مشاهدة الفرد الفيلم بمفرده لكى يشعر بالاستئناس •

— كذلك ناشد منتجو هذا الفيلم — الذى تكلف سبعة ملايين دولار — الاباء والامهات منع اطفالهم من رؤية هذا الفيلم لما قد يثيره لديهم على المستوى العصبى والنفسى ، كما ناشدوا مرضى القلب وضعيفى الاعصاب عدم مشاهدته تجنبا لما قد يسببه من آثار •

— كذلك طلب مستشار المدارس بمدينة نيويورك « انطونى الباردو » من المدرسين حث تلاميذهم على عدم مشاهدة الفيلم بدعوى أنه مجرد فيلم من أفلام الرعب والاثارة (١) •

ومما يذكر ، أن مجلة التايم قد أشارت الى ان الفيلم كان له تأثير أكبر على الشباب تحت الخامسة والعشرين ، الذين ساروا فى مظاهرات تندد بسياسة ريجان وتنادى بالحد من التسليح النووى فى الايام التى تلت عرض الفيلم على شاشة التليفزيون • هؤلاء الصغار ، الذين لم تمسهم الحرب شخصيا ، والذين رفضوا فكرة الاشتراك فى الحرب فى استفتاء كان قد أجرى فى امريكا منذ سنوات ، قد فهموا من الفيلم أن الحرب ممكن ان تحدث فى لحظة ما فى أى مكان على سطح الكرة الارضية • وخروج هذا الشباب مطالبا بالردع النووى — وهو الشباب الامريكى الذى يمتلك القنبلة النووية — يمكننا تفسيره فى ضوء مقولة ماكلوهان الشهيرة بأن العالم قد أصبح أشبه بالقرية الالكترونية • أى أننا نرى فى خروج هؤلاء للتنديد بالحرب النووية ،

---

(١) اشترك علماء التربية مع المدرسين وعلماء السياسة وعلماء الاقتصاد ، وعلم النفس والاعلاميون وعلماء الاجتماع وغيرهم فى التحذير من تأثير هذا الفيلم •

انتماء هؤلاء الى العالم اكثر من انتمائهم القومى ، الذى ثبت ضعفه من خلال الاستفتاء السابق ذكره ، ورفض بعض الشباب الامريكى الاشتراك فى حرب فيتنام ، والذى نشاهده أيضا من قبل بعض الشباب فى فرنسا الذى يرفض مبدأ التجنيد ويستبدله بالخدمة المدنية بالعمل فى مجال التدريس أو الطب أو خلافه فى أى دولة نامية يوجه اليها •

أما بالنسبة للمشاهد المصرى لهذا الفيلم ، فنحيل القارىء أولا الى ما كتبه انيس منصـــور وصـــلاح منتصر وغـــيرهما من الكتاب والصحفيين الذين كتبوا عن الفيلم ، بعد ان ذاع صيته وكثر الحديث عن تأثيره على المشاهد الامريكى ، وما أحدثه من توتر فى المجتمـــع الامريكى ، فى الصحف العربية والاجنبية — ثانيا ، نذكر هنا تجارب شخصية مر بها طلبة الفرقة الاولى (١٩٨٣ — ١٩٨٤) بعد الحديث عن ماهيـــة هذا التأثـــير الذى نســب لفيلـــم « اليوم التـــالى »

فقد حضرت احدى طالباتنا عرضا للفيلم فى المركز الثقافى الامريكى ولم يسترع انتباهها أى تأثير غير عادى على المشاهدين أمام الشاشة اثناء أو بعد العرض • وذكر لنا طالب آخر أنه عند مشاهدته لهذا الفيلم « هاله » انصراف الشباب المصرى الموجود فى صالة العرض عن الفيلم فى احاديث كروية بحته •

مما سبق يمكننا اذن أن نفترض أن التأثير الذى قد تحـــدثه الرسالة الاعلامية الواحدة قد يختلف من مجتمع لآخر •

وكان من الطبيعى أن تلفت هذه النتيجة انتباه بعض الطلبـــة فى اطار هذه المادة التى تتناول العلاقة التى يمكن أن تقوم بـــين وسائل الاعلام والمجتمع • فاتجه بعض منهم لدراسة هذا الموضوع ميدانيا [1] ، للتعرف على دور الصحافة المصرية فى الدعاية لهذا الفيلم

---

(١) نخص بالذكر هنا كلا من ابراهيم السيد وجيهـــان عطيه ومى الشافعى ودينا جمال وامل على واحمد عبد العزيز .

واعطائه اهمية أكبر من حجمه (٢) ، كذلك البحث عن التأثير الذى يمكن أن يكون هذا الفيلم قد تركه لدى المشاهد المصرى ، ومدى تصور المواطن المصرى لامكان قيام حرب نووية ، ونظرا لضآلة حجم العينة التى درست ، من الصعب ذكر النتائج التى توصل اليها الباحثون ، وان كنا نتركها كفروض وتساؤلات يمكن ان تبحث فى دراسات متعمقة فيما بعد .

مما سبق يمكننا ان نحدد ثلاثة عوامل قد يكون لهـا دور فيما نسب لهذا الفيلم من اثارة الرعب والفزع فى نفوس المشـاهدين فى أمريكا وهى :

— محتوى الفيلم نفسه والذى رأينا أن فى الامكان حدوثه وقد حدث فعلا سنة ١٩٤٥ — والذى لعب الاخراج دورا فى تجسيده الى درجة تقرب من الواقعية — بالنسبة لبعض المشاهدين على الاقل . كما أن معدى الفيلم قد اعتمدوا على تقرير رسمى أصدره الكونجرس تحت عنوان « الآثار التى تترتب على الحرب النووية » .

— خصائص الجمهور الامريكى الذى شاهد الفيلم وتأثر به ، ولم يتأثر به من شاهده من المصريين مثلا .

— التوقيت الذى اذيع الفيلم فيه ، والذى قد يكون السبب فى خروج المظاهرات فى دول أوربية عديدة تندد بالتسليح النووى .

---

(٢) بعد أن شاهده بعض الطلبة ولم يجدوا فيه الاثارة التى قرأوا عن آثارها بالنسبة لهذا الفيلم .

ملحق رقم (٢)

الآثار السيئة التى تنسب الى التليفزيون

نشر فاروق جويدة المقالة التالية فى جريدة الاهرام (١) ضمنها عدة تساؤلات تشير الى اتهامات صريحة يوجهها الى جهاز التليفزيون، والتى نذكرها هنا لا للرد عليها ، ولكن لكى يعرف القارىء وجهات النظر المختلفة .

بعد ربع قرن ماذا فعل التليفزيون بالعقل المصرى ؟

انتهى « عرس » التليفزيون واحتفل بعيده الفضى ..

ومن حق التليفزيون ان يحتفل بعيده .. ومن حقه علينا أن نحمل له باقات الورود فمهما كانت ملاحظاتنا عليه .. ومهما كان عتابنا له .. فهو صديق الاسرة الذى لا غنى عنه ابدا ، بل انه صديق اطفالنا الدائم الذى لا يفارقنا .. وان فارقناه .. فنحن الهاربون منه اليه .

والسؤال الذى يطرح نفسه الان بكل الصدق والامانة وقد هدأت الاحتفالات وتوارت باقات الزهور ..

ماذا فعل التليفزيون بالعقل المصرى فى ربع قرن من الزمان تسيد فيها هذا الجهاز الساحة الثقافية والاعلامية واصبح يتحمل مسئولية تكوين اجيال كاملة فى اخلاقها وسلوكها وثقافتها ؟

---

(١) جريدة **الاهرام** المصرية فى ١٩٨٥/٩/٥ .

وكيف تكونت هذه الاجيال •• وماذا حدث لها والى اين وصل بها المطاف ؟

لقد انتزع هذا الجهاز الصغير الريادة من كل الوسائل التقليدية للثقافة ابتداء بالكتاب وانتهاء بالمسارح ودور السينما •

ان خبراء السياسة والاعلام يقولون : ان الشعوب فيما مضى كانت تحكمها الجيوش أو يحكمها الساسة •• بمعنى ان الدول المتقدمة تحكمها احزابها ومؤسساتها وتقاليدها الدستورية السياسية العريقة والدول المتأخرة تحكمها الانقلابات العسكرية واساليب البطش والقهر السياسى والمعنوى •• ولكن خبراء السياسة والاعلام يقولون ان من يمتلك الاعلام اليوم هو الحاكم الحقيقى فى هذا العالم والتليفزيون اخطر وسائل الاعلام فى عالمنا المعاصر •

واليوم ونحن نطرح هذه القضية للحوار •• نريد أن نسأل التليفزيون ماذا فعلت بالعقل المصرى ؟ وكيف يرى اصحاب الرأى دور التليفزيون على امتداد ربع قرن من الزمان •• هل كان دورا ايجابيا •• أم كان دورا سلبيا •• ام ان موضوعية الحوار تتطلب ان نذكر ايجابياته كما نشير الى سلبياته ••

ولنسأل التليفزيون — ساحرنا العجيب — كيف تسلمت العقل المصرى — والى اين وصلت به ؟

تسلمت العقل المصرى وهو على قمة الهرم الاجتماعى موقعا وسلوكا وترفعا فاين هذا العقل الان فى مباريات كرة القدم والمسلسلات والاغانى والبرامج الهزيلة ؟

تسلمت العقل المصرى والثقافة تضع صاحبها فى أعلى المراتب واليوم أصبح على قمة الهرم الاجتماعى تجار الخردة والمهربون وتجار السوق السوداء واصحاب الصفقات المشبوهة •

فماذا فعلت مسلسلاتك واغانيك وافلامك بعقل مصر ووجدانها ؟

تسلمت العقل المصرى وعشرات بل مئات القدرات الجادة المترفعة التى تكونت تكوينا ثقافيا سليما تأخذ مكانها بقدرتها وكفاءتها فى كل موقع من مواقع حياتنا •• فاين اليوم اصحاب القدرات الحقيقية والى اين وصل بهم الحال •• واين الذين جعلوا كفاءتهم وحدها سلاحا فى سراديب الشللية والانتهازية والمجاملات ؟

تسلمت العقل المصرى وهو فى قمة نضجه وعطائه وتطوره فكنا نرى المثل والقدوة فى العقاد وطه حسين والحكيم ووصل بنا الحـــال لكى تصبح القدوة امام ابنائنا لاعب كرة أو مطربا قبيح الصـــوت أو تاجر خردة نصب على بنك واختلس الملايين وفر هاربا •

وحار ابناؤنا وحرنا معهم لان هدفا فى مباراة أهم فى حياتنا الان من كل ما كتب العقـــاد وطه حســـين والحكيم واهم من كل الحـــان عبد الوهاب والسنباطى ومسرحيات يوسف وهبى •

واذا كانت مباراة كرة القدم تأخذ الساعات على شاشتك الصغيرة اذاعة وتحليلا ورصدا واعادة وتمجيدا فان ذكرى العقاد وكتبه المائة لا تأخذ اكثر من ربع الساعة على خريطتك العادلة !!

كيف تسلمت السينما المصرية •• والى اين وصلت بها ؟

اين الترفع فى افلامنا حوارا وقدوة وسلوكا •• وكيف وصل بنا الحال الى ما نحن فيـــه من افـــلام الجنس والمخـــدرات والابتذال والترخص ؟

تسلمت الاغنية — يا جهـــازنا الحبيب — وفرســـانها أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم والســـنباطى وفريد الاطرش وعشرات غيرهم •

فما هى الاغانى التى تقدمها لنا اليوم .. واين اصواتك وأغانيك والحانك .. وكيف اصبح من حق أى .. ان يدخل ستوديوهاتك ويغنى ويؤذى مشاعرنا ويخرب وجدان ابنائنا بأصوات رديئة وكلمات هابطة.

ما هى القدوة التى تقدمها مسلسلاتنا اليوم ؟

قد يرى البعض ان هذه التساؤلات تحمل التليفزيون مسـئولية ما اصاب مصر كلها وكأنه سبب الكارثة . ولكن السؤال الان ما هى حدود مسئولية التليفزيون ؟

ان القانون يعاقب بائع المخـدرات ومروجها ومن يتعاطاها .. فمن يا ترى يستحق العقاب .. الذين انتجوا الافلام والمسلسلات والاغانى الهابطة .. أم الذين مثلوها .. ام الذين روجوها ودخلوا بها الى ابنائنا الامنين فى غرف نومهم ؟

انا لا اتصور مثلا الا نسأل التليفزيون عن أغنية ركيكة يقدمها حتى ولو لم يكن منتجها .. أو مسلسل هابط حتى ولو جاء فى شـكل هدية أو برنامج تافه حتى ولو ارتدى اقنعة الثقافة أو الدين أو الفن .

لقد اصبح التليفزيون اليوم هو المعلم الاول وتجاوز بتأثـيره حدود البيت والمدرسة والمجتمع كله .

ولهذا نريد ان نسمع رأى علماء الاجتماع وعلم النفس وخبراء الانتاج عن أثر التليفزيون على العلاقـات الاجتماعيـة والاخلاقية والسلوكية فى الانسان المصرى .

هناك فنون تعلم الانسان التكاسل والسلبية واللا مبـالاة فاين تقع مسلسلاتنا وافلامنا وسط هذه التيارات ؟ وهل شاركت فى بنـاء انسان أفضل ام تركت لنا اجيالا ضائعة تواجه الحياة بكل مظاهـر الخمول والتكاسل ؟

اين الفلاح المصرى هذا العملاق الذى كنا نراه فى حقله مع صلاة الفجر كل صباح شامخا كاشجار النخيل .. ماذا فعل به التليفزيون ؟

ترى هل ساعده على ان يتخلص من جهله وجعله أكثر قدرة على العمل والانتاج أم زاده مع الايام جهلا وتراخيا وسلبية ؟ !

لقد اعاد التليفزيون تكوين الحياة فى مصر .. ولكن السؤال الان : هل مضى بها الى الافضل .. ام جعلها تخسر أعظم ما فيها ؟

كيف تؤدى تليفزيونات العالم دورها .. ان الناس فى كل دول العالم تشاهد التليفزيون مثلنا تماما .. ولكنهم يذهبون الى اعمالهم فى أوقاتها ويؤدون الواجب على أكمل وجه .. انهم يقدمون مباريات كرة القدم ولكن دون أن تسبقها أغانى وكأننا فى حالة حرب .

انهم يشعرون بقيمة وخطورة هذا الجهاز ولذلك يخططون له كل صغيرة وكبيرة .. فكيف نرى نحن دور التليفزيون فى حياتنا ؟

هذه التساؤلات نطرحها للحوار وليس معنى طرحها اننا ننكر الدور الكبير الذى يقوم به التليفزيون فى حياتنا أو الجهود التى يقوم بها المسئولون عن هذا الجهاز الخطير .. ولكن جاء الوقت لكى نسأل أنفسنا ماذا فعل التليفزيون بالعقل المصرى — قضية تستحق ان نناقشها بدون حساسيات .

ملحق رقم (٣)
المخدرات والشباب ودور وسائل الاعلام
دراسة استطلاعية

تقـــديم :

العينة التى ندرسها هنا اختيرت بطريقة عشوائية من بين طلبة جامعة القاهرة الزين يتعاطون المخدرات • ونظرا لضيق الوقت فقـــد اقتصرنا فى الاستمارة على مجموعة تساؤلات قليلة يمكن من خلالها الوصول الى ما نبحث عنه • وعلى وجه التحديد : كيف تصل هـــذه المخدرات الى يد الشباب والاسباب التى تدفعه الى ذلك ، ومـــدى اقتناعه بها ، والاسلوب الذى يسلكه للعلاج لنطرحها للمناقشـــة فى الندوة التى نظمتها أسرة « الطيور المهاجرة » بكلية الاعلام حـــول موضوع الساعة « المخدرات » (١) •

ونحن نعرض هذه النتائج دون التعمق فى التحليل ، خاصة أن البحث قد أجرى على ٣١ حالة فقط ، وهذا لا يسمح بتعميم النتائج ، كما أن أسلوب اختيار العينة لم يتم بطريقة علمية مدروسة ، بل ترك للباحث الميدانى حرية اختيار المفردات من داخل الحرم الجامعى ، ونأمل أن يستكمل هذا البحث كما أشار سيادة وزير الاوقاف فضيلة الدكتور الاحمدى ابو النور أثناء مناقشة البحث فى النـــدوة (٢) ، بدراسة مقارنة تستهدف معرفة نسبة انتشار المخدرات بين الشباب

---

(١) أقيمت هذه الندوة فى كلية الاعلام يوم ١٤ نوفمبر ١٩٨٥ وحضرها فضيلة الدكتور وزير الاوقاف ، والدكتور عمر شاهين استاذ الطب النفسى بالقصر العينى ، والدكتور على محمد دياب استاذ التحاليل والسموم بالمركز القومى للبحوث والاستاذ عبده مباشر رئيس تحرير جريدة شباب بـــلادى والاستاذ الدكتور مختار التهامى عميد كلية الاعلام والذى أدار النـــدوة ، وصاحبة هذا البحث وهذه السطور التى نظمت الندوة ودعت اليها .

(٢) عرض سيادته أن يقوم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بنشر الموضوعات التى نوقشت فى هذه الندوة والكلمات التى قيلت والاســـئلة التى وجهت الى أعضاء الندوة والردود عليها فى كتاب خاص على نفقـــة الوزارة .

حيث ظهر من بحث للدكتور مصطفى سويف انها وصلت الى ٣٦٪ بين الشباب الجامعى ، و ٢٠٪ بين تلاميذ المرحلة الاعدادية (١) ، واقترح سيادته أن يؤخذ فى اعتبار عامل الدين كمتغير أساسى فى المقارنة بين فئات الشباب التى تتعاطى المخدرات .

والجدول التالى يوزع العينة المبحوثة تبعا للكليـة والسـنة الدراسية .

جدول رقم (١)
توزيع العينة تبعا للكلية والفرقة الدراسية

الفرقة / الكلية	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	لم يحدد	المجموع
التجارة		١	٢	٢	١	٦
الآداب			٣	٣		٦
الحقوق	١	٢	١	١		٥
الإعلام			١	١		٢
العلاج الطبيعى				١		١
الزراعة				١		١
العلوم	١					١
لم يحدد	٢	٢	٣	٢		٩
المجموع	٤	٥	١٠	١١	١	٣١

من الجدول السابق يتضح أن تعاطى المخدرات حقيقة موجودة لدى الشباب فى جامعة القاهرة ، وان كان أكثر من ثلث العينة المدروسة قد رفضت ذكر اسم الكلية التى تدرس بها ، ومن السهل تفسير هذا الموقف .

---

(١) عمر شاهين (اثناء مناقشة البحث فى الندوة) .

أما عن ترتيب الكليات تبعا لحجم العينة التى تتعاطى المخدرات فان ظهور كليات : التجارة والآداب والحقوق فى المقدمة قد يرجع الى أعداد الطلبة فيها والذى يفوق مثيله فى كليات أخرى كالعلاج الطبيعى والزراعة والعلوم والاعلام ، كذلك لاننا فى هذا البحث الاستطلاعى لم نتبع الاسلوب العلمى عند استخراج العينة •

كذلك يتضح من الجدول السابق أن ذكر الفرقة الدراسية — والذى كان واضحا الا فى حالة واحدة — لا يشكل عقبة لدى المبحوث ، فالانتماء الى الكلية أقوى من الانتماء الى الفرقة الدراسية التى قد لا تفصح عن شخصية الفرد بقدر ما يفصح عنه اسم الكلية • وكان من الطبيعى أيضا ان يرتفع عدد المتعاطين بين السنوات الاخيرة عن الاولى ، حيث نجد فى عينتنا المدروسة أربع حالات — فى الفرقة الاولى تزداد الى خمس فى الفرقة الثانية فعشر حالات فى الفرقة الثالثة واحدى عشرة حالة فى الفرقة الرابعة • والتفسير قد يكون فى « الشلة » التى تستقطب أعضاء جدد طوال سنوات الدراسة بالجامعة ، أو فى السبب السابق المتعلق بطريقة استخراج العينة •

والجدول التالى يوزع العينة تبعا للسن ونوع المخدر •

جدول رقم (٢)　　توزيع العينة تبعا للسن ونوع المخدر

نوع المخدر / السن	حشيش	حبوب L.S.D برشام أقراص	هيروين	سجائر محشية (١)	أفيون	كوكايين	ماكسفورت	حقن سيتيدول	خمر	توسيفان (٢)	ماريجوانا (٣)	كل شيء	حجم العينة أصلا في الفئة	المجموع
١٧			١									١	١	٢
١٨													—	—
١٩	١							١			١		٢	٢
٢٠	٦	٢	١	١								١	٦	١٢
٢١	١٠	٤	٢		١	١	١	١	١	١			١١	٢١
٢٢	٥	١										١	٥	٧
٢٣	٢												٢	٢
٢٤	٣											١	٣	٤
٢٥	١												١	١
المجموع	٢٨	٧	٤	١	١	١	١	١	١	١	١	٤	٣١	٥١

(١) فتاة عمرها ٢٠ سنة .

(٢) شراب يؤخذ كعلاج مهدىء لحالات السعال .

(٣) الماريجوانا Marihuana هو النبات الذى يصنع منه الحشيش .

من الجدول السابق يتضح أن الحشيش هو أكثر المخدرات انتشارا بين الشباب الجامعى فى العينة المدروسة ٠

وقد تكرر ذلك الحشيش ٢٨ مرة (١) فى عينة حجمها ٣١ مفردة فقط ٠

أما الحالات الثلاث التى لم تذكر الحشيش صراحة فقد كانت على النحو التالى :

١ — طالب عمره ١٧ سنة ذكر أنه جرب جميع الاصناف ولكنه يتعاطى الهيروين حاليا ٠

٢ — طالب عمره ١٩ سنة يتعاطى الحقن

٣ — طالب عمره ٢١ سنة يتعاطى حبوبا ودواء توسيفان ٠

ويلى الحشيش فى الانتشار البرشام والاقراص وحبوب الهلوسة LSD (٢) ، وقد يرجع ذلك الى سهولة تداولها دون أن تكتشف ، والتى قد يروجها البعض على أنها نوع من الاسبرين ، ومثال ذلك الحالة التى قرأنا عنها فى الصحف لامرأة توزع هذه الحبوب حول حمام السباحة فى أحد النوادى الكبيرة بالقاهرة ٠

أما الهيروين والكوكايين فسنتناول الحالات التى ذكرت أنها تتعاطاها حالة حالة :

١ — الطالب الوحيد الذى عمره ١٧ عاما وهو أصغر أفراد العينة يقول:

---

(١) ٢٧ « حشيش » + ١ « سجائر محشية » ٠

(٢) يقول الدكتور على محمد دياب أن هذه الحروف المختصر للاسم الانجليزى : Lysergic Acid Diethanolamide وقد وجدناها مكتوبة LSD بدون نقط وبدون الاشارة الى معناها فى :

Henry KEMPE, Henry K. SILVER, Donough O'BRIEIN.— **Current Pediatric Dignosis & Treatment.** 6th edition, Middle East Edition, Beirut, 1980, p. 677.

« بــدأت فى التعاطى وســنى ١٦ عاما ، وتعاطيت كل شىء ، واستمريت فى الهيروين وكان ذلك بسبب قريب لى ، ولكننى تحت العلاج الآن » .

٢ — الفتاة الوحيدة فى العينة المدروسة وعمرها ٢٠ سنة وتتعاطى المخدرات منذ ثلاث سنوات تقول انهـــا تعرفت على كوافيره عرضت عليها نوعـــا من البرشـــام بعد أن عرفت أنها تتعاطى الحشيش ، وقد عرفتها الكوافيرة بمجموعة من الشبان العرب فانزلقت معهم حتى أدمنت الهيروين ، وقد بدأت الفتاة فى العلاج وتقول :

« لم يلاحظ ذلك أحد فى البيت لانشغال كل واحد بنفسه » .

٣ — الحالة الثالثة لطالب عمره ٢١ سنة يتعاطى الحشيش والهيروين والكوكايين وبدأ ذلك منذ التاسعة عشرة . يقول بالحرف :

« لا يوجد سبب مقنع للادمان » أما سبب تعاطيه فهو مجموعة من الاصدقاء كانت تتلاقى يوميا أقنعوه بالتجربة التى بدأت فى صورة مجـــاملات ثم أصبحت عادة . ويقول بأنه أحس أنه انطوائى ، ولذلك قرر مرات كثيرة أن يقلع ولكنه كان يعود مرة ثانية . وقد بدأ فى العلاج الذى سيأخذ فترة ويؤلمه ما حدث له من تغيرات جسمية وذهنية .

٤ — أما الحالة الرابعة فهى لطالب عمره ٢١ سنة ويتعاطى الهيروين والماكستنفورت والحشيش و LSD ، وكانت البداية

بالحشيش وعمره ١٩ سنة لكى يمنع أصدقاءه من تلقيبه بالطفل.

أما الحقن فقد بدأت مع الاصدقاء ثم اســتمر فيها تلقائيا ، وعرض عليه الهيروين ، ولكن لما كانت « مصاريف » الهيروين كبيرة انتقل لنوع آخر .

٥ ــ والحالة الوحيدة للماريجوانا لطالب عمره ٢٠ سنة وكان ذلك عن طريق أحد الاصدقاء الذى كان يعتبره مثل أخ اكبر ، وكان ذلك فى الولايات المتحدة ، ولم يتعاط المخدر وحده أبدا ، ولكن كان ذلك يتم دائما مع الاصدقاء .

والجدول التالى يوزع العينة تبعا للسن وتاريخ بداية التعاطى :

جدول رقم (٣)

توزيع العينة تبعا للسن وبداية تعاطى المخدر

م	السن / بداية التعاطى	١٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	المجموع
١	من الإعدادية				١	١				١
٢	من ثانية ثانوى									١
٣	من الثانوية العامة			١	١					١
٤	من ثلاث سنوات									١
٥	من سنتين			١	١					١
٦	من سن ١١ سنة			١(١)						١
٧	« « ١٥ «			١	٢	١				٤
٨	« « ١٦ «		١	٢			١			٥
٩	« « ١٧ «	١	١		٢			١		٤
١٠	« « ١٨ «				١		١			٢
١١	« « ١٩ «			١	٣	١				٥
١٢	« « ٢٠ «					١		١		٢
١٣	« « ٢١ «							١		١
١٤	« « ٢٢ «					١			١	٢
	المجموع	١	٢	٦	١١	٥	٢	٣	١	٣١

(١) حالة الماريجوانا الوحيدة فى العينة .

اذا حللنا معطيات الجدول السابق نلاحظ أن الحالات الخمس الاولى قد ذكرت بدائل تشير الى حالات خاصة قد تكون لاسباب نفسية — ظهرت بوضوح فى أقوال البعض — وان كنا لا نرى علاقة سببية واضحة تربط ما بين الحالة النفسية للفرد وبين تعاطى المخدرات فكل واحد منا يمر بأزمات نفسية ، ولكن التعلل بأزمة نفسية بسبب الثانوية العامة أو بمشاكل منزلية مصدرها اختلاف فى الرأى مع الوالدين ، فنحن نتساءل هنا كم منا لم يختلف فى الرأى مع والديه ؟

وحالة أخرى بدأت وهى فى الاعدادية بالسجائر (١) وتتعاطى الآن الحشيش والافيون والخمر ، ويقول صاحبها ان مصروفه كان كبيرا ، وكانت هناك خلافات كثيرة فى الاسرة • وما زلنا نؤكد أن هذه الخلافات داخل الاسرة لا يجب أن تكون « الشماعة » التى يعلق عليها البعض السبب فى انحرافهم بشكل أو بآخر •

وحالة ثالثة ذكر صاحبها أنه بدأ تناول الحشيش من سنتين فى ليلة رأس السنة « لزوم الفرفشة مع الشلة » • نفس الشىء بالنسبة للطالب الذى بدأ من ثانية ثانوى فى تعاطى الحشيش والافيون أثناء التهريج مع « الشلة » واندفاعه الى مشاركتهم « للمجاراة والتقليد »•

أما الطالبة التى بدات منذ سنوات بتعاطى الحشيش فقد كان سبب انزلاقها الى تعاطى البرشام الفانتوم والهيروبين — حسب تعبيرها — أنها تعرفت على مجموعة من الشباب العرب • ونلاحظ هنا وحدتها النفسية داخل الاسرة فى قولها انها بدأت فى العلاج ولم يلاحظ ذلك أحد فى البيت لانشغال كل واحد بنفسه • وهنا نفتح قوسين لكى نقول لمثل هذه الفتاة ان والديها ، وان كنا نؤمن تماما بتقصيرهم فى رعايتها وتأديبها وهو حق لها ، الا أن هذا التقصير بالانشغال

---

(١) ظهر احتمال وجود علاقة ارتباط بين السجائر وتعاطى المخدرات، فهى البداية للانزلاق لدى البعض .

عنها قد يكون لجمع المادة التى توفر لها حياة الرفاهية التى تصبو اليها • فلتراجع اذن نفسها •

وحالة أخرى فى هذه الفئة لطالب سافر الى المانيا وتعرف على صديق المانى وفتاة مصرية ، وبدأ يتعاطى الحشيش وأنواعا أخرى كثيرة من المخدرات لملء وقت الفراغ الكبير الذى كان يعيش فيه ، ولكنه امتنع الآن من حوالى سنة ونصف •

أما الحالات الاخرى — وعددها ٢٦ حالة — فقد عرفت تاريخ بداية الادمان ببلوغها سنا معينة ، من سن ١١ سنة ، وهى حالة نادرة لشاب كان فى امريكا وتعاطى الماريجوانا وشجعه على ذلك صديق كان يعتبره الاخ الاكبر (١) •

وتتركز معظم الحالات فى العينة المدروسة هنا — ٢٠ حالة من ٣١ — فى الفئة التى ذكرت أنها بدأت فى تعاطى المخدرات عندما وصل سنها الى ١٦ أو ١٧ أو ١٨ أو ١٩ سنة ، وهى فترة حرجة تفصل ما بين مرحلتى المراهقة والرجولة ، وفيها قد يندفع البعض فى تصرفات يعتقد أنها من سمات الرجولة والشخصية الكاملة • وقد ظهر ذلك واضحا لدى البعض فى العينة المدروسة عندما قال واحد منهم ان البداية كانت بالحشيش « لمنع أصدقائه من تلقيبه بالطفل » ووصل الآن الى الهيروين والماكستنفورت والحشيش وحبوب الهلوسة •

وآخر بدأ وعمره ١٦ سنة بالحشيش ويقول ان ذلك كان بعد انتقاله من مدرسة انجليزى الى مدرسة عربى ، وكان يأخذ دروسا خصوصية مع زملاء له بدأوا يقولون له « انت راجل ولازم تشرب » وكانت البداية بتشجيع من المدرس الذى كان مثالا لهم •

والى هؤلاء نقول ان الرجولة ليست فى تعاطى المخدرات ، وهذا المدرس ليس مثالا يحتذى ، فالرجولة هى أن تنجح فى حياتك وتثبت وجودك بطريقة عملية لصالح المجتمع •• أن تساهم فى وضع لبنة

---

(١) انظر ما سبق •

فى بناء هذا المجتمع .. أن تحاول أن تجد مخرجا للازمات التى يمر بها الوطن وأن تشارك ايجابيا فى حل مشاكله .

والجدول التالى يوضح كيف بدأ الشباب فى العينة — فى تعاطى المخدرات .

جدول رقم (٤)
بداية تعاطى المخدرات بين شباب جامعة القاهرة

م	ظروف البداية	التكرار
١	التهريج مع « الشلة » لمجاراتها	١٧
٢	المغامرة وحب الاستطلاع	٧
٣	أزمات نفسية وعاطفية	٢
٤	خلافات فى الأسرة واختلاف فى الرأى	٢
٥	إنشغال كل واحد فى الأسرة بنفسه	١
٦	المصروف الكبير	١
٧	وقت الفراغ	١
٨	لمنع تلقيبه بالطفل	٢
٩	بتشجيع من بعض الأقارب أو ذوى المكانة	٣
	المجموع	٣٦

من الجدول السابق يتضح أن الاسباب الرئيسة وراء اندفاع الشباب الى المخدر فى الحالات — موضع الدراسة — يرجع بالدرجة الاولى الى « الشلة » ومحاولة مجاراتها فى طريق عواقبها يعرفها كل منا . ١٧ حالة من ٣١ — أى أكثر من النصف — سلكت هذا الطريق الشائك بسبب الصحبة اما للتهريج أو « للفرفشة » ، او للاندماج معهم ومجاراتهم ، أو لاثبات قوة الارادة على سبيل التحدى .

وما أشبه الفـــرد هنا بمن يلقى بنفســـه فى النـــار لكى يثبت للمشاهدين قوة تحمله ، والنار لن تمس أحدا سواه • فلننتبه اذن لكل خطوة نخطوها •

وما أشبه هؤلاء أيضا بمن يقولون انهم قد اضطروا لتعاطى المخدر حتى لا يقال عنهم انهم أطفال أو مراهقون • الطفل هو الذى لا يعرف عواقب ما يقدم عليه أما الرجل فهو الـــذى يدرك ذلك تماما ، ويعى عيوب وخطورة الافعال التى لن يجنى منها سوى الضياع فلا يقـــدم عليها بل يتجنبها ويتجاهلها • كذلك هؤلاء الذين تناولوا المخدر للمغامرة وحب الاستطلاع والتجربة •• والعواقب معروفة •

« والشلة » فى دراستنا هذه شملت — فيما شـــملت — زمـــلاء الدراسة والاصدقاء منذ المرحلة الثانوية ، وأيضا بعض الاقارب الذين ذكروا كمشجع فى بداية التعاطى ، ولن نكرر ما سبق ان قلناه فى ندوات سابقة بأ ن لأولادنا حقوقا يجب أن نعطيها لهم • وليست هذه الحقوق فى « المصروف الكبير » — الذى نلمس هنا أنه قـــد يكون ســـببا فى انحرافهم — ولكن فى مراقبة نوعية الأصدقاء الذين يختلط بهم الابن وفى الاستماع اليهم وفى حسن توجيههم وفى ملاحظتهم ، حتى يبلغوا مبلغ الرجال ، وليكن لنا فيما قاله رسول الله صلى الله عليه وســـلم منهج فى حياتنا حين قال : « أكرموا أولادكم وأحســـنوا أدبهم » (١) وحين قال : « ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن » ، وما قيل كذلك فى أدب الولد : « ادبه سبعا وعلمه سبعا وصادقه سبعا ثم اترك حبله على غاربه » •

---

(١) رواه ابن ماجه (الترغيب) •

وخطورة « الشلة » تظهر واضحة اذا عرفنا أن واحـــدا فقط فى العينة هو الذى اشترى المخدر بنفسه للتجربة ، أما بقية الافراد فكانت البداية على شكل « عزومة » فى سيجارة « محشية » أو قطعة شيكولاته ملغمة أو حشيش سرقه زميل من والده !

وقد ذكر اثنان أن البداية كانت مع زميل أثناء رحلـــة . وهنا نطالب بتشديد الرقابة على مثل هذه الرحلات ، فالمسئولية مشتركة بين المؤسسات التعليمية وبين الاسرة .

وما دمنا نتكلم عن المسئولية فسوف نتناول البدائل التى ذكـــرت فى البحث والتى تشير بأصابع الاتهام تجاه المسئول :

١ ـــ **الأسرة** : المسئول الاول عن التنشئة الاجتماعية للفرد حيث ذكر البعض أن هناك مشـــاكل منزلية ســـببها اختلاف فى الرأى مع الوالدين ، وأن المصروف كبير جدا ، وآخر يسرق المخدرات من والده ، وآخر يسكن حى الباطنية ، وأصدقاء الاسرة ، والاقارب .. وعـــدم انتباه أى فرد فى الاسرة للآخر (١) .

٢ ـــ **المؤسسة التعليمية** (٢) : حيث الرقابة شبه معدومة والفراغ كبير واختلاط «الحابل بالنابل» وأصدقاء السوء،والدروس الخصوصية، والرحلات دون رقابة .

٣ ـــ **البيئة الاجتماعية** : الكوافيرة وكشك الســـجائر وســـهولة الحصول على المخدر بسهولة ، فقد ذكر بعض الطلبة أن الحشـــيش والبرشام والأنواع الاخرى يمكن شراؤها داخل الجامعـــة وحـــول سورها ، ويؤكد ذلك القبض على عاملـــة بكليـــة الآداب وفى حوزتها

---

(١) ويظهر ذلك من تحليل اجابات المبحوثين هنا حيث نجد أن من بين الـــ ٣١ حالة لم تكتشف الاسرة ذلك الا فى حالة واحدة فقط .. وذلك اما لانشغال كل فرد فيها عن الآخر ، أو لعدم معرفة الاسرة بالاعراض وهذا ما تحاول أن تقوم به أجهزة الاعلام الآن .

(٢) المدرسة أو الجامعة .

مخدرات . كذلك اتهمت الحكومة بأنها « لا تحارب المخدرات » ولكنها تسعى فقط وراء المستهلكين (١) ، كذلك سفر الشباب من صغار السن الى الخارج دون رقابة كما ظهر من خلال حالتين فى دراستنا .

٤ — وسائل الاعلام أصابع الاتهام امتدت أكثر من مرة فى هذا البحث لكى تشير الى حملات التوعية التى تشنها وسائل الاعلام من حيث أنها شجعت على اقدام البعض منهم على هذه التجربة (٢) ، وقد دافع الدكتور عمر شاهين عن وســائل الاعــلام التى قامت بتوعية الجماهير بالمشكلة وخطورتها ، كما اعترف لى أحد الاساتذة انه أصبح يعيش فى حالة رعب وبتفحص وجوه أبنائه يوميا .. وهذا يؤكد نجاح وسائل الاعلام فى التوعية (٣) .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن .. هل الشباب الجامعى مقتنع بتعاطيه للمخدرات ؟

٢٠ حالة من ٣١ غير مقتنعة ، والجدول التالى يوضح ذلك .

---

(١) طالب يسكن حى الباطنية .

(٢) حملات التوعية تشجع على التجربة (طالب بالسنة الثالثة بكلية الحقوق ٢١ سنة) .

(٣) فى الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية للاتصال من أجل التنمية عن دور وسائل الاعلام فى محاربة المخدرات ذكر محمد وهبى أن وسائل الاعلام فى المانيا قادت حملتين لمحاربة المخدرات فى منتصف الستينات ومنتصف السبعينيات وأظهرت نتائج البحوث هناك ان الادمان زاد خلال الفترة ما بين الحملتين ...

جدول رقم (٥)
درجة اقتناع عينة البحث بالمخدرات

م	درجة الاقتناع	العدد
١	امتنع عن تعاطيها نهائياً ومرت الأزمة دون مشاكل(١)	٤
٢	امتنع تماماً لاقتناعه بعدم نفعها(١)	٣
٣	لا يدمن ولكنه يتعاطاها على خفيف	٣
٤	امتنع عنها بسبب وفاة أحد أصدقائه أمامه أثناء تعاطيه المخدر(١) (٢)	١
٥	أحس أنه إنطوائي وقرر الإقلاع(١)	١
٦	غير مقتنع إطلاقاً بالمخدرات	١
٧	لا يوجد سبب مقنع للإدمان	١
٨	مقتنع بأنه غير مفيد ويمكن التخلص من هذه العادة بالابتعاد عن « الشلة »(١)	١
١٩	يحاول أن يمارس اليوجا للتخلص منها	١
١٠	غير مقتنع بها ولكن خارج إرادته(١)	١
١١	يلغى التفكير(١)	١
١٢	شيء ممل فالفرد لا يستطيع السيطرة على إنفعالاته	١
١٣	اكتشف الأهل حالته وتحت العلاج(٣)	١
	المجموع	٢٠

(١) هذه الحالات تشير الى التأثير السيء للمخدرات .
(٢) هذا الصديق كان ضابطا بالشرطة .
(٣) يشير ذلك الى الحالة المرضية التى كان عليها عند اكتشاف الاهل لها .

الجدول السابق يشير الى بعض الآثار التى يتركها المخدر والتى ذكرتها حالات متعددة ، وان كنا نلاحظ هنا أن العلاج ممكن وان اختلف نوع هذا العلاج ، فهناك من المخدرات أنواع أمكن لبعض أفراد عينة البحث أن يقلعوا عنها بسهولة قد ترجع الى نوع هذا المخـــدر والى الكمية التى كان الفرد يتعاطاها والفترات التى تفصل بين كل مـــرة وأخرى ، وهناك أنواع أخرى تتطلب علاجا لفترة طويلة. ونقصد بهذه الملحوظة أن نقول للشباب الذى دفعه الحظ السىء الى تعاطى أى نوع من المخدرات أن الوقت لم يفته بعد ، وبشىء من الارادة يمكنـــه أن يتخلص وحده من هذه العادة الرذيلة ، وان كنا نفضل أن يطلب العون من أقرب الناس اليه نفسيا داخل اسرته ، فهم أكثر الناس حفاظـــا عليه ، أو من أستاذ له يثق به ويأنس اليه .

والجدول التالى يوضح الاسلوب الذى سلكه البعض فى طريق العلاج .

جدول رقم (٦)
طرق العلاج من الادمان لدى الشباب

م	الأسلوب	نوع المخدر
١	بدأت أعالج نفسى من شهرين وعزلت نفسى عن الناس فى غرفتى ثلاثة أيام ثم بدأت أخرج بعدها .	حقن ستيدول
٢	قررت كثيراً أن أقلع ولكن كنت أعود ، وبدأت الآن فى العلاج الذى سيأخذ فترة بالإضافة إلى التغيرات الذهنية والجسمية .	حشيش – هيروين كوكايين
٣	أقلعت عنه بدون مشاكل وامتنعت نهائياً عن تعاطيه .	حشيش
٤	امتنعت من حوالى سنة ونصف .	«
٥	« « « ثلاث سنوات .	«
٦	« « « سنتين .	ماريجوانا L. S. D.
٧	« الآن نهائياً .	حشيش
٨	توقفت عن التعاطى .	«
٩	فى طور العلاج الآن (١٧ سنة) .	كل شىء ثم هيروين
١٠	اكتشف أهله الحالة وعولج منها .	هيروين – حشيش ماكسفورت LSD
١١	بدأت العلاج الآن .	حشيش – برشام
١٢	أعتمد على اليوجا الآن كعلاج طبيعى .	حشيش – حبوب
١٣	هذا شىء يخص المراهقين ، وقد أقلعت تماماً (٢٠ سنة)	حشيش

وختاما نرجو أن يجنبنا الله واياكم شر البلية ونـدعوه — جل وعلا — أن يرفع غضبه عمن أصابه الضر ، انه نعم المولى السـميع المجيب ..

فهرس الكتــــاب

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب
٥٩٢٢ / ٨٥

الرقم الدولى × — ٠٢٨ — ٥٠٢ — ٩٧٧

شركة مطابع الطنانى
٩ حمودة المتاول — عابدين
ت : ٩٠٢٧٧٤